أَلِكْنِي إليها بالسلام وألِكْنِي إليها السلام

للدكتور إبراهيم أنيس



تعبير قديم ورد فى شواهد شعرية لاتقبل الشك . وتوقف القدماء من اللغويين إزاءه طويلا يحاولون تأصيله وتفسير معناه . فنراهم من حيث تأصيل المادة اللغوية فريقين ، منهم من يذهب إلى أن التعبير « أَلِكْنى » مستمد من الجذر « ألك » ، وآخرون يؤكدون أنه من « لأك » ، وكلا الفعلين الثلاثيين بمعنى أرسل رسالة أوتحمل رسالة .

ويبدو أن ابن بَرّى كان يرى أن التعبير « ألكنى » من المادة « ألك » ، إذْ ينسب إليه صاحب اللسان هذا النص :

« ويقال ألك بين القوم إذا ترسّل ألْكاً وأُلوكاً ، والاسم منه الألُوك وهى الرسالة ، وكذلك الأَلوكة والمَأْلُكة ، والمأْلُك ، فإن نقلته بالهمزة قلت : ألكتُه إليه رسالة والأصل أألكتُه ، فأخرت الهمزة بعد اللام ، وخففت بنقل حركتها على ماقبلها وحذفها ، فإن أمرت من هذا الفعل المنقول بالهمزة قلت : ألكنى » .

هو إذن يذهب إلى أن الثلاثى « ألك » دخلت عليه الهمزة فأصبح « أألك » وأن فعل الأمر من هذا الأخير جاء فى الشواهد المروية على صورة ألكنى ، دون أن يبيّن لنا بوضوح كيف صار إلى ذلك .

أمّا ماينسبه صاحب اللسان إلى ابن الأنبارى فأوضح وأدق فى بيان مذهب الفريقين من العلماء ، قال :

« والأصل فى ألكنى ألئكْنى فحولت كسرة الهمزة إلى اللام وأسقطت الهمزة .... قال : ومن بنى على الألوك قال : أصل ألكنى أألكنى ، فحذفت الهمزة الثانية تخفيفا » ! !

ويبدو أن الفيروزابادى كان ينتصر للرأى القائل : إن ألكنى أصلها ألئكنى ، إذ لايشير إلى التعبير « ألكنى » إلاّ فى مادة لأك فيقول :

« وألكنى إلى فلان أبلغه عنى ، أصله ألئكنى حذفت الهمزة وألقيت حركتها على ماقبلها » .

وقد تبيّن لنا فى بحث سابق[1] بما لايدع مجالا للشك أن المادة الأصلية لدلالة تحمل الرسائل أو إرسالها هى «لأك» ، وأن «ألك» فرع لها مقلوب .

ولانتصور من أجل ذلك أن تعبيرًا قديما مثل « ألكنى » يكون مشتقا إلا من الأصل الأصيل «لأك» ، ونؤثر أن تكون ألكنى أصلها « ألئكْنى » لاغير .

بقى أن ننظر فى تفسيرهم لمعنى هذا التعبير ، فنرى أنهم اتجهوا فى ذلك إلى رأى عجيب ، وحاولوا جاهدين ـ ومع قدر غير قليل من التكلف والتعسف ـ تطبيقه على الشواهد الشعرية التى ورد فيهاهذا التعبير ، ثم خرجوا لنا بتفسير يقولون فيه مرة إن المعنى معكوس ، فقد كان مقتضى التعبير أن يكون معناه أرسلنى إليها برسالة ، ولكن معناه الحقيقى هو : « كن رسولى إليها بهذه الرسالة » ، أى أن المخاطب مُرْسَل والمتكلم مُرْسِل ! ! ولما اصطدموا بالشاهد :

ألكنى ياعتيق إليك قولاً ستهديه الرواة إليك عنّى

قالوا : وقد يكون المُرْسَل هو المُرسَل إليه ! !

فينسب صاحب اللسان إلى ابن برّى مانصه :

---

(١) انظر فى الجزء الثلاثين من المجلة بحثا تحت عنوان (ملك ، ملاك ، ملائك ، ملائكة) .

« أَلْكِنى إليها برسالة » وكان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلنى إليها برسالة إلا أنه جاء على القلب ، إذ المعنى : كن رسولى إليها بهذه الرسالة ، فهذا على حد قولهم : « ولاتهيبنى الموماة أركبها » أى ولا أتهيبها ، وكذلك ألكنى لفظه يقضى بأن المخاطب مرسِل والمتكلم مرسَل ، وهو فى المعنى بعكس ذلك ، وهو أن المخاطب مرسَل والمتكلم مرسِل » .

ثم يقول بعد ذلك :

« وقد يكون المرسَل هو المرسَل إليه ، وذلك كقولك : أَلْكِنى إليك السلام ، أى : كن رسولى إلى نفسك بالسلام » ! !

وجاء فى اللسان أيضاً :

« وقال ابن الأنبارى : ألكنى إليه ، أى كن رسولى إليه ، وقال أبو عبيد فى قوله : « ألكنى ياعُيَيْنُ إليك عنى » أى أبلغ عنى الرسالة إليك » ! !

وفى رأيى بعد الذى تقدم أن الأمر أهون من أن نتصور فيه عكس المعنى ، أو أن نتصور مايزعمونه من أن المخاطب فى الظاهر مرسِل والمتكلم مرسَل ، وفى الباطن على العكس ؛ وأهون كذلك من أن نتصور فيه أن المرسَل قد يكون المرسل إليه ، كما يقول هؤلاء العلماء ! !

والتأصيل الواضح الذى ينطبق على كل الشواهد المروية ، دون تعسف أن يقال إن الثلاثى « لأك » ومعناه أرسل قد زيدت عليه الهمزة فأصبح « أَلْأَكَ » بمعنى جعله يرسل . وذلك مثل الثلاثى « دخل » حين تلحقه الهمزة فيصبح « أدخل » ، لايتصور سوى أن يقال فى : « أدخله الدار » ، جعله يدخل الدار ، ويكون الأمر منه « أَدْخِلْنى الدار » أى اجعلْنى أدخل الدار . وعليه فالثلاثى « لأك » بمعنى أرسل حين يصبح « أَلْأَكَ » يكون معناه ؛ جعله يرسل .

ولم ينحدر إلينا من استعمالات هذا الفعل المزيد بالهمزة سوى فعل الأمر فى التعبير « أَلِكْنى » ، فلم يرد له فى الشواهد المروية ماض ولامضارع . وتؤكد لنا هذه الظاهرة أن

التعبير قديم متوغل فى القدم . فلم يبق من آثاره إلا الأمر فى صورة ألكنى التى يكون معناها اجْعلْنى أرسلْ .

ولانشك إذن فى أن ألكنى أصلها « ألئِكْنى » ، فلما نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، وقلبت الهمزة إلى حرف مدّ مناسب لحركة ما قبلها ، كان مقتضى ذلك أن يصبح أليِكْنى ، فحذفت ياءُ المدّ ، ولم يكن من الممكن بقاؤها لأن الحرف الذى بعدها ساكن ، ومن ثمّ صار « ألكنى » وهو التعبير المرویّ .

والفعل ألكنى قد يتعدى بنفسه أى اجعلْنى أرسل إليها السلامَ ، وقد يتعدى بالباء على أساس تضمنه معنى « بعث » أى اجعلنى أبعث إليها بالسلام . ولاغرابة لذلك أن يرد التعبير « ألكنى » فى شواهده مرة ألكنى إليها السلام ، وأخرى ألكنى إليها بالسلام .

والمخاطب فى التعبير « ألكنى » ، فى معظم الشواهد ، غير محدّد ، هو كل من يُتصور أن يخاطب فى مثل هذه الأحوال ، فالخطاب لمجهول لنا ، قد يكون قرين الشاعر أو شيطانه . ولاشك أن قولنا : « اجْعلْنى أرسلْ » يساوى تمام المساواة « دعْنى أُرسلْ » . ولاضير إذن أن نؤثر فى شرح الشواهد المروية استعمال « دعْنى أرسلْ » لتوضيح معنى « ألكنى » ، فنجد أن المعنى واضح كل الوضوح ، ولايتطلب فى أى منها شيئا من التكلف أو التعسف . فابن أبى ربيعة حين يقول :

ألكنى إليها بالسلام فإنه ينكّر إلمامى بها ويشهَّرُ

هو على طريقة شعراء العرب فى خطابهم مَنْ نجهل ، يريد أن يقول : دعْنى أبعث إليها بالسلام وإنى قانع بذلك لأن اتصالى بها فوق هذا قد يفسّر بأمر منكر وقد يشهّر به بين العرب .

وكذلك قول الشاعر :

ألكنى إليها بخير الرسُو لِ أعلمهم بنواحى الخَبَرْ

معناه دعْنى أبعث إليها بخير رسول لأعلم القوم بحقيقة الأمر .

وعمرو بن شأس حين يقول :

ألكنى إلىَ قومى السلامَ رسالةً بآية ماكانوا ضعافا ولا عُزْلا

يريد أن يقول : دعنى أرسل إلى قومى السلام فى شكل رسالة ، إذ لم يكونوا ضعافا ولا عزْلا .

ويروى بيت عمرو بن شأْس برواية أُخرى :

أَلكِني إلى قومى السلام ورحمة الـ إلَه فما كانوا ضِعَافًا ولا عُزلا

أى دعنى أُرسل إلى قومى السلام ورحمةً من عند الله . فهم شجعان وفرسان .

وقد يكون المخاطب محدداً ، نُصَّ عليه فى صلب الشاهد . كما فى الشواهد الآتية .

فليس يتطلب تفسيرنا لقول الشاعر :

أَلكِنى ياعتيق إليك قَوْلاً ستهديه الرواة إليك عنى

شيئاً من اللف والدوران ، فالمعنى واضح كل الوضوح . فيقول الشاعر : دعنى ياعتيقُ أرسل إليك قولا كريما سيصبح أنفس هدية تصلك من قِبَلى . أو تروى لك عنى . وكذلك الشأْن مع مايذكره صاحب اللسان (أَلِكْنى ياعُيَيْنُ إليك قولاً) .

ولكثرة وُرُودِ هذا التعبير مصحوبا بالمعمول فى صورة السلام أو سلاما أو قولا ونحو ذلك ، أصبح من الممكن أن يجيء وحده . وأن يكون المعمول حينئذ مفهوما ضمنا مثل قول النابغة :

أقول وإن شطت بى الدار عنكم إذا ما لقِينا من معدٍّ مسافراً

أَلكنى إلى النعمان حيث لقيته فأَهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

ومعناه : أقول وأنا بعيد عن الديار لكل مسافر من قبيلة معدّ : دعنى أرسل معك تحية إلى النعمان ، متّعه الله بالخير العَمِيم .

والمخاطب فى الشاهدين معروف غيرُ مجهول ، هو فى الشاهد الأول « عتيق » ، وفى الشاهد الثانى كل مسافر يلقاه من معدّ .

لم يبق بعد كل ماتقدم إلا ماينسبه صاحب اللسان إلى زيد بن حارثة من أنه قال :

أَلكنى إلى قومى وإن كنت نائيا فإنى قطين البيت عند المشاعر

وللبيت رواية أُخرى هى : أَحنّ إلى قومى . . . .

وقصة زيد بن حارثة كما جاءت فيما روى عن الصحابة[1] تتلخص فى أنه كان حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهر مواليه ، اختطف فى الجاهلية صغيراً ، وأتى به إلى سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ،ووهبته خديجة وهو فى الثامنة من عمره للنبى صلى الله عليه وسلم حين تزوجها ، فأعتقه ، وتبناه ، وزوّجه بنت عمته ، واستمر الناس يسمونه زيد بن محمد ، حتى نزلت آية « ادعوهم لآبائهم » وهو من أقدم الصحابة إسلاما ، استشهد فى غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة .

أما المناسبة التى قال فيها هذا الشعر فهى أن ناساً من كلب كانوا يحجون فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم : أبلغوا عنى أهلى هذه الأبيات فإنى أعلم أنهم جزعوا علىّ ، قال :

أحنّ إلى قومى وإن كنت نائيًا فإنى قعيد البيت عند المشاعر

فكفّوا عن الوجد الذى قدشجاكم ولا تعملوا فى الأرض نصّ الأباعر

فإنى بحمد الله فى خير معشر كرام معدٍّ كابرًا بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه. وجاء أبوه وعمّه ، واستدلا على موضعه ، وكان بينهما وبين النبى الكريم حوار ممتع انتهى بأن اختار زيد البقاء فى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانصرف أبوه وعمه وقد طابت نفوسهما ، واطمأنا عليه .

وعلى فرض صحة رواية اللسان (ألكنى إلى قومى ....) يكون المعنى دعنى أرسل إلى قومى سلامى وشوقى ،فإنى وإن شطت بى المزار ، وبعدتُ عن الديار ،فقد أصبحت فى حمى البيت الحرام ،وفى كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله الكرام ، فكفّوا عن الوجد والشجو من أجلى ، فإنى فى أسعد حال .

نخلص مما تقدم إلى أن التعبير : « ألكنى إليها بالسلام ، وألكنى إليها السلام » لايحتمل إلا معنى واحداً واضحاً كل الوضوح هو :

دعنى أبعث إليها بالسلام ، ودعنى أرسل إليها السلام .

وبالله التوفيق .
نوفمبر ١٩٧٣

المشرف على المجلة
ابراهيم انيس

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٤ ، الأعلام ج ٣ ص ٩٦ ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٤٢ .

المصطلح النحوى

للدكتور إبراهيم مدكور



بين علوم اللغة من أولها ظهورا ، وحديث أبى الأسود الدؤلى (٦٧هـ) خير شاهد على ذلك ، وإن كنا لا نسلم بأنه وضع شيئا فى علم النحو . وكل ما حدث أنه شعر باللحن فى قراءة القرآن، فاقترح أسلوبا لشكله ، واللحن مدعاة للبحث عن قواعد الإعراب . ولا غرابة فى أن تكون البصرة أول مدينة إسلامية قامت فيها مدرسة نحوية ، فقد اختلطت فيها الأجناس والثقافات ، وفشا اللحن . وحاول اللغويون أن يجدوا سبيلا لدرئه أو تخفيفه ، وكانت إلى جانبهم نماذج من أجروميات أخرى بين سريانية ويونانية : ومن الثابت أن النحو السريانى ، وهو متأثر بالنحو اليونانى ، قد وضع بنصيبين ، وهى على اتصال بالبصرة ، فى القرن السادس الميلادى قبل الإسلام بقليل وكان من بين المشتغلين به يعقوب الرهاوى (٦٨ هـ) الذى عرفه العالم العربى

وفى البصرة قام الرعيل الأول من النحاة ، وكانوا لغويين وأدباء قبل أن يكونوا نحاة ، وعلى رأسهم ابن أبى اسحق الحضرمى (١١٧ هـ) الذى وضع كتابا فى « الهمز » ، وكان قياسا يحاول أن يجمع الأشباه والنظائر فى ضوابط محددة . وتتلمذ له عيسى بن عمر الثقفى (١٤٩ هـ) الذى ألف كتابى « الجامع » و « الإكمال » ، وتوسع فى القياس كما صنع أستاذه . ثم جاء الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) شيخ البصريين وواضع أول معجم لغوى كبير فى العربية ، ومؤسس علم العروض . وقد أحل الشكل بالحركات محل الشكل بالنقط ، وضيق دائرة القياس على عكس ما صنع عيسى بن عمر ، ولم يقس إلا على الأشيع والأعم . وليس ببعيد أن يكون قد وقع بصره على شئ من قواعد الأجرومية فى اللغة السنسكريتية ، ولم تعرف له كتب نحوية ، ويظهر أنه استودع سره فى هذا لدى تلميذه سيبويه (١٨٠هـ) أكبر نحاة البصرة . وقد خلف لنا التلميذ الذائع الصيت « الكتاب » ، وهو أكبر أثر باق من نحو البصريين الأول وعليه اعتمد أنصاره فيما بعد ، فبسطوا فيه ما بسطوا ، وشرحوا ما شرحوا ، ونقدوا ، واستدركوا . وهو مؤلف جامع ، يمزج بين النحو واللغة والأدب ، ويشتمل على العناصر الأساسية لعلم النحو العربى . أخذ فيه سيبويه عن الخليل خاصة ، وعن بعض

اللغويين والنحاة السابقين كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٢هـ) ولكن نخطئ إن زعمنا أنه قعد قواعد النحو على الصورة التي ظهرت بها فيما بعد. وقد قام على أمرها شيوخ البصريين كالمبرد في القرن الثالث، وأبي على الفارسي وابن جنى في القرن الرابع، ولهما في القياس باع طويل، والزمخشري في القرن السادس، وابن يعيش في القرن السابع.

وقد أخذ الكوفيون عن البصريين، ومدرستهم متأخرة عنهم بنحو مائة سنة، وهي إلى السماع أميل، وهذه هي النقطة الجوهرية التي تفصل بين المدرستين. ولمدرسة الكوفة أعلام لا يقلون شأنا عن أعلام البصرة، وعلى رأسهم الكسائي (١٨٩ هـ) مؤسس المدرسة، ومنافس سيبويه، وتلميذه الفراء (٢٠٧ هـ) الذي توسع في التفريعات والجزئيات. وتلاه ثعلب (٢٩١ هـ)، وهو من أنجب تلاميذ المدرسة الكوفية. ويظهر أن السياسة عززت جانب الكوفيين بعض الشيء، لأنه كان من كبارهم مربو الخلفاء والأمراء، فكان الكسائي معلم الأمين والمأمون، والفراء معلم أولاد المأمون، وابن السكيت (٢٤٥ هـ) معلم أولاد المتوكل. ومع هذا لم يمتد نشاطهم في المشرق أكثر من قرنين، وقدر للمذهب البصري الغلبة عليهم:

وأدى التقاء البصريين مع الكوفيين في بغداد وحوارهم معهم إلى قيام مدرسة نحوية ثالثة هي مدرسة البغداديين، ومن أشهر رجالها ابن قتيبة (٢٧٦ هـ)، وأبو حنيفة الدينوري (٢٩٢ هـ). وقد أخذوا بطرف من المذهب البصري وآخر من المذهب الكوفي، ولكنهم لم يتركوا نظرية واضحة المعالم؛ وما وصلنا عنهم قليل، وينصب على مسائل فرعية، ومدرستهم دون نزاع أقل شأناً من المدرستين السابقتين.

وللأندلس وبلاد المغرب يد في تاريخ الدراسات النحوية، قامت فيها مدرسة رابعة على رأسها ابن مضاء القرطبي (٥٩٠هـ) الذي حمل على نظرية العامل البصرية حملة عنيفة، وآثر السماع على القياس في اللغة، وأهل شمال أفريقيا والأندلس أميل إلى الأثر والسماع في الفقه والنحو على السواء. ومن رجال هذه المدرسة ابن معطى (٦٢٣ هـ) الذي استن سنة كتابة النحو شعراً في قصيد طويل. وجاراه ابن مالك (٦٧١ هـ) في صنيعه وبزّه فيه. والمدرسة الأندلسية مدرسة موفقة كمدرسة بغداد، وإن تكن أعمق بحثاً، وأميل إلى المذهب الكوفي الذي وجد طريقه إلى الأندلس قبل المذهب البصري فعززته وردت إليه ما فقده في الشرق. واستطاع ابن مالك أن يكوّن نحواً يلائم بين الطرفين، ويأخذ في الاعتبار بعض الآراء الكوفية، وإن اعتمد أساسا على المذهب البصري، وهذا النحو هو الذي قدّر له أن يسود في القرون الأخيرة. وعرف ابن هشام المصري (٧٦٠ هـ) كيف

يعرضه عرضا دقيقا منسقا فى كتبه المختلفة وخاصة فى كتابه « مغنى اللبيب » .

تلك هى المدارس التى عنيت بعلم النحو ، وصاحبته فى نشأته ونموه . وقد اصطلحت على لغة موحّدة تداولتها فيما بينها ، استمدت مصطلحاتها من علوم سابقة ، أو أنشأتها إنشاء . ومن أمثلة هذه المصطلحات الحرف والحركة ، الاسم والفعل والجملة ، المقصور والممدود ، المنصرف وغير المنصرف ، الإعراب والبناء . ولم تتكوّن هذه المصطلحات لأول وهله ، بل عدّلت وهذّبت ، نمت وتطورت . ثم استقرت منذ القرن الثالث للهجرة ، وأصبحت مألوفة للنحاة على اختلافهم ، ولا يزال درس النحو يعتمد عليها إلى اليوم . واستوعبت الدراسات النحوية معظم نشاط المثقفين فى القرون الستة الأخيرة. وكثيرا مايلاقى شبابنا اليوم عنتا فى تعلمها والوقوف على تفاصيلها ، وقد دُعى إلى تيسير النحو على الناشئين منذ أخريات القرن الماضى ، ولاتزال هـذه الدعوة قائمة . وخطونا فيها خطوات لابأس بها . وجدير بنا أن نتابعها أسوة بنحو الإنجليزية بين اللغات الحية :

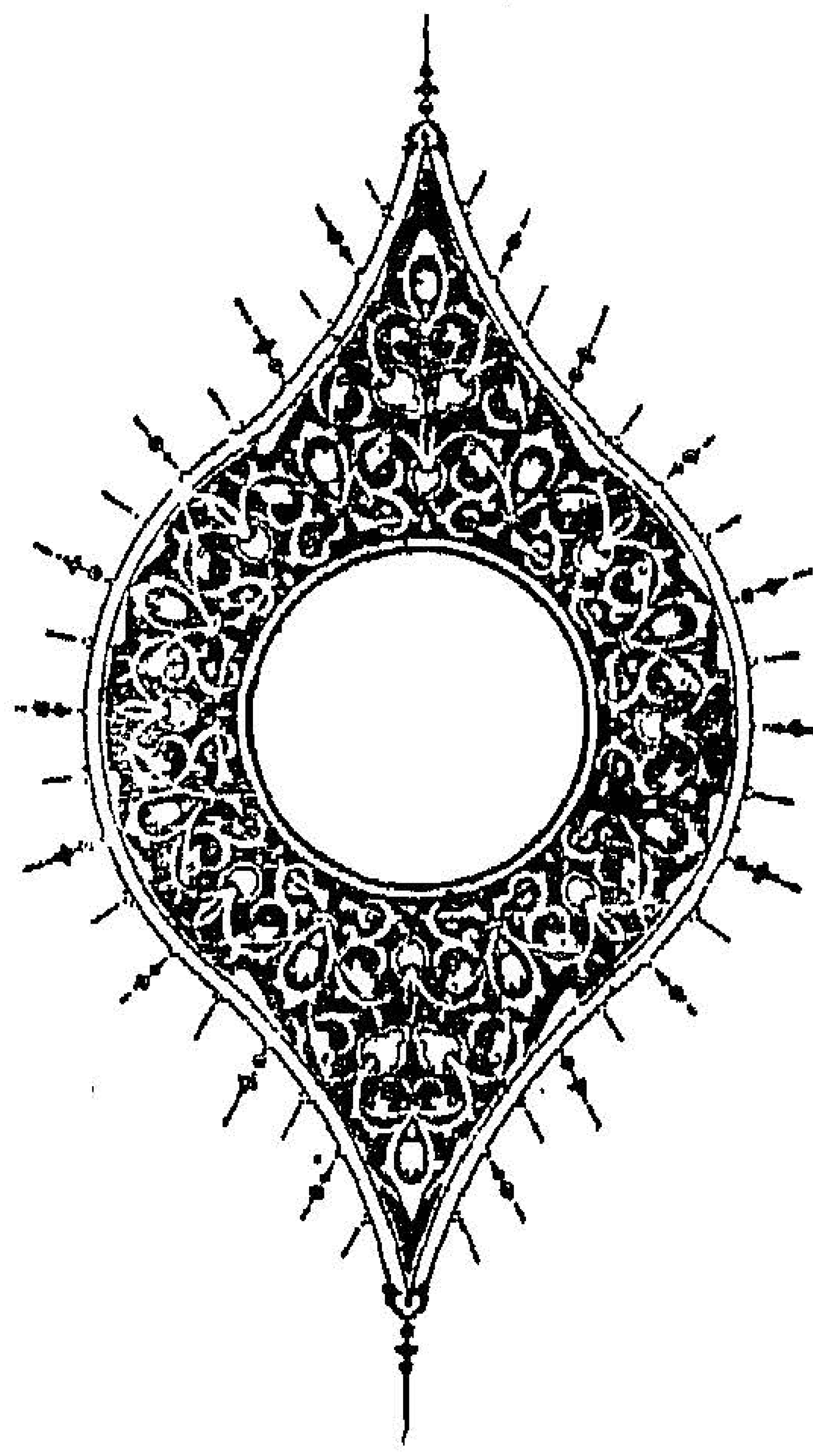
ولا شك فى أن النحو العربى فى مادته ومصطلحه ثروة طائلة قد يقوى عليها الباحثون والمتخصصون ، ولكنها دون نزاع عبء ثقيل على جماهير الناشئين . ولذلك دُعى إلى تيسير تعليمه منذ أخريات القرن الماضى ، وخطا فى سبيل ذلك خطوات بعض المشتغلين به والقائمين على تعليمه ، ويكفى أن نشير من بينهم إلى حفنى ناصف صاحب « قواعد اللغة العربية » ، وهو أول كتاب معاصر قصد به تيسير هذه القواعد وعرضها فى صورة مركزة مختصرة . وسار على نهجه على الجارم فى « النحو الواضح » ، الذى عوّل فيه كثيراً على المثال والعبارة لاستخلاص القاعدة . وفى أول العقد الرابع من هذا القرن اضطلع الدكتور بهى الدين بركات بأعباء وزارة المعارف ، ولمس خطر هذه المشكلة فى بلد ينادى بنشر الفصحى وتعميم التعليم ، وقصـد إلى مواجهتها ، وكوّن لذلك لجنة من رجال اللغة العربية فى الوزارة وكبار أساتذة كلية الآداب بالجـامعة . وانتهت هذه اللجنة إلى مشروع مكتمل عرض على مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٥ ، وقد درسه طويلا ، ثم انتهى إلى إقراره بتعديل يسير ، وطالب خاصة بأن توضع على أساسه كتب نحوية جديدة ، ولم ير بأساً من أن يتولى وضعها ، وإلا فإنه يطلب أن يراجعها قبل نشرها ، وقبل وضعها فى أيدى التلاميذ .

وأريد فى عام ١٩٦١ تنفيذ هذا المشروع فوضعت فيه على عجل كتب مدرسية لاعلم للمجمع بها ، ولم يلبث التنفيذ أن توقف لشكوى بعض المدرسين فى الغالب ، وبخاصة مدرسو اللغة العربية فى سوريا ،

وهبثاً حاولت الوزارة تدارك الأمر دون جلوى . ولاتزال المشكلة قائمة ، وزادُ أبنائنا من العربية قليل ، وإقبالهم عليها ضعيف : وما أجدرنا أن نواجه هذا الموقف مواجهة صادقة ، أسوة بما اتبع فى تعليم الأجرومية فى بعض اللغات الحية ، وبخاصة الإنجليزية ولا يشك أحد أن المقصود هو تعلم اللغة ذاتها ، وسبيل ذلك القراءة السليمةالسهلة الملائمة ، والمتدرجة مع أعمار التلاميذ ، أما الإعراب والقاعدة فلايلجأ إليها عادة إلا عند الغموض وتعذر الفهم .

ابراهيم مدكور

الأمين العام للمجمع



الشيخ خالد الأزهري

للدكتور الشيخ محمد الفحام

٨٣٨ — ٩٠٥ هـ / ١٤٣٤ — ١٤٩٩ م



للبحث عن تاريخ هذا العالم الجليل والمؤلف العظيم ماعرفته فى مؤلفاته من الدقة والسهولة . وما لاحظته من ازوم لقب «الشيخ» ووصف «الأزهرى» له .

وكم من شيوخ تعلموا فى الأزهر ودرسوا فيه وتركوا آثارا قيمة من التآليف النافعة الباقية بقاء الدهر ولم تلزمهم هذه النسبة «الأزهرى» بل يكثر ذكرهم على اللسان وفى الكتب المؤلفة من غير أن يتصدرهم لقب «الشيخ»

وها نحن أولاء نذكر كثيراً منهم بأسمائهم المجردة فنقول : ابن هشام وجلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى والجوجرى والدمنهورى والسخاوى والجبرتى والمقريزى وابن عقيل والأشمونى والشمنى والدماميني وغيرهم .

وكلهم تغذى بلبان الأزهر وتربى تحت سقفه وأسهم فى نشر علومه وترك آثارا أحيت اسمه وخلدت ذكره . ومع هذا لم يأخذ واحد منهم لقب «الأزهرى» ولا لقب «الشيخ» .

ولقد بحثت عن المراجع التى يظن وجوده بها وحديثها عنه فعثرت على اثنى عشر مرجعا منها وكلها مطبوعة . وهى :

١ — الأعلام للزركلى — الجزء الثانى بالصحيفة ٣٣٨ .

٢ — الخطط التوفيقية — لعلى باشا مبارك الجزء العاشر بالصحيفة ٥٣ .

٣ — الضوء اللامع ، فى أعيان القرن التاسع للسخاوى ، الجزء الثالث بالصحيفتين ١٧١ ، ١٧٢ .

٤ — الكواكب السائرة ، بأعيان المائة العاشرة — لنجم الدين الغزى . الجزء الأول بالصحيفة ١٨٨ .

٥ — إيضاح المكنون ، للبغدادى ، الجزء الأول بالصحيفتين ١١٨ — ٢٩٣ وبالجزء الثانى بالصحيفتين ٢٢٩ ، ٥٤٣ .

٦ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور . لابن إياس ، الجزء الثانى بالصحيفتين ٣٦١ ، ٣٦٢ .

٧ - دائرة المعارف الإسلامية « الطبعة الفرنسية » مقالة بقلم « بروكلمان » بعنوان « الأزهرى » الجزء الأول صحيفة ٥٥٠ والجزء الثانى بالصحيفة ٢٧ والجزء الثانى من الملحق لبروكلمان بالصحيفة ٢٢ .

٨ - روضات الجنات ، فى أحوال العلماء والسادات ، للخوانسارى ، الطبعة الثانية بمدينة « طهران » بالصحيفة ٢٧٠ .

٩ - شذرات الذهب ، فى أخبار من ذهب ، للعماد الحنبلى ، الجزء الثامن بالصحيفة ٢٦ .

١٠ - كشف الظنون ، فى أسماء الكتب والفنون ، لحاجى خليفة بالصحائف ١٢٤ ، ١٥٤ ، ٤٨٣ ، ٩٥٢ ، ١٣٣٢ ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ .

١١ - معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية لعمر رضا كحالة - الجزء الرابع بالصحيفة ٩٦ .

١٢ - معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف إليان سركيس - الجزء الأول بالصحيفتين ٨١١ ، ٨١٢ .

وقد أفدت من مطالعة هذه المراجع كلها المعلومات الآتية : -

الشيخ خالد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن أحمد الجرجى (الجرجوى ، الجرجاوى) الأزهرى الشافعى النحوى الوقاد - وكنيته - ككل من سمى خالدا - أبو الوليد - أما لقبه فزين الدين . وانفرد الميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى الأصبهانى فى كتابه - روضات الجنات - بذكر لقبه : « أبى الفضل » بدلا من « أبى الوليد » . وذكر أن « الأزهرى » منسوب إلى الإمام أبى منصور الأزهرى اللغوى المشهور صاحب كتاب التهذيب .

ومن هذا نعلم أنه ليس منسوبا إلى الأزهر كما اشتهر عند الناس والله أعلم .

ويظهر أن لقب الأزهرى كان مشهورا فى عصر الشيخ خالد ، عرف به كثير من العلماء ، فقد ورد على لسان الشيخ خالد عند بدئه شرح الأجرومية هذه العبارة : « حملنى عليه الشيخ عباس الأزهرى » وذكر عند شرحه على الجزرية أنه تلقاها عن شيخه « عبد الدائم الأزهرى » .

أمالقب الوقاد فقد ذكر المؤرخون في بيانه أنه كان يشتغل بإيقاد مصابيح الأزهر وأن فتيلة سقطت منه على كراسة بعض الطلبة فشتمه وعيّره بالجهل فترك الوقادة وأكب على طلب العلم وبرع فيه، وخاصة علم العربية . وقد كان اشتغاله بالعلم على كبر. قيل كان عمره ستاوثلاثين سنة . وقد ولد بمدينة جرجا سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة تقريباً . وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ القرآن ودرس العمدة ومختصر أبي شجاع ، وعاش بالقاهرة كل حياته وجاء في روضات الجنات عند ترجمة الشيخ خالد هذه العبارة « وكان قد سكن الشام » . ولم نجدها في غيره .

شيوخه :

قرأ العربية على يعيش المغربي ، نزيل سطح الأزهر وداود المالكي والسنهوري ولازم الأقصرائي في العضد وحاشيته ، والتقي الحصني في المعاني والبيان والمنطق والأصول والصرف . وأخذ قليلا عن الشمني وعن العباد والمناوي وقرأ على الجوجري وإبراهيم العجلوني والزين الأبناسي ،وأخذ الفرائض والحساب عن السيد على تلميذ ابن المجدي واليسير عن الشهاب السجيني والزين المارداني ، وسمع يسيرا عن السخاوي.

وقد شهد له وقرظ بعض كتبه محيي الدين أبوعبد الله الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩هـ شيخه وشيخ جلال الدين السيوطي .

قال السخاوي : وبرع في العربية وشارك في غيرها وأقرأ الطلبة ولازم تغر بيردي القادري فقرره في المسجد الذي بناه للداودار بخان الخليلي ، وكان ينزل بخانقاه « سعيد السعداء » .

ومن تلاميذه القسطلاني صاحب كتاب « إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري » المتوفى بالقاهرة سنة ٩٢٣ هـ .

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فقد عرفت بالسهولة وانتفع بها كثير من الناس ولا تزال قيمتها في الأوساط العلمية وخاصة الأزهرية لما عرف عن مؤلفها من الإخلاص وأكثرها لايخرج عن دائرة النحو واللغة ومنها واحد في الأصول .

وقد وصل إلى علمنا منها ستة عشر مؤلفاً :

١ - المقدمة الأزهرية - وأولها « الكلام فى اصطلاح النحويين عبارة عما اشتمل إلخ » . وقد ظلت مدة طويلة تدرس فى الأزهر بعد الأجرومية .

٢ - شرح المقدمة الأزهرية . وأوله « الحمد لله على جميع الأحوال » وقد طبع هذا الشرح فى بولاق سنة ١٢٥٢ هـ .

وقد ألف الشيخ حسن العطار أحد شيوخ الأزهر السابقين المتوفى بالقاهرة حاشية على هذا الشرح طبعت ببولاق سنة ١٢٨٤ هـ وبالقاهرة ١٣١٧ هـ .

وألف الشيخ محمد مجاهد أبو النجا حاشية أخرى طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٢هـ.

وألف الشيخ أبوبكر الشنوانى المتوفى سنة ١٠١٩ هـ حاشية على الشرح المذكور أولها الحمد لله على كل حال .

وألف الشيخ زين الدين منصور سبط الطبلاوى شرحا للأزهرية ممزوجا سماه « العقود الجوهرية فى حل ألفاظ الأزهرية » أوله « الحمد لمن جمع الكمال فى خلاصة خلقه » فرغ من تأليفه ٩٩٩ هـ .

وألف الشيخ محمد الإمبابى أحد شيوخ الأزهر السابقين تقريراً على كل من حاشيتى العطار وأبى النجا - وهو مطبوع عدة طبعات .

٣ - إعراب الأجرومية وأوله « الحمد لله على ما أنعم » .

٤ - شرح الأجرومية وأوله الحمد لله رافع درجات المنتصبين الخ ثم قال : هذا شرح ينتفع به المبتدى ولايحتاج إليه المنتهى حملنى عليه الشيخ عباس الأزهرى الخ .

وقد طبع لأول مرة فى أمستردام بهولانده سنة ١٧٥٦م ثم طبع فى بولاق ١٢٥٩هـ وألف عليه حاشية محمد مجاهد أبوالنجا طبعت فى بولاق ١٢٨٤ هـ وفى تونس سنة ١٢٩٠هـ ثم طبع فى القاهرة ١٣٠٥هـ ، ١٣٠٦هـ ، ١٣١٩ هـ ومع هذه الطبعة الأخيرة تقرير للشيخ محمد إمبابى أحد شيوخ الأزهر السابقين .

٥ - موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب - وهو شرح ممزوج لكتاب الإعراب عن

قواعد الإعراب الذى ألفه أبو محمد عبدالله ابن يوسف الشهير بابن هشام مؤلف كتابى المغنى والتوضيح والمتوفى بالقاهرة سنة ٧٦١هـ . والمتن معروف باسم « الإعراب عن قواعد الأعراب » وهو مشتمل على أربعة أبواب : الأول « الجمل وأحكامها » الثانى « فى الجار والمجرور » الثالث « فى عشرين كلمة » والرابع « فى الإشارة إلى عبارة محررة » . وأول الشرح « الحمدلله الملهم لحمده » وهو على صغره مفيد ينبغى لطالب العربية أن يطلع عليه ويدرسه وقد فرغ من تأليفه سنة ٨٩٨هـ وقد طبع فى استامبول سنة ١٢٨٥هـ وفى القاهرة ١٢٩٥هـ .

وقد سبق الشيخ خالدا فى شرح هذا الكتاب شيخه الكافياجى المتوفى ٨٧٩ هـ . وقد وصف الشيخ جلال الدين السيوطى تلميذ الكافياجى شرحه هذا بأنه أجل مؤلفاته وأنفعها .

٦ – تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب وهو كتاب أعرب فيه ألفية ابن مالك إعرابًا تفصيلياً وأوله « الحمد لله الذى رفع قدر من أعرب بالشهادتين » وجاء فى آخره أنه فرغ من تأليفه فى يوم الإثنين ٢٧ من شهر رمضان سنة ٨٨٦ هـ .

وقد عرف الشيخ خالد – لتأليفه هذا الكتاب باسم « المعرب » كما عرف ابن هشام باسم الموضح لتأليفه كتاب التوضيح أو أوضح المسالك .

وقد طبع هذا الكتاب بتونس سنة ١٢٩٠هـ وسنة ١٢٩٢هـ وطبع ببولاق سنة ١٢٩٤هـ وفى غيرها ١٢٨٩هـ و١٣٠٥هـ،١٣٠٨هـ ١٣١٠هـ وطبع كثيراً بعد ذلك .

وقد سبق الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الحسين الرملى الشافعى المتوفى ٨٤٤هـ الشيخ خالدا الأزهرى فى تأليف كتاب أعرب فيه الألفية .

٧ – التصريح بمضمون التوضيح – وهو شرح على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، وهو المعروف بالتوضيح لابن هشام الأنصارى . ومن أجل هذا الشرح عرف الشيخ خالد باسم « المصرِّح » .

وعلى هذا الشرح حاشية للشيخ يس بن زين الدين العليمى الحمصى المتوفى سنة ١٠٦١هـ وأول الشرح « الحمد لله الملهم لتحميده » وقد فرغ من تأليفه يوم عرفة سنة ٨٩٦هـ وقد طبع ببولاق سنة ١٢٩٤هـ وبمطبعة محمد

مصطفى سنة ١٣٠٥هـ وبالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٦ وله طبعات أخرى متعددة .

٨ – « الحواشى الأزهرية فى حل ألفاظ المقدمة الأزهرية » .

والمقدمة الجزرية هى المعروفة باسم المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه .

وهى فى علم التجويد ، ألفها الشيخ محمد بن محمد الجزرى الشافعى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ وأولها :

يقول راجى عفو رب سامع
محمد بن الجزرى الشافعى

والشرح ممزوج بالمتن ، وأوله « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » وذكر فيه أنه تلقاها عن شيخه « عبد الدائم الأزهرى » وأنه أتم تأليفها سنة ٨٦٧هـ والحواشى الأزهرية مطبوعة على حجر بالقاهرة بمطبعة حسن الطوخى وبالمطبعة الشرفية ١٣٠٤هـ .

٩ – الألغاز النحوية أو ألغاز الشيخ خالد . وهو كتاب صغير يشتمل على اثنتين وثلاثين صحيفة من القطع الصغير طبع بمطبعة حجرية بالقاهرة ١٢٨١هـ .

وقد جاء فى الأعلام للزركلى عند ترجمة الشيخ خالد وفى دائرة المعارف الإسلامية «الطبعة الفرنسية» عند ترجمة «الأزهرى» أن هذا الكتاب مخطوط . فلعلهما لم يطلعا عليه مطبوعاً . فقد اطلعت عليه وعندى منه نسخة مطبوعة سنة ١٢٨١هـ .

وقد جاء فى مقدمته « وبعد فإنى نظرت فى علم العربية ، ووقفت على دقائقه وحقائقه وراجعت كل كتب أهل العربية وتصانيفهم فوجدتها مشتملة على أبيات من الشعر مصعبة المبانى متقمصة المعانى . وقد ألغز قائلها إعرابها ودفن فى غامض الصنعة صوابها ، وهى فى الظاهر فاسدة قبيحة وفى الباطن جيدة صحيحة . وقد كان العلماء المتقدمون كالأصمعى وغيره يتساءلون عنها ويتماحنون بها ، أردت أن أجمع منها ما تيسر لأوضح مشكله وأبين مجمله مشيراً إلى موضع النكتة منه غير مستقل بإيراد النظائر والأمثال فيفضى إلى الضجر والملال .

وقد بدأ هذه الألغاز بتوجيه الحديث الشريف : « إن من أمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر »وختمها بالبيت :

إنَّ هند المليحة الحسناء
وَأْىَ من أضمرتْ لخِلٍّ وفاء

وتقدير البيت الإعرابي والمعنوى :

عِدِى يا هندُ المليحة الحسناءَ وَعْداً

مثل وعد من أضمرت وفاءً لخِلٍّ

فإنَّ مؤلفة من « إِ » أمر من وَأَى بمعنى وَعَدَ والنُّون المشددة للتوكيد وهو خطاب لمؤنثة حذفت ياؤُها لالتقاء الساكنين .

و «هند » منادى و «المليحة » صفة مرفوعة تبعاً للفظ و «الحسناءَ » صفة منصوبة تبعاً للمحل أو صفة لمفعول به محذوف تقديره المرأة .

وإنى لأنصح بالاطلاع على هذه الألفاظ لطرافتها وكثرة فائدتها .

١٠ ـ الزبدة فى شرح قصيدة البردة ، والمراد بها قصيدة البردة التى ألفها البوصيرى .

وأولها : أما بعد حمد الله مستحق التحميد فقد سألتنى أيها الأخ النجيح ـ أن أضع شرحاً لطيفاً على بردة المديح ، مشتملا على بيان لقائها أهم توضيح فأجبتك لما سألته .

وقد فرغ من تأليفه فى رجب سنة ٩٠٣ هـ والظاهر أنه آخر مؤلفاته ـ رضى الله عنه ـ .

١١ ـ شرح الكافية لابن الحاجب ، مخطوط دامادزاده باستامبول برقم ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

١٢ ـ شرح العوامل المائة للجرجانى مخطوط بدار الكتب المصرية فى ٨٨ ورقة برقم ١٧٩ نحو .

١٣ ـ تقييد فى الحمد والشكر مخطوط بمكتبة الرباط برقم ٥٤٤ .

١٤ ـ بلوغ الأمل فى فن الزجل مخطوط بالمكتبة الحميدية باستامبول برقم ١٢٧٣ .

١٥ ـ الثمار اليانعة فى الأُصول مخطوط بالمكتبة الآصفية بالهند فهرست الجزء الأول ص ٩٢ .

١٦ ـ تفسير آية « فلا أُقسم بمواقع النجوم » مخطوط بالمكتبة الآصفية بالهند فهرس الجزء الأول ص ٥٣٢ .

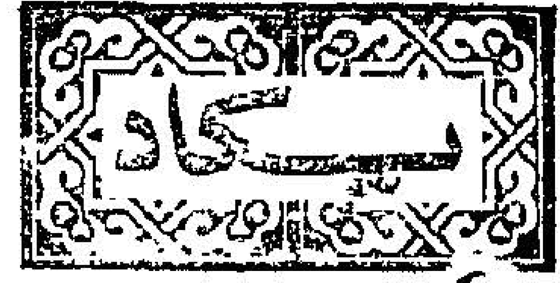
توفى الشيخ خالد ـ رحمه الله تعالى ـ بعد تأديته فريضة الحج وعودته إلى « بركة الحاج » قريبا من شبيين القناطر فى يوم ١٩ من المحرم سنة ٩٠٥ هـ الموافق ٢٦ من أغسطس ١٤٩٩ م ونقل إلى تربة الدوادار « يشبك » حيث دفن بها ـ رحمه الله تعالى ـ .

محمد الفحام

عضو المجمع

الحركة العلمية فى عصر المأمون

للدكتور عبد الحليم منتصر



أن يتفق المورخون على أن عصر المأمون ، إنما هو أزهى عصور الحضارة العلمية فى العصر الإسلامى ، ومنهم من يقول إن الحضارة الإنسانية مدينة للمأمون ، الذى قاد الحركة العلمية أبرع قيادة ، ويقول المستشرق « هوجز » إن عصر المأمون أزهى فترة فى تاريخ النهضة بالعالم الإسلامى ، إذ كان الخليفة نفسه ، عالماً من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال الدولة ، من الصفوة الأفذاذ فى الشرق والغرب ، هذا إلى جانب الأساتذة والمشرين والمترجمين والمفكرين الذين علّى بهم بلاطه ، وزين ملكه . ويقول سيد أمير على « إن بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة ، من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة ، الذين استدعاهم المأمون من جهات متعددة من العالم المتمدين ، وشملهم جميعاً بعنايته مهما اختلفت مشاربهم وجنسياتهم .

وقد استفادت هذه المجالس وتلك الاجتماعات العلمية من التطور العلمى والترجمة اللذين كانا طابع ذلك العصر ، ووجدت هذه العلوم طريقها إلى مجالس المأمون فازدهرت ونمت نمواً عظيماً .

وكذلك كانت تعقد مجالس العلم والحلقات العلمية فى قصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء ، ودور الكتب والمكتبات وكذلك فى المساجد ، فكانت هذه وتلك تؤدى ماتؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى الوقت الحاضر ، فقد ثبت أن درست بالمساجد ، علوم اللغة والمنطق والطب والميقات ، ويروى أن البغدادى كان يلقى درسه فى الطب فى الأزهر ظهر كل يوم .

ثم انتقلت مجالس العلم وصالونات الأدب والاجتماعات العلمية من قصور الخلفاء والمساجد إلى المدارس فقد زاد الإقبال على هذه الحلقات ، وتعددت الحلقات فى المسجد الواحد فى الوقت الواحد ، مما أحدث من الضجة والضوضاء ، ماغدا معوقاً ، واتضحت صعوبة استعمال المساجد للتدريس والصلاة . ثم إن المعارف ازدادت تنوعاً ، وازدادت أسباب الجدل فى دروسها ، مما لم يكن يتفق ومهابة المساجد وجلالها :

وقد عنى كثير من الكتاب والمؤلفين بدراسة النهضة الأدبية والاجتماعية والسياسية فى عصر المأمون ، ويهمنا فى هذا الحديث أن نلقى بعض الضوء على الحركة العلمية

والترجمة فى عصر المأمون ، باعتبارها الأساس الذى قامت عليه النهضة العلمية فى العصر الإسلامى ، الذى كانت بمثابة الزاد الذى اغتذت منه أوربا فى عصر نهضتها وحتى قال « سارتون » مؤرخ العلم فى العصر الحديث : « كان لابد من ظهور الخوارزمى والصوفى وابن الهيثم والرازى وجابر وابن سينا والبيرونى ، حتى يتسنى ظهور جاليليو وكبلروكوبرنيق ونيوتن ودالتن ومن إليهم » ويقول أيضاً : « لولا أعمال العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية ، أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون » .

ونعلق على ذلك فنقول : « إنه لولم تصيبنا محنة المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكانت هذه النهضة التى تفاخر بها أوروبا تكون من نصيب الأمة العربية ، وتتقدم عليها فى التاريخ بضعة قرون ، وتكون لغتها هى العربية » . فقد كانت العربية لغة العلم ، فكل من أراد أن يترك علما تقرؤه الناس لجأ إلى اللغة العربية ، فكتب وألف بها .

وتقول الدكتورة « سيجريد هونكه » فى كتابها فضل العرب على أوروبا ، أو شمس الله على الغرب : « إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وإن الدين الذى فى عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد .

إن العرب ظلوا ثمانية قرون يشعون على العالم ، علما وفنا وأدبا وحضارة ، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور ، ونشروا لواء المدنية ، أنى ذهبوا فى أقاصى البلاد ودانيها ، سواء فى آسيا أو أفريقيا أو أوروبا ثم تنكر أوروبا على العرب هذا الفضل .

وقد مرت الترجمة فى العصر العباسى بثلاثة أدوار : الأول من خلافة أبى جعفر المنصور ، إلى وفاة هارون الرشيد ، أى من عام ١٣٦ إلى ١٩٣ هـ . وقد نبغ فى هذا العهد عدد من التراجمة ، نذكر منهم « يحيى بن البطريق » « وجورجيوس بن بختيشوع » ، وعبد الله بن المقفع » « ويوحنا بن ماسويه » وغيرهم . وقد ولد المأمون فى السنة التى استخلف فيها هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ ولذلك سماه المأمون تيمنا وقد ولى المأمون الخلافة سنة ١٩٨ هـ ، وبها يؤرخ العصر الثانى من عصور الترجمة الذى استمر حتى سنة ٣٠٠ هـ واشتهر من التراجمة قسطا بن لوقا البعلبكى وحنين بن إسحق ، وابنه إسحق بن حنين وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة الحرانى .

وقد بذل المأمون جهده فى استخدام التراجمة ، وكان ينفق فى ذلك بسخاء ، حتى ليقال إنه كان يدفع وزن مايترجم ذهبا وكان يحرض الناس على قراءة الكتب ، ويرغبهم على تعليمها ، واقتدى به الكثيرون من أهل دولته فى بغداد ، فتقاطر إليها المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس ، وفيهم النساطرة واليعاقبة ، والصابئة ، والمجوس والروم والبراهمة . يترجمون من اليونانية

والفارسية والسريانية والسنسكريتية والقبطية واللاتينية وغيرها . وكثر فى بغداد الوراقون وباعة الكتب ، وتعددت مجالس العلم والمناظرة ، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون إلى عدد من خلفائه .

أما تراجمة الدور الثالث ويبتدئ من سنة ٣٠٠ هـ ، وينتهى فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، فكانوا أكثر اشتغالا بالمنطق والطبيعة ، منهم متى بن يونس ، وسنان ابن ثابت بن قرة ، ويعد حنين بن إسحق شيخ تراجمة العصر العباسى ، بلغ اهتمامه بترجمة الآثار اليونانية مبلغا عظيما ، فكان يجوب الأقطار فى طلبها والحصول عليها مثال ذلك كتاب البرهان لجالينوس الذى كان نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى ، وقال عنه حنين إنى بحثت عنه بحثاً دقيقاً وجبت فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى الإسكندرية ، ولم أظفر إلا بما يقرب من نصفه فى دمشق .

وقد ترجم حنين إلى العربية سبعة من كتب أبقراط ، وترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين كما راجع وأصلح ماترجمه تلاميذه . كذلك ترجم ستة كتب إلى السريانية ، وسبعين كتابا إلى العربية كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كانت ترجمت إلى السريانية ، ونقل أيضاً ثلاثة من كتب أوريباسوس ، وذلك بخلاف مانقله من كتب الفلسفة وغيرها لأفلاطون وأرسطو . وبلغت تآليفه الخاصة نحو ثلاثين كتاباً .

ومن أشهر تآليفه كتاب العشر مقالات فى العين ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم ماألف فى أمراض العيون بطريقة علمية منظمة . وقد نشره وحققه مايرهوف » ومن أخلد أعماله ترجمة كتاب التشريح لجالينوس .

أما ابنه إسحق ، فقد كان أوحد عصره فى علم الطب ، وكان يلحق بأبيه فى النقل والترجمة وفى معرفته باللغات وفصاحته فيها وله تصانيف كثيرة فى الطب والمنطق بلغت خمسة عشر كتابا .

ومنهم ثابت بن قرة ، وابناه إبراهيم وسنان ، وحفيداه ثابت وإبراهيم ، وكانوا من خيرة المترجمين ، وبلغت مؤلفات ثابت ثلاثة وعشرين كتابا ، منها خمسة فى الطب وباقيها فى الحساب والهندسة والفلك ، غير مانقل للأوائل من كتب المنطق ، والرياضيات والطب ، وكان يجيد اللغة اليونانية والسريانية والعبرية ، وترجم فى الرياضيات والمنطق والطب والتنجيم . ونبغ ابنه سنان بن ثابت فى الطب .

ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكى ، كان طبيباً حاذقا ، عالما باللغات اليونانية والسريانية والعبرية نقل كتبا كثيرة من اليونانية إلى العربية ، وأحصى ابن النديم ماله من كتب ، سوى ما نقل وشرح ، فبلغت خمسة وثلاثين كتاباً .

وفى عهد المأمون نبغ الخوارزمى ، الذى ولاه المأمون منصباً فى بيت الحكمة ، برز فى الرياضيات والفلك ، وهو أول من ألف فى الجبر ، بل أول من استعمل كلمة جبر للعلم المعروف بهذا الاسم ، ولكتابه فى الجبر قيمة علمية تاريخية ، ومنه عرف الغربيون علم الجبر . والخوارزمى أول من وضع كتاباً فى الحساب ، هو الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة . بقى زمنا طويلا مرجعا للعلماء ، وبقى عدة قرون معروفاً باسم الغوريتمى نسبة للخوارزمى . وكذلك ألف الخوارزمى فى الفلك ، وله بحوث مبتكرة فيه ، وله زيج يعرف بزيج الخوارزمى ويعتبر الخوارزمى من المجددين لجغرافية بطليموس .

وكذلك ظهر موسى بن شاكر فى عصر المأمون ، وسطع هو وبنوه الثلاثة محمد وأحمد وحسن فى سماء العلم ، نبغوا فى الرياضيات وخاصة الهندسة والفلك ، كانوا محل رعاية المأمون فقد انقطعوا للعلم .

كتبوا فى الآلات والحيل (الميكانيكا) واستعملوا القانون المعروف بقانون هيرون لتقدير مساحة المثلث ، إذا علم طول كل ضلع من أضلاعه ، ويعزى إليهم القول بالجاذبية العمومية بين الأجرام السماوية . يربط كواكب السماء بعضها ببعض ، ويجعل الأجسام تقع على الأرض . وقد كلفهم المأمون بقياس محيط الأرض . وقد قدروه بنحو أربعة وعشرين ألف ميل . وقد اختاروا مكانين منبسطين ، أحدهما فى صحراء سنجار ، حيث نصبوا الآلات وقاسوا الارتفاعات والميل والأفق ، وعلموا أن كل درجة من درجات الفلك يقابلها $\frac{2}{3}$٦٦ ميلا ، وتوافق الحساب مع ماعملوه فى أرض الكوفة ، وهو عمل علمى قيم .

وقد أحضر المأمون أيضاً « حنين بن إسحق » ، وكان فتى السن ، وأمره بنقل مايقدر عليه من كتب الحكماء اليونانين إلى اللغة العربية ، وإصلاح ماينقله غيره : ومما يحكى عنه أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ماينقله من الكتب مثلا بمثل . وقال أبوسليمان المنطقى ، إن بنى شاكر ، كانوا يرزقون جماعة من النقلة ، منهم حنين بن إسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة كانو يرزقونهم فى الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

ويقول « صاعد الأندلسى » : إنه لما أفضت الخلافة . إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، تمم مابدأ به جده المنصور ، فأقبل على طلب العلم فى مواضعه ، وداخل ملاك الروم ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب ، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس ، واستجاد لها مهرة التراجمة ، وكلفهم أحكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم فى تعليمها ، وكان

يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم ، علما منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده ، وأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة ، وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك ، ومن نزع منزعهم من التنافس فى دقة الصناعة العلمية ، والتباهى بأخلاق النفس والتفاخر بالتقوى ، إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها ، وتفضلهم فى كثير منها ، فلهذا السبب ، كان أهل العلم مصابيح الدجى ، وسادة البشر ، وأوحشت الدنيا لفقدهم[1] .

ذلك هو عبد الله المأمون ، الذى قاد أكبر نهضة علمية فى العصر الإسلامى ، كان له الفضل أعظم الفضل فى حركة النقل والترجمة والتأليف العلمى ، فى المعارف بعامة ، والمعارف العلمية بخاصة . ولذا جاز لنا أن نقول بحق ، إن الحضارة الإنسانية مدينة لعبد الله المأمون ، الخليفة العباسى ، الذى رعى العلم والعلماء ، وسخا فى الإنفاق على العلم والحركة العلمية ، وجمع فى بغداد صفوة من العلماء والمترجمين ، وأنشأ دور الكتب والمراصد وتاهت بغداد على سائر العواصم بالخليفة العالم « عبد الله المأمون » .

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

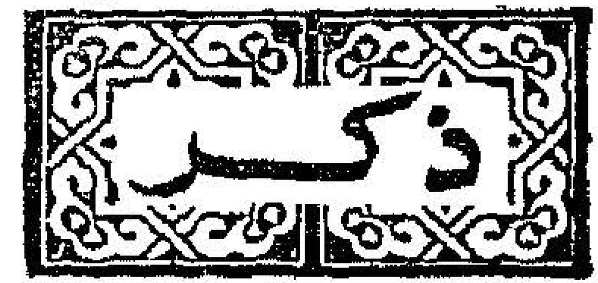


---

١ — عصر المأمون . فريد رفاعي

ما معنى يوم التغابن

للدكتور أحمد الحوفى



ذكر القرآن الكريم أسماء كثيرة ليوم القيامة ، منها يوم التغابن فى قوله سبحانه وتعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ، ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ [1] » .

فما معنى التغابن .

لابد لمعرفة هذا المعنى من أن أعرض ما قاله بعض المفسرين لأنه يمثل رأيهم جميعا ، وأعقب على ما قالوه ، ثم أعتمد على اللغة لعلنى أهتدى إلى صواب .

(١)

ذكر الطبرى أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون فيه أهل النار ، وعزز رأيه هذا بروايتين عن مجاهد وعن قتادة [2] .

لكنه لم يوضح سبب هذا الغبن أو طريقته ، ولسنا نستطيع أن نتصور أن الناس يغبن بعضهم بعضا فى هول القيامة . ورهبة الحساب .

ثم إن غَبْنَ أهل الجنة لأصحاب النار لايُسَمَّى تغابنا ، لأن الغبن من طرف واحد ، والتغابن إذا فسرناه بما فسره الطبرى وهو الظلم لابد أن يكون تفاعلا من طرفين .

وذهب الزمخشرى إلى أن التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لأن السعداء نزلوا منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ، ولأن الأشقياء نزلوا منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء ، وقال إن فى هذا تهكما بالأشقياء ، لأن نزولهم ليس بغبن ، وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم ، ولكن التغابن فى ذلك اليوم هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا وإن جلّت وعظمت [3] .

---

(١) سورة التغابن آية : ٩

(٢) تفسيرا لطبرى ٢٨ / ٧٩

(١) تفسير الزمخشرى ٤ / ١٠٥

وهذا تقسيم عجيب من الزمخشرى ، لأنه من غير المعقول أن يغبن السعداء الأشقياء على وَهْم لاحقيقة له، وهو أنهم نزلوا فى منازل الأشقياء التى كان الأشقياء يستحقونها لو كانوا سعداء ، وأن الأشقياء نزلوا فى منازل السعداء التى كانوا يستحقونها لو كانوا أشقياء .

على أن هذا لايتفق وقوله تعالى فى وصف أهل الجنة : « وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم من غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين[1] » فكيف يغبن أهل السعادة أصحاب الشقاء ؟

وقد عقب النيسابورى على رأى الزمخشرى بقوله : فى تسمية القسم الأخير تغابنا نظر ، إلا أن يفرض أن نزول الشقى فى ذلك المنزل يزيد عذابه ، وزيادة العذاب سبب تضييق المكان عليه .

ثم قال : ويجوز أن يفسر التغابن بأنه أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وحمل الظالم خطايا المظلوم ، وإن صح مجىء التغابن بمعنى الغبن فذلك واضح فى حق كل مقصر صرف شيئا من استعداده الفطرى فى غير ما أعطى لأجله[2] .

وهذا رأى مردود ، لأن أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وتحمل الظالم خطايا المظلوم يتنافى والعدل الإلهى المطلق الذى نطقت به آيات كثيرة ، مثل قوله سبحانه وتعالى : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ[3] » ، وقوله تعالى : « مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[4] » وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَايَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[5] » وقوله سبحانه : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا[6] »

أما ابن كثير فقد ذكر رواية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أن يوم القيامة سمى يوم التغابن لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، وذكر رواية عن مقاتل بن حيان أنه لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الجنة ويذهب الآخرون إلى النار[7] .

(١) سورة الحجر ٤٧
(٢) تفسير النيسا بورى على هامش الطبرى ٢٨ / ٧٩
(٣) سورة المدثر ٣٨
(٤) سورة الإسراء ١٥
(٥) سورة النساء ٤٠
(٦) سورة الأنبياء ٤٧
(٧) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٧٥

وقد سبق تفنيد هذا الرأى وإبطال دعوى الغبن ، لأن أهل الجنة استحقوها بإيمانهم وعملهم ، ولأن أصحاب النار استحقوها بكفرهم ، فلا غبن ولا عدوان .

وهناك رأى آخر قاله أبو حاتم أحمد ابن حمدان الرازى وهو أن اليوم سمى يوم التغابن لأن المغبون هو الذى انكشفت سرائره فى ذلك اليوم ، فيظهر ما اكتسبه فى الدنيا من عبادة غير الله بعد أن قدّر أن اهتدى وأنه ينجو ، فيكون أمره كما قال الله عز وجل : « وقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً »[1] فهذا هو المغبون ، مثل المغبون فى الدنيا الذى يشترى سلعة أو يبيعها فيقدر أنه ربح ، فإذا انكشف أمره ظهر أنه خسر ، فيقال له مغبون[2] . ولكن هذا تعليل غير مقبول ، لأن الذى عبد غير الله تعالى يستحق العقاب ، فلا يسمى مغبونا ولأن التغابن تفاعل ، وشتان ما بين الغبن والتغابن .

وأما مجمع اللغة العربية فإنه فسر التغابن بأنه تفاعل كما سبق فى قول الزمخشرى وابن كثير ، لأن السعداء فى الدنيا نزلوا فى ذلك اليوم منازل الأشقياء ، ولأن الأشقياء فى الدنيا نزلوا فى منازل السعداء ، إذ تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم فى الدنيا[3] .

وإذا كنت قد رددت على هذا الرأى فإننى أزيد على ما تقدم أنه كان الجدير بتسمية اليوم فى هذه الحالة أن يسمى يوم الإنصاف أو يوم التبادل أو ما شاكل هذا ، وأضيف ردا آخر أنه ليس من الحتم أن يصير سعداءُ الدنيا إلى شقاء ، وأن يصير أشقياء الدنيا إلى سعادة ، وليس من الصواب أن نعلل لتسمية اليوم بتقديرهم أو بظنهم وهم فى دنياهم .

ثم ذهب الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى أن اليوم سمى يوم التغابن لأن الناس يرون فيه أنهم غبنوا أنفسهم فى الدنيا ، فلم يأخذوا حقهم كاملا فيها ، ولم يستوفوا المطلوب منهم للحياة الأخرى ، فكل إنسان يبدو له فى يوم القيامة أنه مغبون فى دنياه سواء أكان محسنا أم مسيئا ، أما المحسن فلأنه لم يزدد إحسانا ليزداد ثوابا ، وأما المسىءُ فلأنه

(١) سورة الفرقان ٢٣

(٢) كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ٢ /٢٢٧

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة غبن .

يرى أنه ظلم نفسه إذ أطلق العنان لشهواته[1] .

والرد على هذا أن اليوم يوم حزن وندم وحسرة وتأنيب شديد للنفس ، وليس يوم غبن أو تغابن بمعنى الظلم أو الشعور بظلم .

(٢)

لنرجع إلى اللغة عسى أن نهتدى إلى المعنى المراد من الكلمة فى الآية الكريمة .

جاء فى اللغة : غَبَن الرجل الرجل فى البيع يَغْبِنه – من باب ضرب – أى خدعه وظلمه ، والتغابن أن يغبن القوم بعضهم بعضا .

وغَبِن الرجل رأيه وغَبِن فى رأيه غَبْنا وغَبَنا – مثل فهم يفهم فهما وفرح يفرح فرحا – أى نسيه وأغفله وجهله وضيعه وغلط فيه .

وغَبَن فلانٌ فلانا يَغْبنه غَبْنا – من من باب ضرب – أى مرَّ به وهو ماثل فلم يره ولم يفطن له[2] ، وفى هذا المعنى مثل ما فى السابق من غفلة ونسيان واشتغال .

(٣)

وأغلب ظنى أن المفسرين أخذوا معنى التغابن من الغبن بمعنى الظلم ، والعجيب أن ابن منظور مؤلف لسان العرب ذهب مذهبهم ولم ينتبه إلى بقية ما ذكره فى المادة نفسها .

ثم تكلفوا له تفاعلا بين اثنين كل منهما يغبن الآخر ، أو تفاعلا بين الانسان ونفسه ، فهو فى نظرهم مثل التنازع والتشارك والتقاتل والتنادى .

لكننى أرجح أن التغابن تفاعل بين اثنين بمعنى آخر ، لأنه من الغبن على وزن الضرب ، وقد نصت اللغة على أن معناه الإغفال والذهول ، حيث إن الذهول الشديد والإغفال الصارف والاشتغال الطاغى يعم الناس جميعا ، فينحصر كل منهم فى نفسه ، ويذهل عن سواه ، وينصرف عن أحب أحبائه ، فهو إذن ذاهل ومذهول عنه ، ومن هنا يتحقق التفاعل أى تبادل الذهول والاشتغال والغفلة .

وليس من المستطاع أن نتصور ذهولا أشد مما صوره سبحانه وتعالى فى قوله : «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ

(١) التفسير القرآنى للقرآن ٢٨ / ٩٨

(٢) لسان العرب مادة غبن .

السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُم بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ (١) » .

وفى قوله تعالى « يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وأُمِّهِ وأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٢) » .

أو أن التغابن من الغَبْن أو الغَبَن — على وزن ضرب وسبب — بمعنى النسيان والجهل والغفلة والانصراف ، لأن الناس يوم القيامة يصابون بأهوال تفزعهم وتذهلهم وتشغلهم وتنسيهم ، فيصير كل منهم فى ذهول شديد ونسيان تام ، ولكن الصيغة جاءت على وزن تفاعل للمبالغة لا للدلالة على مشاركة ، ولها نظائر كثيرة فى اللغة منها تبارك الله تعالى أى تقدس ، وتعالى الله أى علا علوا كبيرا ، وتقادم العهد أى قدم جدا ، وتطاول الزمن أى طال كثيرا ، وتفاقم الأمر أى اشتد اشتدادا ، وتناثر الحب أى انتشر انتشارا ، وتكاثر الناس أى كثروا كثرة ، وتوافدوا أى قدموا وفودا ، وتحامى الرجل كذا أى احتمى منه احتماء ، وتصاغرت نفس فلان أى صارت صغيرة ذليلة ، وتعاطى الشىء أى تناوله مرات ، وتماثل العليل للشفاء أى قاربه .

وليس فى صيغة من هذه الصيغ تفاعل أو مفاعلة بين اثنين أو طرفين .

وسواءٌ ذهبنا إلى أن التغابن تفاعل من الغبن بمعنى الذهول الطاغى والاشتغال الفادح ، أوأنه مبالغة من الغبن بهذا المعنى ، فإن هذا أو ذاك أولى بالقبول من القول بأن التغابن من الغبن بمعنى الظلم أو الخداع ، وأسلم مما يجره هذا القول من تكلف وافتراض ، وأقرب إلى المعنى اللغوى الذى نصت عليه المعاجم ، وأجدر بهول يوم القيامة كما صوره القرآن الكريم .

أحمد الحوفى
عضو المجمع

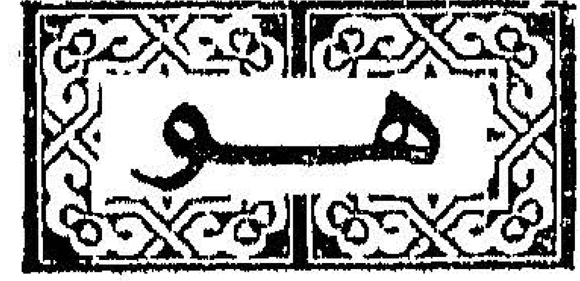
(١) سورة الحج ١ — ٢ .

(٢) سورة عبس ٣٤ — ٣٧ .

أبو عمرو

الشيباني


للدكتور مراد كامل


هو أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني. يذكر في المعاجم بكنيته « أبو عمرو » ولما كان معاصره أبو عمرو بن العلاء يذكر بنفس الكنية في كتب اللغة ، حدث اللبس أحيانا : وفرق أبو عبيد بينهما فذكر الشيباني بكنيته فقط وذكر أبا عمرو بن العلاء باسمه كاملا تفاديا للبس وسار على هذا النهج في كتابه « غريب المصنف » وقد رجعنا إلى ترجمته في كتاب المعارف لابن قتيبة ، والزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ، ونور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني ، وكتاب الفهرست لابن النديم ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الإنباري ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، وطبقات النحاة واللغويين للقاضي شهبة :

وقد أوردت هذه المصادر على حسب ترتيبها الزمني :

إن ما وصلنا عن حياة الشيباني قليل : ولد في شهر رمضان بالكوفة ، وعاش أكثر حياته في الكوفة ثم انتقل إلى بغداد حين أصبحت بغداد مركزا يستهوي العلماء إليه .

كان الشيباني من علماء اللغة المرموقين في عصره تتلمذ عليه كثير من العلماء نذكر منهم ابن السكيت وأبي عبيد والطوسي واللحياني والامام أحمد بن حنبل .

لم تنوه لنا المصادر بسنة مولده ، واختلفت في سنة وفاته : ذكر القفطي في الانباه أنه توفي سنة ٢٠٦ هـ وفي موضع آخر ٢١٦هـ وجاء في تاريخ بغداد أن سنة وفاته ٢١٠ هـ وحدد المرزباني في المقتبس سنة وفاته ٢١٣ هـ وهي السنة التي ذكرها صاحب الفهرست وابن خلكان .

أما إذا أردنا أن نحقق عام وفاته رجعنا إلى بعض الملابسات في حياته لنتبين السنة : يشير ياقوت في الإرشاد إلى نزاع قام بين الشيباني وبين اسماعيل بن حماد من المعتزلة المتوفى سنة ٢١٢ هـ وذلك حول رأي المعتزلة في خلق القرآن . وفي رواية أخرى لهذا الحادث ورد في لسان الميزان لابن حجر

على لسان الشيباني يذكر أن هذا الجدل تم بعد أن عين ابن حماد قاضيا لبغداد بفترة قصيرة . ويحدد الطبرى هذا الحدث بسنة ٢٠٨ هـ ، ويحيل إلى أن هذا الجدل وقع على الأرجح عام ٢٠٨ هـ لأنه كما يذكر الطبرى — كان فى عصر المأمون الذى دخل بغداد سنة ٢٠٤ هـ وأخذ تفضيله لرأى المعتزلة يتطور حتى وصل قمته فى المرسوم الذى أصدره سنة ٢١٢ هـ . ولهذا نستبعد أن تكون سنة وفاته ٢٠٦ هـ .

فاذا قدرنا أن الشيباني عاش بعد جدله مع ابن حماد بعض الوقت وكما ذكر ابن حجر أن هذا حدث بعد أن عين ابن حماد قاضيا لبغداد بفترة قصيرة ، وأخذنا فى الاعتبار أيضا ما ورد فى تاريخ بغداد بأن وفاته وقعت فى نفس السنة التى توفى فيها أبو العتاهية وهى سنة ٢١٣ هـ رجحنا أن ما ذكر عن أن وفاته كانت سنة ٢١٣ هـ هو أرجح تاريخ .

وجاء فى تاريخ بغداد أن الشيباني عاش ٩٠ سنة ، وفى تهذيب اللغة للأزهرى أنه عاش ١٠٠ سنة ، وفى الانباه للقفطى أنه عاش ١٠٢ سنة ، وفى الفهرست لابن النديم أنه بلغ ١١٠ سنة ، وفى نور القبس المختصر من المقتبس للمرزبانى أنه عمر ١١٨ سنة ، وفى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى أنه عاش ١١٩ سنة . أى أن الشيباني على اختلاف الآراء يكون قد عاش بين ٩٠ سنة و١١٩سنة وعلى هذا يكون عام مولده نحو سنة ١٢٠ هـ .

تلقى الشيباني علمه على يد أساتذة مشهورين ذكر منهم الذهبى فى ميزان الاعتدال : ركن الشامى المتوفى سنة ١٦٠ هجرية ، وذكر منهم الأزهرى فى تهذيب اللغة : المفضل الضبى .

وجه الشيباني همه فى جمع الأشعار والألفاظ .

أخذ الشيباني عن علماء اللغة ومنهم من له تآليف فى اللغة ، أخذ عن أبى زياد الكلابى وهو يذكر : أنشدنى الكلابى أو أنشدنى أبو زياد بحدة أبيه ومصادره فى اللغة — فيما عدا الكلابى — من العسير إثباتها لأن أكثر المصادر اللغوية التى يحتمل أنه أخذ منها أو استعان بها تعد فى حكم المفقودة .

أما مصادره فى الشعر فأكثرها معروف :

١ — دواوين الشعر وقدعددها ابن النديم فى الفهرست ، هذا وقد تعرض لها أمجد الطرابلسى فى رسالته بالفرنسية عن نقد الشعر عند العرب .

٢ — أشعار القبائل أى أنه كان يجمع ديوانا لشعر كل قبيلة على حدة ، وتوصل إلى جمع أكثر من ثمانين ديوان . ذكر ذلك ابن النديم فى الفهرست والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد وابن الأنبارى فى نزهة الألباء ونص ذلك « فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفا وجعله

فى مسجد الكوفة حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا بخطه » وقد ترجم المستشرق سلهايم هذه الفقرة فى كتابه عن الأمثال العربية أن مجموعة هذه الدواوين علقت فى مسجد الكوفة ، والمفهوم قطعاً أن هذا الخبر يشير إلى أن الشيبانى كان كلما انتهى من جمع ديوان نسخ نسخة من المصحف وعلقه فى مسجد الكوفة . ويخيل إلىّ أن العالم فى القرون الأولى للاسلام كان عليه أن يعنى بالقرآن وما يتصل به من دراسات ، وأنه إذا اهتم بغير ذلك من الدراسات أن يكفر عن ذلك بنسخ صورة من القرآن عن كل كتاب يؤلفه ويضع نسخة القرآن فى المسجد .

والحقيقة أنه لم يصل إلينا أى ديوان من هذه الدواوين إلى الآن . وفى القرن السابع عشر الميلادى وقع لعبد القادر البغدادى ديوان أشعار تغلب وديوان أشعار بنى محارب وقد ذكر ذلك فى خزانة الأدب . وإذا رجعنا إلى ديوان الهذليين للسكرى ، وهو الديوان الفريد الذى وصل إلينا من دواوين القبائل ، قدرنا أن دواوين القبائل كانت على هذا المنوال . ويذهب أمجد الطرابلسى فى رسالته عن نقد الشعر عند العرب أن ديوان الهذليين للشيبانى أفاد منه السكرى .

وحين ألف الآمدى كتابه المؤتلف والمختلف كان تحت يده عدد من دواوين القبائل ، وربما كان من بينها بعض الدواوين التى جمعها الشيبانى ، وذكر أن ثمانية من هذه الدواوين التى وقعت له كانت بخط الشيبانى ، ومع ذلك لم نظفر بالشواهد التى أوردها الآمدى من هذه الدواوين فى كتاب الجيم للشيبانى .

يقول الدكتور طه حسين فى كتابه« فى الأدب الجاهلى صفحة ١٩١ طبعة ١٩٢٧م « وهناك راوية كوفى لم يكن أقل حظا من صاحبيه هذين (يقصد : حمادا وخلف) فى الكذب والنحل ، كان يجمع شعر القبائل » حتى إذا جمع شعر قبيلة كتب مصحفا بخطه ووضعه فى مسجد الكوفة ، ويقول خصومه : إنه كان ثقة اولا إسرافه فى شرب الخمر . وهو أبو عمرو الشيبانى ، ويقولون إنه جمع شعر سبعين قبيلة . وأكبر الظن أنه كان يؤجر نفسه للقبائل ، يجمع لكل واحدة منها شعرا يضيفه إلى شعرائها . وليس هذا غريبا فى تاريخ الأدب . . . إلا إذا فسدت مروءة الرواة كما أفسدت مروءة حماد وخلف وأبى عمرو الشيبانى ، وإذا أحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والنحل ككسب المال والتقرب إلى الأشراف والأمراء والظهور على الخصوم والمنافسين ونكاية العرب نقول : إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء » .

وأنه لمن العسير أن نبدى رأيا فى الدواوين التى جمعها الشيبانى لأننا لم نعثر على

ديوان واحد منها إلى الآن ، وإنه ليس من اليسير أن نجمع هذه الدواوين من بطون الكتب لأن المؤلفين الذين أتوا بعده استعانوا بنصوص مختلفة ولم يقتصروا على الأخذ عن الشيباني .

وقد ننجح فى بعض الحالات أن نستقصى ما جمعه الشيبانى فهو يستشهد من معلقة زهير بن أبى سلمى بتسعين شاهدا فى كتاب الجيم ، ونحن نعلم أن معلقة زهير وصلت إلينا فى نصين : نص للأصمعى فى شرح الشعراء الستة للشنتمارى ، ونص متأخر لثعلب أو للسكرى وهذا النص اعتمد بدوره على نصوص مختلفة ومنها نص الأصمعى ونص الشيبانى :

وتتفق رواية الأصمعى مع الشيبانى فى ٤١ شاهدا من قصيدة زهير فيما عدا خمس أبيات يقول الأصمعى إنها مولدة ، ويقول ثعلب فى هذا « ورواه أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعى أنها مولدة » وتتفق رواية كتاب الجيم مع شرح ثعلب وللأصمعى فيها قراءة مختلفة . وفى بعض الحالات تتفق قراءة ثعلب مع ما جاء فى كتاب الجيم وثعلب يرجع بها إلى الشيبانى ، وأحيانا نجد أن الشاهد فى كتاب الجيم يختلف عن شرح ثعلب على الرغم من أن ثعلب ينسبها إلى الشيبانى وهو على ما يظهر يتفق مع الأصمعى مثلا فى كتاب : « الجيم » أواسر يمزعن مزع الظباء « وعند الأصمعى « عوابس يمرعن مرع الظباء واختلاف القراءة راجع إلى الرسم أى من أخطاء النساخ ، وعند ثعلب «جوانح يخلجن خلج الدلاء » . ونلاحظ أن أكثر شواهد معلقة زهير عند الشيبانى لم ترد عند الأصمعى ولكنها وردت فى شرح ثعلب وهى ٣٧ شاهدا . ويتبقى من التسعين شاهدا للشيبانى اثنا عشر بيتا لم نجدها عند الأصمعى أو عند ثعلب ونخلص من هذا أن ديوان زهير الذى استشهد به الشيبانى فى كتاب الجيم كان أكمل مما كان تحت يد الأصمعى .

وعلى الرغم من الاتفاق فى الرواية ، فى كثير من المواضع ، بين الشيبانى وبين ثعلب أو السكرى ، فإن الأصل ، الذى أخذ عنه كل منهما لم يكن واحداً ، وتعليلنا لهذا الاختلاف بين ما أورده الشيبانى فى كتاب الجيم وبين ما ذكره ثعلب عن الشيبانى ، أن ثعلب حين أخذ عن الشيبانى لم يأت بالقراءات المختلفةو لكنه — على الأرجح — اكتفى باحداها .

والذى جرى فى حالة زهير نراه قد حدث حين ذكر الشيبانى غيره من الشعراء أى أن مصدره كان أوفى من المصادر التى وقعت لنا .

فالشيبانى قدم لنا فى الواقع مادة غزيرة من الشعر العربى القديم .

أما عن صحة الشعر الذى انفرد الشيبانى به ، وبخاصة عن شعراء الجاهلية والمخضرمين

فعلينا أن نحتاط قبل أن نصدر حكمنا إذا كان الشعر صحيحا أو منحولا .

وقد يدلنا على مقدار ما يقع للشيبانى من شعر واختياره الصحيح من المنحول ، ما جاء فى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت :

« وحدث يونس بن حبيب قال : دخلت على أبى عمرو الشيبانى وبين يديه قمطر فيه أمناء من الكتب يسير ، فقلت له : أيها الشيخ ، هذا علمك؟ فتبسم إلىّ وقال : إنه من صدق كثير » وروى هذا الخبر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد : « هذا جميع علمك – . . . إنه من صدق كثير » وأورد القفطى هذه العبارة فى إنباه الرواة على أنباه النحاة : « هذا جميع عملك . . إنه من صدق كثير » أما ابن الأنبارى فى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء فذكر هذا هذا الخبر بشكل مخالف : « هذا جميع علمك ... هذا من صندوق كبير » ولاندرى من أين استقى ابن الأنبارى هذا النص . وأقدم نص لهذا الخبر ما جاء فى تاريخ بغداد .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الخبر يراد به أن الشيبانى كان ناقدا للشعر ، ولا ندرى بماذا نعلل أن الشيبانى استشهد بأبيات لزهير شك فى نسبتها الأصمعى .

مؤلفاته :

كتاب النوادر وقد ذكره الخارزنجى فى تكملة العين والأزهرى فى التهذيب . وصحح أخطاءه أبو القاسم على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة وتحدث ابن النديم عن كتاب النوادر مرتين فى الفهرست .

وكتاب خلق الانسان وقد ذكره الفهرست لابن النديم .

وكتاب النحلة جاء ذكره أيضا فى الفهرست .

وكتاب الإبل ذكره المرزبانى فى نور القبس المختصر من المقتبس .

وكتاب غريب الحديث ذكره ابن النديم فى الفهرست ، ويعزى كتاب بهذا العنوان لابنه عمرو بن أبى عمرو الشيبانى .

كتاب شرح الفصيح ذكره له الفهرست وهو غير كتاب فصيح ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ويذهب المستشرق فلوجل فى كتابه عن المدارس النحوية أن كتاب الفصيح يعزى إلى أبى عمر الزاهد المسمى غلام ثعلب ، ومن هنا جاء اللبس .

وقد ضاعت مؤلفاته بعد موته بفترة قصيرة ووقع لابن النديم كتاب النوادر كما وقع لعبد القادر البغدادى ديوانان من الدواوين التى جمعها الشيبانى ، وجاء ذلك عند ذكر مصادره فى كتاب خزانة الأدب .

ولم يصل إلينا من مؤلفاته إلا كتاب الجيم والذى يشار إليه فى بعض المصادر بكتاب الحروف .

مراد كامل

عضو المجمع

تحقيق لسان العرب

فى الجزء الحادى عشر من طبعة بولاق

للأستاذ عبد السلام هارون

(٤)

٧٣٠ – (رجف) ١١ س ٢٤ وبيروت (٩ : ١١٢) والمخطوطة ، قول الراجز :

* ظلّ على رأسه رجيف *

والشطر بهذا الوضع مختل الوزن، وصواب إنشاده :

* ظلّ لأعلى رأسه رجيفُ *

كما فى مجالس ثعلب ٤٥٣ وهو ثانى أشطار أربعة أنشدها ثعلب .

٧٣١ – (رعف) ٢٢ س ٢ وبيروت ١٢٣ والمخطوطة : « قال عمرو بن لجأ » والشاعر إنما هو « عُمَر » . وهو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامى ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير . الأغانى ١٩ : ٢٢ والنقائض ٤٨٧ – ٤٩١ وابن سلام ١٥٠ والمرزبانى ٤٧٨ والموشح ١٢٧ – ١٢٩ والشعراء . وانظر تاج العروس (لجأ) .

٧٣٢ – (ريف) ٢٨ س ١٢ وبيروت ١٢٩ قول الراجز :

* جوّاب بيداء بها غُرُوفُ *

وليس للغُروف هنا وجه ، ولا هى مما يصحّ فى العربية . وصوابها « عَزُوف » كما فى المخطوطة والحماسة برواية التبريزى . كما أن رواية المرزوقى فى الحماسة ١٥٣٥ : « عروف » بالعين والراء المهملتين ، وفسّره بأنه البليغ المعرفة بالبيداء ، أو هو الصّبور . وقال المرزوقى : « ويروى : جوّاب بيدٍ أيّةٍ عَروف » .

٧٣٣ – (زحف) ٣٠ س ٤ وبيروت ١٣٠ والمخطوطة ، قول بشر بن أبى خازم :

قال ابن أُمِّ إياسٍ ارحَلْ ناقتى
عمرٌو فتبلغُ حاجتى أو تُزحِفُ

ولم تضبط « عمرو » فى المخطوطة . وصواب أوله : « فإلى ابن أمّ أناسَ » وبمنع « أناسَ » من الصرف للضرورة ، كما فى ديوان بشر ١٥٥ والخزانة ١ : ١٤٩ هارون ، والقصائد السبع الطوال ٥٠٠ . قال البغدادى : « وأم أناس بنت ذهل بن شيبان . وعمرو هو عمرو بن حُجر

(١) متابعة لما نشر فى الأجزاء السابقة من المجلة .

الكندى » كما أن صواب الضبط «عمرٍو» بالجر . وأما « ارحَلْ » فقد وردت فى المخطوطة « ازحل » بالزاى ، وصوابُهما « أرحَلُ » بالراء وبرفع المضارع كما فى المراجع المتقدمة .

٧٣٤– (زحلف) ٣١ س ١٥ وبيروت ١٣١ والمخطوطة أيضاً : « وقال مزاحف العقيلى » . وليس فى شعرائهم من يدعى « مزاحفاً » ، وإنما هو « مزاحم » . وهو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوى إسلامى صاحب قصيد ورجز ، كان فى زمن جرير والفرزدق . وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . انظر الأغانى ١٧ : ١٥٠ والخزانة ٣ : ٤٥ بولاق .

٧٣٥– (زلف) ٤٠ س ٩ « قال له إنى حججت من رأس هِرًّا وخارَك » وفى المخطوطة : « رأس هرٌّ أو حارك » بالحاء المهملة . وصوابهما « من رأس هرٌّ أو خارَك » كما فى طبعة بيروت ١٤٠ . وفى اللسان : « خارَك موضع من ساحل فارس يرابَط فيه » . وانظر معجم البلدان .

٧٣٦– (سخف) ٤٦ س ١٦ وبيروت ١٤٦ والمخطوطة أيضاً قول الشاعر :

ولقد رأيتك بالقوادم مرة
وعلىَّ من سدف العشى لياحُ

والصواب « رياح » بالراء كما فى اللسان (روح ٢٩١) وشرح القصائد السبع الطوال ١٥٠ وفى اللسان أن «رياح» بكسر الراء وقال : « فسَّره ثعلب فقال إن معناه وقت » . وفى اللسان (روح) : « بالقوادم نظرة » . والقوادم : اسم موضع فى بلاد غطفان ، وفيه يقول زهير :

عفا من آل فاطمة الجواء
فيمن فالقوادم فالحساء

٧٣٧– (سلف) ٦٢ س ٧ – ٩ وبيروت ١٦١ والمخطوطة : « والسُّلْفَة بالضم : الطعام الذى تتعلَّل به قبل الغذاء . . . وهى اللُّهنة يتعجلها الرجل قبل الغِذاء » ، صوابهما « الغَدَاء » بفتح العين وبالدال المهملة ، وهو الطعام بعينه ، أو هو طعام الغدوة أوّلَ النهار ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس . » .

٧٣٨ – (شرف) ٧٥ س ٦ وبيروت
١٧٣ والمخطوطة أيضاً قول بشر :

وطائر أشرف ذو حزرة
وطائر ليس له وكرُ

والصواب « ذو جُرْدة » كما فى الحيوان ٦ : ٢٨٧ ، ٣٢١ وقد جاء فى اللسان فى تفسيره : « قال عمرو : الأشرف من الطير الخفاش ، لأن لآذانها حجماً ظاهراً . وهو منجرد من الزف والريش » .

وهذا النص مقتبس من الحيوان ٦ : ٣٢١ حيث ورد هذا التفسير مع خلاف يسير . وعمرو هذا ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وبشر هو بشر ابن المعتمر المتكلم .

٧٣٩ – (شسف) ٧٧ س ١٨ وبيروت
١٧٦ والمخطوطة كذلك ، قول ابن مقبل

إذا اضطغنت سلاحى عند مَغرِضها
ومِرفقٍ كرئاس السيف إذ شسفا

وصواب روايته « ثم اضطغنت سلاحى » كما فى اللسان (رأس) عند نقله لتصحيح ابن برى . وقبل هذا البيت فى الديوان ١٨٦ :

وليلة قد جعلت الصبحَ موعدَها
بصُدرة العَنْس حتى تعرف السَّدَفا

٧٤٠ – (شسف) ٨٢ س ٩ وبيروت
١٨٠ قول الشاعر :

تغترق الطرف وهى لاهية
كأنَّما شَفَّ وجهها نُزْفُ

والصواب « نُزُف » كما فى المخطوطة . وديوان قيس بن الخطيم ١٠٤ والنزف ، أصله بضمة واحدة على النون ، وحرك بضمة أخرى على الزاى للوزن . وفسره ابن منظور بأنه الضَّعف الحادث عن النزيف ، أو هو الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان . وهو اسم من النزف بالفتح . وأول القصيدة :

رد الخليط الجمال فانصرفوا
ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

٧٤١ – (صيف) ١٠٥ س ٩ وبيروت
٢٠٢ والمخطوطة أيضاً قول أبى زُبيد :

كُلَّ يوم ترميه منها برشقٍ
فمصيفٌ أوصافَ غيرَ بعيدِ

والرشق بالفتح : الرمى ، وبالكسر : الوجه من الرمى . و « مُصيف » خطأ ،

والصواب « فمصيب » من الإصابة ، أى يصيب الهدف ، وهذا الصواب قد ورد فى اللسان (رشق) وديوان أبى زبيد ص ٤٢ .

٧٤٢ ـ (ضعف) ١٠٧ س ٢ ـ ٣ وبيروت ٢٠٤ والمخطوطة : « ابن الأعرابى : رجل مضعوف ومبهوت ، إذا كان فى عقله ضعف » . و « المبهوت » لا وجه له هنا ، فإنما هو المأخوذ بغتةً ، أو الذى يُواجَه بالكذب ، أو الذى يكذب عليه . وصوابه « مهبوت » بتقديم الهاء ، وهو الذى فى عقله هبتة ، أى ضعف . ويقال مهبوت وهبيت أيضاً . قال طرفة :

فالهبيت لا فؤاد لـه
والتثبيت قلبـه قيمه

٧٤٣ ـ (ضيف) ١١٣ س ٥ وبيروت ٢١٠ والمخطوطة ، عند قول البعيث :

لقًى حملته أُمه وهى ضيفة
فجاءت بيتن للضيافة أرشما

قال : « وحرَّفه أبو عبيدة فعزاه إلى جرير » . صوابه « أبو عبيدٍ » ، كما فى اللسان (رشم) . وانظر المخصص ٣ : ٦٦ ١٧ : ٣٠ .

٧٤٤ ـ (طرف) ١١٨ س ٩ وبيروت ٢١٥ قول الحطيئة :

وما كنت مثل الهالكى وعرسِه
بغَى الودَّ من مطروفة الود طامح

والذى فى المخطوطة وديوان الحطيئة ٦٣ : « مثل الكاهلى » ، فكان من الواجب أن يبقى النص كما هو وينبه على صوابه . والهالكى : الحدَّاد ، وقيل الصيقل . وكان الهالك بن عمرو بن أسد ابن خزيمة حدادا ، فنسب إليه الحدادون ، كما قيل لبنى أسد القيون . قال لبيد :

جنوح الهالكى على يديه
مكباً يجتلى نقب النصالِ

وقال آخر :

ولاتك مثل الهالكيِّ وعرسِه
سَقَتْه على لَوح سِمامَ الذرارح

٧٤٥ ـ (طفف) ١٢٤ س ١ وبيروت ٢٢١ قول علقمة الفحل :

يظلُّ فى الحنظل الخطبانِ ينقفه
وما استطفَّ من التنوم مَخْذوم

وهذا صواب ، لكن الذى فى المخطوطة « محدوم » بالدال المهملة ، فكان ينبغى

أن ينبه عليه . ورواية « محذوم » تطابق رواية ديوان علقمة ١٣٠ والمحذوم من الحذم وهو القطع . وفى المفضليات ٣٩٩ : « مخذوم » بالخاء والذال المعجمتين ، والروايتان بمعنىً واحد ، يقطع ما استطف من التنوم ليأكله .

٧٤٦ – (طفف) ١٢٧ س ٥ وبيروت ٢٢٣ والمخطوطة أيضاً قول الكميت :

أوينَ إلى ملاطفة خضـــودٍ
مآكلهن طفطاف الربولِ

صوابه « لمآكلهنّ » كما فى الصحاح . والبيت لم يرد فى ديوان الكميت تحقيق داود سلوم .

٧٤٧ – (طفف) ١٢٧ س ٨ وبيروت ٢٢٣ والمخطوطة أيضاً : « وأنشد :

* تحدم طفطافاً من الربول *

مع إهمال النقط فى « تحدم » ، والوجه « تخذم » بالذال المعجمة قبلها خاء معجمة أو حاء مهملة ، ومعناه تقطع . وانظر التنبيه ٧٤٥ .

٧٤٨ – (ظلف) ١٣٤ وبيروت ٢٣٢ والمخطوطة كذلك . الملحوظ أن هذه المادة وردت فى اللسان سابقة لمادة (ظفف) وهو خلاف الترتيب المعهود ، فهو سهو من ابن منظور أُعجل عن تنسيقه ، فكان من الواجب أن ينبه الناشر عليه .

٧٤٩ – (عجف) ١٣٨ س ٥ وبيروت ٢٣٤ والمخطوطة أيضاً : « قال مرداس بن أُذنة » مع إهمال النون والتاء فى المخطوطة ، وإنما هو « مرداس بن أدية » كما فى الصحاح . و « أدية » بهيئة التصغير هى أمه أو جدته . وأبوه حدير ، أو عمرو بن حدير . وكنيته مرداس أبو بلال . وهو من الخوارج على معاوية ، خرج سنة ٥٨ وانظر الاشتقاق ٦٧ ، ٢١٩ وجمهرة ابن حزم ٢٢٣ ونوادر المخطوطات ٢ : ١٧٠

٧٥٠ – (عقف) ١٦٠ س ٥ وبيروت ٢٥٤ والمخطوطة : « والعقافة خشبة فى رأسها حُجنة يمدّ بها الشيء » ، صوابه «يحتجن بها الشيء » كما فى التهذيب ١ : ٢٦٧ . وأصل الحجنة حجنة المغزل ، أى صنارته المعوجة فى رأسه .

٧٥١ – (عكف) ١٦١س ١٥وبيروت ٢٥٥ قول أبى ذؤيب :

فهن عكوف كنوح الكريـ
ـم قد شفّ أكبادهن الهوَى

صوابه « الهَوِىُّ » بتشديد الياء مع الضم كما فى التهذيب ، وكما سبق فى التصحيح رقم ١٥٩ والبيت من قصيدة مرفوعة الروى مع التشديد ، وأولها :

عرفت الديار كرقم الدوا

ة يرقمها الكاتب الحميرىُّ

والهوىّ فى البيت بمعنى المهوىّ ، أى المحبوب . وهو على حذف مضاف كما يقولون ، أى فقد المهوىّ .

٧٥٢ـ (غرف) ١٧١ س ٢٥ و١٧٢س٢ وبيروت ٢٦٥ والمخطوطة أيضا : «وقال عمرو بن لجأ » ، صوابه « عُمر بن لجأ » كما سبق فى التصحيح رقم ٧٣١ .

٧٥٣ـ (غرف) ١٧٢ س ١ وبيروت ٢٦٥ والمخطوطة أيضاً قول عمر بن لجأ :

* تهمزه الكف على انطوائها *

وإنما هى « تهمزها » كما فى المقاييس (عزل) ؛ إذ أن الراجز يعنى مزادة من مزاد الماء .

٧٥٤ـ (غيف) ١٧٩ س ٢٥ وبيروت ٢٧٣ : « وأنشد القطامى » . وهو من التحريفات الخاطئة ، ومتى كان القطامى منشداً ؟ والصواب « للقطامى » كما فى المخطوطة ، كما أن البيت وهو :

وحسبتَنا نزع الكتيبة غدوة

فيغيِّفون ونرجع السَّرعانا

للقطامى فى ديوانه ١٨ . وانظر المقاييس (غيف) ومجالس ثعلب ٥٢٥ .

٧٥٥ـ (قرف) ١٨٧ س ٥ وبيروت ٢٨٠ والمخطوطة : وقال النابغة :

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها

من الفصافص بالنمى سفسيرُ

ومن عجب أن يسكت ابن منظور على هذه النسبة الخاطئة ، وإنما البيت لأوس ابن حجر فى ديوانه ٤١ واللسان (سفسر ٣٧ ونمى ٧٣) .

٧٥٦ـ (قرقف) ١٩٠ س ٨ وبيروت ٢٨١ : «القَرقَف : طير صغار كأنَّها الصِّعاء » . صواب ضبطه « القُرقُف » بضم القافين كما فى التهذيب والقاموس ونص القاموس على ضبطه « كهدهد » . وأما القرقف بفتحتين فهى الخمر .

٧٥٧ـ (قعف) ١٩٥ س ٢ وبيروت ٢٨٧ والمخطوطة ، قول الراجز :

* يقفعن باعاً كفراش الغضرم *

صوابه « قاعا » بالقاف ، كما فى التهذيب ١ : ٢٦٧ . وقد ورد على هذا الصواب فى اللسان (غضرم) .

٧٥٨ـ (قعف) ١٩٥ س ٨ وبيروت ٢٨٧ والمخطوطة كذلك ، قول الراجز :

اقتَعَفَ الجَلمة منها واقْتَثَثْ
فإنما تقدحها لمن يرث

وواضح أن الكلام أمر لا إخبار ، والصواب :

* واقتعفِ الجلمةَ منها واقتَثِثْ *

كما ورد فى التهذيب .

٧٥٩ـ (قلف) ٢٠٠ س ٤ وبيروت ٢٩١ والمخطوطة : « القِلْف والقِنْف واحد ، وهو الغرِيَن واليَفَن إذا يبس » ، صوابه « والتِّقْن » كما فى التهذيب . وليس لليفَن هنا وجه ، فإن اليفَن الشيخ الكبير الفانى . وإنما المراد التِّقْن ، وهو الطين الرقيق يخالطه حمأة .

٧٦٠ـ (كشف) ٢١٠ س ٢٠ وبيروت ٣٠٠ قول الشاعر :

فماذم حاديهم ولافال رأيهم
ولاكشفوا إن أفزع السرب صائح

ولاوجه للحادى هنا ، وإنما المراد مدح القوم أنفسهم بالجود والحكمة والثبات فى القتال . والوجه « فما ذُمّ حاذيهم » كما هو واضح فى المخطوطة . والحاذى : المعطى ، حذاه حَذْواً : أعطاه . وفى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٤١٨ : «فما ذم جاديهم » بالجيم ، وهى رواية صحيحة أيضاً . والجادى : السائل والمعطى كذلك ، فهو من الأضداد . قال شاعر :

جدوت أُناسا موسرين فما جَدَوْا
ألَا اللهَ فاجدوه إذا كنت جاديا

وعجز هذا البيت فى شرح القصائد السبع هو : «ولا كشفوا إن أفزع الحى خائف » .

٧٦١ـ (نزف) ٢٣٩ س ١٠ وبيروت ٢٣٦ قول قيس بن الخطيم :

تغترق الطرف وهى لاهية
كأنما شف وجهها نُزُفُ

والبيت من قصيدة له مطوية الضرب كلها ، فالصواب «نُزُف » بضم الزاى أيضاً كما فى المخطوطة وديوان قيس . وقد سبق الكلام عليه فى التصحيح ٧٤٠

٧٦٢ـ (نوف) ٢٥٧ س ١١ وبيروت ٣٤٢ والمخطوطة أيضا :

ولدت ترابيه رأسها

على كل رابية نَيِّف

لكن فى المخطوطة « رأسَها » بالنصب . والصواب « وردتُ برابيةٍ رأسُها » كما فى المقاييس (نيف) ، أى بلغتُها وأشرفت عليها . وقد عنَى أن رأس تلك الرابية يطول رءوس غيرها من الروابى . وقارب مصحح بولاق الصواب فقال : « لعله ولدت برابية ، واحدة الروابى » .

٧٦٣ـ (وصف) ٢٧٢ س ١٧ وبيروت ٣٥٦ : «واتصف الشئ ، أى صار متواصفاً». والوجه « متواصَفاً » على صيغة اسم المفعول ، أى صار موصوفًا يصفه بعض الناس لبعض. وقد وردت الصاد مهملة الضبط فى المخطوطة .

٧٦٤ـ (وطف) ٢٧٤ س ١ وبيروت ٣٥٨ والمخطوطة : « وسحابٌ أوطف : فى وجهه كالحِمْل الثقيل » ، والوجه « كالخَمْل الثقيل » . والخمل ، بفتح الخاء المعجمة وسكون الميم : هُدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

والسحب توصف بأنها ذات هيدب ، وهو ما يتدلى منها مثل الهدب ، كقول عمرو ابن الأهتم فى المفضليات ١٢٦ :

تـألق فى عين من المزن وارق

له هيدبٌ دانى السحاب دفوقُ

وقول أوس بن حجر (ديوانه ١٥) :

دانٍ مسفٌّ فويق الأرض هيدبه

يكاد يلمسه من قام بالراحِ

٧٦٥ـ (وقف) ٢٧٨ س ١٤ وبيروت ٣٦١ والمخطوطة : « أبو عبيدٍ : الموقفان من الفرس : فقرتا خاصرتيه » . صوابه « أبو عبيدة » كما فى التهذيب ، والنص ثابت فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص٨٨ـ ٨٩ .

٧٦٦ـ (وقف) ٢٧٨ س ١٤ وبيروت ٣٦٢ والمخطوطة : « ثم يغْلى على الغراء بصدأ أطراف النبل فيجئ أسود لازقا » والصواب « يُعَلَّى » كما فى التهذيب . يعلَّى عليه ، أى يوضع عليه . يقال علاَّه على الشئ وعالاه عليه ، أى جعله فوقه . ومنه ما أنشده الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٥٣ :

وتَبنِي له جيلانُ من نَحتها الصفا

قصوراً تُعالَى بالصفيح وتُكلَسُ

٧٦٧ـ (وقف) ٢٧٩س٢ وبيروت ٣٦٢ : «وأنشد :

* شيبا موقّفا * »

وفى المخطوطة : « سيبا موقفا » بالسين المهملة المضمومة ومع إهمال نقط ما بعد الياء ، والصواب « شَبَبًا » كما فى التهذيب على أن الذى فى ديوان العجاج ٤٩٧ بتحقيق عزة حسن :

كأن تحتى ناشطا مجأفا
مذرَّعا بوشيه موقفا

٧٦٨ ـ (وقف) ٢٧٩ س٣ وبيروت ٣٦٢ والمخطوطة ، قول الشاعر :

لها أمٌّ موقَّفةٌ رَكوبٌ
بحيثُ الرَّقوُ مرتعُها البَرِيرُ

صوابه « وَكوب» بالواو كما فى التهذيب وكما فى اللسان (وكب ، رقا) والكلام فى وصف ظبية وخشفها .والمراد بالوَكوب التى تمشى فى دَرَجان ، أو التى تواكب ولدها وتلازمه . أمّا الركوب بالراء فلا وجه لها هنا . والظباء لايركبها الناس .

٧٦٩ـ (أبق) ٢٨٣ س ١٦ وبيروت (ج ١٠ : ٣) والمخطوطة عند قول الشاعر :

ألاَ قالت بَهانِ ولم تأَبَّقْ
كبِرتَ ولا يليقُ بك النعيم

«قال ابن برى : البيت لعامر بن كعب ابن عمرو ». وصوابه كما فى نوادر أبى زيد ١٨ : « عامان بن كعب » أو « غامان ابن كعب » . وانظر ابن يعيش ٤ : ٦٢ .

٧٧٠ـ (أبق) ٢٨٣ س ٢٤ قول زهير :

القائد الخيل منكوبا دوائرها
قد أحكمت حكمات القد والأَبقا

والوجه « دوابرها » بالباء كما فى المخطوطة وطبعة بيروت ص ٤ وديوان زهير ٤٩ . ودابرة الحافر : مؤخره . و « دوائرها » صحيحة فى ذاتها مع مخالفتها لرواية المخطوطة والديوان ، لكنها خطأٌ فى أداء الأَصل . ودائرة الحافر : ما أحاط به من الثنن ، وهى جمع ثُنَّة بمعنى مؤَخر الرسغ . وقد وردت رواية «دوائرها» فى اللسان (حكم) .

٧٧١ـ (أفق) ٢٨٥ س ٢٠ وبيروت ٥ قول أبى وجزة :

ألا طرقت سعدى فكيف تأفقت
بنا وهى ميسانُ الليالى كسولُها

وردت كلمة « ميسان » فى المخطوطة مجردة من الضبط ، ووجه ضبطها «مِيسان » بكسر الميم وهى مِفعال من

الوسَن ، وهو النعاس . ومنه قول الطرماح :

كل مكسالٍ رقود الضحى
وعثة ميسان ليل التمامْ

٧٧٢ - (أفق) ٢٨٦ س ١١ وبيروت ٦ : « وأنشد لعمرو بن قنعاص » . وفى المخطوطة : « بن قنعاش » بالشين وكلاهما خطأ ، والصواب « عمرو بن قِعاس » كما فى الاشتقاق ٤١٣ ومعجم المرزبانى ٢٣٦ . وفى الاشتقاق : « ومنهم – أى من مراد – عمرو بن قعاس بن عبد يغوث الشاعر . وقعاس من التقاعس » وفى اللسان (قعس) : « وعمرو بن قعاس من شعرائهم » . وفى مستدركات تاج العروس : « وككتاب : عمرو بن قِعاس بن عبد يغوث المرادى ، شاعر » .

٧٧٣ - (أفق) ٢٨٧ س ١١ وبيروت ٧ والمخطوطة أيضاً : « والأَفَقة : المرقة من مرق الإهاب » ، صوابه « من مَرْق » كما فى التهذيب . والمرقة بتسكين الراء : الصوفة أولَ ما تنتف ، وقيل هو ما يبقى فى الجلد من اللحم إذا سلخ .

٧٧٤ - (أيق) ٢٩٣ س ١٥ وبيروت ١٢ والمخطوطة قول الطرماح :

وقام المها يعقلن كل مكبَّل
كما رُصَّ أيقًا مذهب اللون صافنِ

صوابه « رُصَّ » بالصاد المهملة كما فى التهذيب وديوان الطرماح ١٦٤ واللسان (صفن) ، كما أن وجه الرواية فى « يَعقلن » هو « يُقَفِّلْنَ » كما فى الديوان والمقاييس واللسان (صفن) . وفى اللسان عند إنشاد البيت : « المها : البقر ، يعنى النساء . والمكبَّل ، أراد الهودج . يُقفِّلْن : يَسدُدن . كما رُصَّ : كما قيِّد وأُلزِق » .

٧٧٥ - (بستق) ٣٠٢ س ١٢ وبيروت ٢٠ قول الأعرابى :

ولم يُسْتَبِّ ساكنها عِشاءً
بكشخانٍ ولا بالقرطبانِ

صوابه « يَستبِّ » بالبناء للمعلوم ، كما فى المخطوطة . واستبَّ القوم : سبَّ بعضهم بعضاً . ولم أجد نصًّا عليه فى اللسان والقاموس . لكن فى المعجم الوسيط « واستبُّوا : سبَّ بعضهم بعضاً » . وورد فى قول مهلهل فى الحيوان ٣ : ١٢٨

أُودى الخيار من المعاشر كلهم
واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

٧٧٦ـ (بعق) ٣٠٤ س ١٤ وبيروت ٢٢ والمخطوطة قول رؤبة :

وجُود مروان إذا تدفقا
جُودٌ كجُود الغيث إذ تَبعَّقا

الوجه « جَودٌ كجود » . والجَود ، بالفتح : الواسع الغزير . والجود من المطر : الذى لا مطر فوقه البتة . كما أن الذى فى المخطوطة « وجود هَرُون » لكن الذى فى الديوان ١١٤ : « وجود مروان » كما فى المطبوعتين .

٧٧٧ـ (بلق) ٣٠٧ س ١٥ وبيروت ٢٥ قول امرئ القيس :

فليأْت وسط قبابه بَلَقى
وليأْت وسطَ قبيلـــه رَجْلى

و « رجْلى » هى رواية الديوان ٢٠٤ وفسّر الرجْل فيه بأنه الرجال . لكن الذى فى المخطوطة « رحْلى » بالحاء المهملة .

٧٧٨ـ (جبنثق) ٣١٧ س ١٥ وبيروت ٢٤ والمخطوطة . كذا وردت المادة فى النسخ جميعها بتقديم الباء على على النون فى رسم المادة ، وفى قوله : « الجبنقة امرأة السوء » . وفى الشاهد « بنى جبنثقة » نقلا عن التهذيب .

والذى فى التهذيب تقديم النون على الباء . وكذلك هى فى القاموس . وقد أهمل الجوهرى هذه المادة .

٧٧٩ـ (جوق) ٣٢٠ س ٢ وبيروت ٣٧ والمخطوطة : « ويقال عدو أجوق الفلك ، أى مائل الشق » صوابه « مائل الشدق » كما فى التهذيب والعباب . وفى تاج العروس : « عدو أجوق الفلك ، أى مائل الشق . وفى العباب : الشدق » .

٧٨٠ـ (حقق) ٣٣٩ س ٧٢٦وبيروت ٥٤ : « وفى حديث الزكاة ذكر الحِقّ والحِقّة . والجمع من ذلك كله حُقُق وحقائق . ومنه قول المسيّب بن علس :

قد نالنى منه على عدم
مثل الفسيل صغارهاالحُقُقُ

وفى المخطوطة : « حُقَق » صوابهما « حِقَق » . والحِقَق بكسر ففتح ، كما فى كتاب سيبويه ٢ : ١٨٤ وهو القياس الصرفى . وفى القاموس أن جمع الحِقّة « حِقَق كعِنَب » . أما الحقائق فليست جمع حقّة ، بل هى جمع للجمع الذى هو الحِقاق . قال الجوهرى فى الحقاق : « وربما تجمع على حقائق مثل إفال

وأفائل » . وفى تاج العروس : « جمع الحقق حُقُق بضمتين ككتاب وكتب » . وقد عنى الشاعر بمثل الفسيل ما أعطاه الممدوح من إبل طوال . والفسيل : صغار النخل .

٧٨١ـ (حقق) ٣٤١ س ٢٢وبيروت ٥٧ : « فارتبعن فسمنت ولم يسمنا فقد حقّت واحدة ، ثم ضَبَعَت ولم يضبعا فقد حقّت عليهما حِقّة أخرى ، ثم لقحت ولم يلقحا . فهذه ثلاث حِقات » . وفى المخطوطة : « صبعت » هكذا بإهمال النقط والضبط وصواب ضبطها «ثم ضَبِعَتْ » . يقال ضَبِعت الناقة بالكسر تضبَع ضَبَعا بالتحريك ، وذلك إذا اشتهت الفحل .

٧٨٢ـ (حقق) ٣٤٢ س ٤ وبيروت ٥٧ والمخطوطة أيضاً قول أبى كبير الهذلى :

هَلّا وقد شرع الأسنةَ نحوها
مابين محتقٌ بها ومشرَّم

والبيت فى صفة حمير الوحش .

وقبله :

فاهتجن من فزع وطار جحاشها
من بين قارمها ومالم يقرم

وصواب أوله «وَهَلاً» كما فى ديوان الهذليين ٢ : ١١٥ وشرح السكرى ١٠٩٣ . و « مشرِّم » صفة للطعن ، ويروى : «مشرَّم» صفة للمطعون .

٧٨٣ـ (حنق) ٣٥٦ س ٢٣ وبيروت ٧٠ والمخطوطة قول ذى الرمة :

محانيق تَضْحَى وهى عوجٌ كأنها
نحوز . . . مستأْجرات نوائح

وكتب مصحح بولاق : «قوله نحوز ، كذا بالأصل على هذه الصورة مع بياض بعده » . وصواب العجز وتمامه كما فى ديوان ذى الرمة :

* بجَوْز الفلا مستأْجرات نوائح *

٧٨٤ـ (خفق) ٣٦٩ س١٩ والمخطوطة : «قول عنتر يصف فرسًا له» صوابه «عنترة» كما صحح بذلك فى طبعة بيروت . ومن عجب أنها ترد فى المخطوطة «عنتر» بدون تاء . ولاريب أنه سهو كتابى .

٧٨٥ـ (دردق) ٣٨٤ ـ ٣٨٥وبيروت ٩٦ : «يقال ملّسنى الرجل بلسانه وملّقنى ودرّقنى ، أى ليّنَنِى وأصلح منى ، يدرِّقنى ويملِّسنى ويملِّقنى » . صوابها

« مَلَسنى ومَلَقنى ودَرَقنى » و « يدرُقنى ويملُسنى ويملُقنى » كما فى التهذيب ، وكما يفهم من المخطوطة ، إذ لا أثر فيها للتشديد . وورد فيها « دَرَقنى » بفتح الدال والراء الخفيفة ، كما ورد فيها يمْلسنى » بضم الميم بالسكون .

٧٨٦ـ (دردق) ٣٨٥س ٤ وبيروت ٩٦ والمخطوطة قول الأعشى :

وتعادَى عنه النهارَ تواريـ
ـهِ عِراض الرمال والدرداقِ

والصواب « والدرداقُ » بالضم كما فى ديوان الأعشى ١٤٣ . والبيت من قصيدة مرفوعة الروى أولها مبتور . والبيت الثانى فيها :

يوم قَفَّتْ حمولهم فتولوا
قطَّعوا معهد الخليط فشاقوا

٧٨٧ـ (دفق) ٣٨٩ : ١ وبيروت ١٠٠ : « وفى النوادر : هلال أدفق ، أى مستو أبيض ليس بمتنكِّب على أحد طرفيه » . وفى المخطوطة : « بمنتكث » بالثاء المثلثة ، وصوابها « بمنتكت » بالتاء المثناة ، كما فى التهذيب وقال الجوهرى : « يقال طعنه فنكته ، أى ألقاه على رأسه فانتكت هو » .

٧٨٨ـ (دفق) ٣٩٥ س ٦ وبيروت ١٠٦ : « أبو عمرو : مريض دافق ، إذا كان مدنفا محرَّضا » . وفى المخطوطة : « محرصا » بالمهملة وبدون ضبط . ولا وجه للتحريض هنا ، وصوابهما « مُحْرَضًا » كما فى التهذيب . والمحرض : الذى أحرضه المرضُ فأفسد بدنَه وأشفى على الهلاك .

٧٨٩ـ (دهق) ٣٩٦ س ٢١ وبيروت ١٠٧ قول حجر بن خالد :

ونحلب ضرسَ السيف فينا إذا شتا
سديفَ السنام تشتريه أصابعه

والكلمتان الأوليان من البيت مهملتا الضبط فى المخطوطة مع إهمال نقط النون . والصواب « ويحلُب ضرسُ الضيف » كما فى الصحاح ، فإن الضرس لايحلبه الناس ، وإنما يستقطر هو الدسم من الشحم على المجاز . والاشتراء فى البيت بمعنى الاختيار . وفى الصحاح « تستريه » من قولهم : استرأى الشيءَ : استدعى رؤيته .

٧٩٠ـ (ذوق) ٤٠٢ س ٧ وبيروت ١١٢ : « وذاق الرجل عسيلة المرأة ، إذا أولج فيها إذاقة » . وفى المخطوطة :

« اداقة » ، والصواب « أُداَفه » كما فى التهذيب . والأُداف : الذكر . قال :

* أولجُ فى كعثبها الأُدافا *

والأذاف ، بالذال المعجمة : لغة فى الدال المهملة ، ولكن ما فى المخطوطة يؤيد هذا التصحيح .

٧٩١ـ (رمق) ٤١٨ س ٥ وبيروت ١٢٦ : « وتخاط عيناها ويشد فى ساقها ، خيط طويل » . والوجه « سبَاقَيها » كما فى التهذيب والمخطوطة ، وإن كان فى المخطوطة مهمل نقط الباء والياء . والسِّباقان : قيدان فى رجل الجارح من الطير ، من سير أو غيره . ويقال سبَّقت الطائر ، إذا جعلت السباقين فى رجليه .

٧٩٢ـ (رمق) ٤١٨ س ٩ وبيروت ١٣٢ والمخطوطة أيضاً :

ولم يدبُغونا على تِحلِئٍ
فيرمقُّ أمرٌ ولم يَغْمَلوا

والصواب «ولم يُغمِلوا » كما فى التهذيب . وفى اللسان «غمل) : « أغمل فلانٌ إهابه ، إذا تركه حتى يفسُد » . وأنشد للكميت :

كحالئة عن كوعها وهى تبتغى
صلاح أديم ضيَّعَته وتُغْمِلُ

وقد ورد بيت الكميت محرفا فى اللسان (٠ ـلأ) فليصحح كما هنا .

٧٩٣ـ (روق) ٤٢٤ س ١٢ وبيروت ٣٢ والمخطوطة كذلك قول الطرماح :

عيناك غربا شنّةٍ أسبلت
أرواقُها من كَبْنِ أخصامها

وكذا ورد فى ديوان الطرماح ١٦٢ وفسَّره بقوله « الكَبين الموضع الأسفل » . ووجهه « كَبْنِ » كما فى التهذيب . والكبن : شفة الدلو ، أو ماثَنى من الجلد عند شفة الدلو .وأخصام المزادة : زواياها .

٧٩٤ـ (ريق) ٤٢٨ س١٥ وبيروت ١٣٥ والمخطوطة وتاج العروس : «وقال هى لغة يمانية ثم فشت فى مصر » . وقد ضبطت فى المخطوطة بسكون الصاد المهملة ، والصواب «فى مضر » ، وهى التى تقابل اليمانية لاريب . ولا دخل لمصر ـ حرسها الله ـ فى لهجات العربية .

«فى الجزء الثانى عشر من طبعة بولاق»

٧٩٥ـ (زلق) ٩ س ٢٢ وبيروت ١٤٤ والمخطوطة قول رؤْبة :

* أو حادر الليتين مطوى الحنق *

وقد وردت الكلمة الأخيرة من الشطر

مهملة النقط فى جميع النسخ . والصواب « الحَنَقْ » كما فى المقاييس وديوان رؤبة ١٠٤ واللسان (جدر) . وكلمة «حادر» مصحفة أيضا ، ووجهها «جادَر» بالجيم كما فى المراجع السابقة واللسان (جدر) ، يقال جدِرت عنقه جَدَراً ، إذا انتبرت .

٧٩٦ـ (سملق) ٣٠ س١٨ وبيروت ١٦٤ والمخطوطة ، قول رؤبة :

مَرَّت كجلد الصَّرصرانِ الأَمْهَقِ

صوابه «مَرْتٍ» كما فى التهذيب وديوان رؤبة ١٨٠ . والمرت : القفر التى لانبات فيها . وقبله :

إذا أنفأت أجوافه عن سملقٍ *

٧٩٧ـ (سوق) ٣٣ س ٣ وبيروت ١٦٧ قول الشاعر :

وهل أنا إلا مثل سيقة العدا
إن استقدمت نجر وإنجبأت عَقَرْ

والصواب «نحر» بالحاء المهملة كما فى المخطوطة والتهذيب ومافى اللسان (جبأ) .

٧٩٨ـ (سوق) ٣٤ س ١٨ وبيروت ١٦٨ والمخطوطة أيضاً قول الحماسى :

كشفت لهم عن ساقها
وبدا من الشر الصُّراحْ

بإسكان حرف الروى ، وهو ضبط لايستقيم ، لأن المقطوعة مضمومة الروى، وأولها :

يابؤس للحرب التى
وضعت أراهط فاستراحوا

فكيف يتصور أن يكون الروى بالسكون فى هذا البيت ؟ !

٧٩٩ـ (سوق) ٣٥ س ١٧ وبيروت ١٦٨ قول العجاج :

* هذَّك سَوَّاق الحصاد المختضَرْ*

صواب ضبطه «سُوَّاق» بضم السين فى الشطر وفى التفسير بعده كما فى التهذيب والقاموس : وديوان العجاج ٧١ بيروت . وجاء بعده فى التفسير أيضاً «الحضاد : بقلة . صوابه «الحصاد» . وليس لحضد مادة فى العربية إلا فى قولهم « الحُضُد » لغة فى «الحُضُض» كما فى تاج العروس .

٨٠٠ـ (شبرق) ٣٨ س ١٤ وبيروت ١٧٢ : «والشبرقة من الجَنَبة» . وفى المخطوطة : «الحنبه» بالحاء المهملة مع إهمال الضبط ، وصوابهما «الجَنْبة» بالجيم وسكون النون ، كما فى التهذيب . والجنْبة : مايتربل من النبات فى الصيف .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

تجارب أدبية صامتة

للأستاذ إبراهيم اللبان

أذكر

انى حينما بدأت أتذوق الأدب ، مررت بمشاعر نفسية مختلفة ، لم أستطع لها إذ ذاك تعليلا . بل الواقع أني لم أفكر حينذاك فى تعليل ، وما هممت به ولا حاولته .

من أوائل ذلك أني أحسست وأنا أتصفح لأول مرة ديوان الحماسة بشعور غريب ، ولكنه قوى وعميق ، عندما قرأت ثلاثة أبيات لمتمم ابن نويرة يرثى بها أخاه مالكا ، وهى قوله :

لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذراف الدموع السوافك

فقال : أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا
فدعني فهــــذا كــله قبر مالك

فالحق أنى ماكدت أستتم قراءة هذه القطعة القصيرة حتى شعرت بالحزن ينساب فى نفسى فياضا متدفقا من هذه الأبيات المفعمة بالأسى ، والشجن المنبعث عن قلب جريح وكبد مصدوعة حرّى .

ولقد كان لقوله : « فدعنى فهذا كله قبر مالك » وقع خاص فى قرارة نفسى ، فقد أحسست من ثناياه بأن الحزن قد طغا على الرجل ، فغير معالم الكون أمامه ، حتى لأصبحت القبور كلها قبرا واحدا هو قبر أخيه مالك ، فكلها يرد إليه عازب الحزن وينكأ قرح فؤاده .

كانت هذه تجربة جديدة فريدة ، ولكنى لم ألبث حينما أمعنت فى قراءة شعر المراثى أن شعرت بنفس الأثر ، ولكن بدرجة أقل وأضعف ، فكله شعر حزين باك ، يفيض بالأسى العميق ، والحزن المتقد ، فيغمر نفس القارئ ، ويحرك منه أعمق المشاعر .

وهنا تذكرت كيف كنت أشعر عند قراءة شعر الوصف إذ كان لا يؤثر فى نفسى أقل تأثير ، بل الواقع أنه كثيرا ماكان يثير الملل والسآمة فى نفسى ، وأطبق الكتاب وأضعه جانبا .

كان هناك فارق ولكنى إذ ذاك لم أتبينه ، ولم أعرف طبيعته ولا حاولت معرفتها .

زالت عنى إذن نظرتى الأولى إلى الشعر التى كانت تسوى بين فنونه ، ولا ترى الفروق العميقة القائمة بينها .

هذا كل ماحدث .

أما الذكرى الثانية التى لاتمحوها الأيام فهى أنى تتبعت مرة قصة قديمة أظن أن اسمها كان قصة «غريب وعجيب» وهى قصة قديمة كانت تمتاز بقوة التصوير ، وكان خيالى إذ ذاك فى عنفوان قوته : فكنت فى أثناء قراءتها أرى أشخاصها يمرون أمامى تباعا يتحدثون ويتحركون ثم يختفون .

أما البيئة التى كانت تجرى فيها حوادثها ، فقد حلت محل الحقيقة المحيطة بى ، فأحسست كأنى قد انتقلت إليها ، وأصبحت أعيش فيها . أتردد بين دورها وقصورها ، وأسرح البصر فى أشجارها وأنهارها ، وقد استهوتنى هذه التجربة الساحرة حتى مالت الشمس إلى الغروب . فلم أكف عن القراءة ، بل مضيت فيها حتى تكاثف الظلام ، وأخذت معالم الكلمات تفقد وضوحها . وتصعب قراءتها ، ثم غمرها الليل بظلمته فاختفت تماما .

وحدث مثل هذا أو أكثر منه حينما وقعت فى يدى بعد ذلك قصة منقولة عن الفرنسية فى سلسلة مسامرات الشعب المعروفة ، وأخذت أقرؤها بنهم شديد فقد نقلتنى هذه القراءة من عالم الواقع إلى عالم الخيال مرة أخرى ، ولكنها نقلتنى هذه المرة إلى أوربا بجمالها وروعة مناظرها ، ووضعتنى بين فريق من أهلها أشاركهم أفراحهم ، وأقاسمهم آلامهم ومتاعبهم .

وقع هذا فى مطلع حياتى الأدبية ، فكانت جدته وقوته تنتشلنى من عالم الواقع الجامد الممل إلى آفاق جديدة سعيدة . كنت فى الواقع أرتاد عالم الأدب لأول مرة ، وأتنقل فى شعابه ، وأطوف فى مدنه وقراه ، وبين جباله وأنهاره وأتقلب بين سكانه وقطانه . فيفتننى هذا أى فتنة ، ويسحرنى أى سحر . كانت حياة جديدة وعوالم مجهولة ، قد تفتحت أبوابها فجأة أمامى فكنت كالسائح ، الذى يهبط أرضا لايعرفها ولا عهد له بها ، فيجول فيها مأخوذا بجدتها وجمالها .

ومنذ ذلك الحين اندفعت فى قراءة القصص ، ولكن الحق أن المعارض التى أقامها الكتاب ومؤلفو القصص لم تكن إذ ذاك تعنى فى نظرى الا سلاسل متصلة الحلقات من وقائع فردية ليس لها أية صبغة نظرية . فكان الذى يعجبنى منها هو الأخيلة البارعة التى يحوكها المهرة من كبار المؤلفين والقصاص ، وما تثيره حوادثها فى النفس من انفعالات متتابعة مختلفة الأنواع . أما الأفكار والمبادئ التى يرمى إليها هؤلاء الأدباء فقد كانت فى أفق فكرى لم أصل إليه بعد .

كانت هذه التجارب أغنى بكثير من تجربة شعر الرثاء وأشد منها إثارة .

ولكنى – كما قلت فيما سلف – لم أكن قد وقفت بعد على طبيعة القصة أو طبيعة الشعر أو حقيقة الأدب ، وإن كان هذا لم يحل دون تذوق محدود للشعر والأدب أعقب ولعا شديدا بالقصة بوجه خاص .

وفى هذه الحقبة من حياتى وقعت فى يدى قصص عربية مختلفة أذكر « منها ألف ليلة وليلة » ، وقصة سيف بن ذى يزن .

وهكذا وجدتنى قد بدأت رحلتى الأدبية وأخذت أمارس التذوق الأدبى دون أن أعرف طبيعته ، أو أتبين حقيقته . وكان بطبيعة الحال تذوقا محدودا فى سعته ومداه .

ولما بدأ النقد الأدبى يظهر فى مصر جعلت أتتبع ما يجىء به النقاد ، وكان أكثره وأظهره إذ ذاك يدور حول نقد الأساليب نقداً لغويًّا فلم يستملنى هذا النوع من النقد ، وعرفت قصوره وعجزه عن الوفاء بحاجتى ، ولكنى مع ذلك تابعت مايكتبه النقاد اللغويون لأنه أيضا كان تجربة جديدة فى أفق جديد لم أكن عرفته من قبل ، فكان له لذة الجدة والطرافة ، وإن لم يكشف لى عن أغوار التجربة الأدبية التى كنت أتطلع إليها ، وأتشوق إلى معرفتها ، تشوقا صامتا ولكنه عميق شديد مصمم .

لم يتطور إذ ذاك معنى الأدب فى ذهنى تطورا يذكر ، ولم أر فى القصة أو المسرحية بوجه خاص ، إلا سلسلة متتابعة من الحوادث الجزئية تروع بجدتها وطرافتها ، وتقدم متاعا روحيا يستطيع الإنسان أن يشغل به وقت فراغه ، ويمضى به بعض الوقت فى لذة ساحرة ، قد يكون سبب سحرها وفتنتها هذه النقلة التى تخرجنا بها من دائرة المألوف المملول إلى الجديد الطريف من الناس ، والمناظر ، والحوادث .

وأخيرا حدث التطور الكبير الذى كنت أترقبه فأضفى على الفن معناه ورفع من قدره ، وأعلى من مكانته ، وزاد حبى له وولعى به .

كنت أقرأ الكتاب الذى كتبه الأستاذ نتلشيب يعرض فيه جمهورية أفلاطون عرضا مشوبا بالنقد والتحليل ، ولما وصل إلى ضرورة مبدأ الصدق للأثر الأدبى ، اضطر إلى الإفصاح الكامل عما يعنيه ، ففرق فى الأثر الأدبى بين عنصرين : العنصر الأول هو الحادثة الجزئية التى تقدمها القصة أو المسرحية ، والعنصر الثانى هو المبدأ العام الذى تمثله هذه أو تلك . أما العنصر الأول فليس من الضرورى أن يكون صادقا . فلا يضر الأدب ، أو يضع من قيمة الأديب أن تكون القصة مصنوعة من بدايتها إلى نهايتها ، والأمر بخلاف ذلك بالنسبة للعنصر الثانى الذى تعبر القصة عنه بحوادثها ، وأشخاصها ، فلا مكان للتساهل فيه ، فيجب أن يكون المبدأ العام الذى تتضمنه صحيحا صادقا .

وهنا تنبهت لأول مرة فى حياتى الأدبية إلى أن القصة ، وإن كانت تبدو شيئا جزئيا حدث لأشخاص معينين فى ظروف خاصة ،

فإنها فى الواقع ترمى إلى ما هو أبعد من هذا ، وأجل وأسمى وأعلى مكانة وقدرا ، فهمتها الحقيقية هى أن تصور للقارئ فكرة عامة ، أو تبرز له فى مجرى الحوادث التى تعرضها ناموسا إنسانيا ، أوحقيقة اجتماعية أوكونية ، و لازلت إلى هذه الساعة أذكر الأثر النفسى العميق الذى تركته هذه النظرية فى نفسى حينما اطلعت عليها لأول مرة .

كان هذا فى الواقع كشفا أدبيا كبيرا أثر فى فهمى للفن تأثيرا عميقا فكان أول ماتنبهت إليه أن الأشخاص والحوادث ليست صميم الفن أوالهدف الأعلى للفنان، بل الواقع أن الانفعال نفسه ليس أيضا إلا أمراً ثانويا . ثم مضيت أفكر ،واستقر رأيى على أن الفنان الذى لايلوح بفنه إلى فكرة عامة لايمكن أن يدخل فى عداد كبار الفنانين . وأن قارئ القصة أوالمسرحية ، الذى يقف عند أشخاصها وحوادثها ،ولا يلمح المغزى العام لها، لانصيب له من رسالتها ، بل الواقع أنه لم يتذوقها حق تذوقها .

وهنا عرفت أنى كنت مخدوعا فى حياتى الأدبية السابقة ، فإنى فى الواقع لم ألمح المعنى العام للآثار الأدبية التى قرأتها ، وإنما لهوت بمناظرها وأشخاصها وحوادثها لهوا خاليا من الفهم . فالأدب تفسير للحياة ، وإبانة عما تنطوى عليه وقائعها من مبادئ وأفكار ، ونواميس عامة . ومهمته الكبرى أن يمنح القارئ المتذوق عينا يرى بها حقائق الأشياء ومعانى الحياة ، فتبدو له تقلبات الحياة و تصاريف الأيام ، وقد اكتست معانيها ، ونمت عن حقائقها . الأدب فى الواقع ازدياد فى العلم والفهم ومعرفة جديدة بالناس و بالحياة الإنسانية عامة .

وربما كان أطرف ماقمت به إذ ذاك أنى عزمت على أن أختبر صحة هذا المبدأ فيما قرأته من قبل من قصص كثير متنوع . وأذكر أنه كان من بينه قصة البؤساء لفكتور هيجو ، وقصة مجدولين ، ورواية الأب لأحد كبار كتاب فرنسا السابقين ، وقصة فى سبيل التاج ومسرحية يوليوس قيصر . وقد أسفر اختبارى لكل هذه الآثار الأدبية عن نتيجة إيجابية أثبتت لى بما لايدع للشك مجالا أن الأدب الرفيع لايعبأ بالأشخاص والحوادث الجزئية إلا بمقدار أثرها فى المهمة الأدبية العليا . وهى تصوير المبادئ العامة . فليس للحوادث الجزئية من قيمة أدبية سوى أنها تعطى هذه المبادئ العامة لحما وعظما ، تعطيها جسما تحل فيه ، فتخرج بذلك من غموض التجريد إلى نور الواقع المعروف المأنوس .

ولا أحب أن أعرض كيف امتحنت هذا المبدأ فى كل هذه الآثار التى أشرت إليها من قبل بصورة دقيقة مفصلة ، ولكنى سأكتفى ببعضها .

فمثلا حينما فكرت فى مجدولين بدا لى أن هدف المؤلف هو أن يقدم صورة واضحة لطبيعة الفتاة المرحة ، التى تؤثر جو المرح

واللهو الصاخب – مع ما يرافقه من استغلال وعدم إخلاص – على الحب العميق الصامت، كما تكشف عن طبيعة الرجل المخلص حينما يعامل بغدر وعدم إخلاص.

أما مسرحية يوليوس قيصر فهى فى الواقع عرض لمجرى التاريخ من بعض نواحيه، فهى ترينا أن القائد المنتصر فى كل مكان يطمح إلى السلطة العليا تحت تأثير الإعجاب والملق، وأن الأحرار يشعرون إذ ذاك بالخوف على حريتهم، فيكيدون له حتى لا يفجعهم فيها.

أما قصة الأب فتعرض علينا – فى صورة واقعية واضحة – الأثر المحزن الذى يترتب على حياة موقوفة على فكرة الأبوة وحدها. فهذا تاجر مثر جمع ثروة طائلة وليس له إلا ابنة واحدة يحبها بكل قلبه، وبخاصة بعد وفاة أمها، ومن ثم وقف كل حياته على إسعادها، فأفسدها بالتدليل، ودمر نفسه وثروته، وأتعس ابنته.

وإجمال القول أن التجربة التى قمت بها قد أسفرت عن نجاح تام وأقنعتنى بأن للأديب رسالة تحملها قصصه أو مسرحياته، وهى فى العادة فكرة عامة أو مبدأ عام تتضمنه الوقائع والحوادث، ويشع من خلالها.

والأديب الحق هو الذى يتخذ من الأدب وسيلة لشرح معانى الحياة والكشف عن نواميس الاجتماع. وهذا هو الذى رفع كثيرا من الكتاب فى الماضى والحاضر إلى منزلة معلمى البشرية وهداتها: ومقياس نجاح الأديب هو ألا يتخذ من عرض الحوادث الفردية غاية لفنه بل يتخير من طوفان الحياة الإنسانية المتدفق ما ينطوى على مغزى عام ثم يعكف على إبراز هذا المبدأ العام حتى يصبح جليًا واضحاً للعيان، فيعطى المتذوق بذلك عينا يرى بها ونظرا ثاقباً، وقلباً واعياً وعلماً جديداً بالناس والحياة.

وهكذا استطعت فى تجارب أدبية متعاقبة أن أدرك أن الأدب يتركب من عناصر ثلاثة هامة، وتتجلى هذه العناصر فى القصة فى أوضح صورها:

وربما كان أظهر عناصر القصة هو الحوادث الجزئية والأماكن والأشخاص وما يثيره ذلك من خيال قوى رائع يفوق الواقع فى بعض الأحيان، وهذا هو العنصر الذى يستميل إليه الأطفال وغير المثقفين، وبه يقنعون. وهو عنصر يخلق عالماً آخر كثيرا ما يهرب إليه بعض الناس إذا آلمهم الواقع بشدائده وآلامه وحرمانه، فيجدون فيه بعض الراحة والرضا.

ولكن هذا العنصر يقوم بدور هام آخر فهو أداة إثارة الانفعال بكل ضروبه:

وعنصر الانفعال فى الواقع ضرورى لتكوين الأدب وتذوقه. فالقصة الباردة أو القصيدة الفاترة لا تلقى من أحد حبًا، ولكن إثارة الوجدان القوى العنيف يقابل فى بعض الأحايين بالرضا والارتياح.

أما العنصر الجليل الذى ينقل الشعر إلى حدود تتاخم حدود العلم فهو ظهور الأفكار العامة أو النواميس الاجتماعية والإنسانية من ثنايا القصص والأدب عامة ، فإن هذا يرفع الأديب إلى مقام الهداية والإرشاد العام ، وتعليم البشرية وتثقيفها .

وهكذا ما زلت أتنقل من تجربة إلى أخرى فأستكشف من واحدة عنصرا من عناصر الأدب فى صورة غامضة غير محددة ، ثم أعثر فى تجربة أخرى على عنصر ثان فثالث ، وقد كانت كلها تجارب تمهيدية غامضة . بل الحق أنها كانت مجرد إحساسات مبهمة لم تصل إلى درجة مرضية من الدقة والوضوح ، إلا حينما تسنى لى أن أقرأ بعض كتب النقد فى اللغة الإنجليزية وبخاصة كتاب (بعض أصول النقد الأدبى) الذى كان له فى نفسى وقع عميق حملنى على نقل خلاصته إلى اللغة العربية .

وقد أعانتنى هذه التجارب التى مررت بها فى أثناء استكشافى لمعنى الأدب على فهم مواقفى المختلفة إزاء كثير من ضروب الأدب . فقد كنت أتوق إلى معرفة سبب إيثارى لشعر النسيب والرثاء ونفورى من شعر الوصف والمدح ، وكنت أتطلع إلى معرفة سبب استغراقى فى قراءة كتاب ألف ليلة وليلة أو قصة الطفلة المفقودة ، وإلى فهم كثير من الحالات النفسية التى كانت تتوارد على نفسى فى أثناء قراءة كتب الأدب ، فأصبح ذلك كله بعد هذه الاستكشافات واضحاً مفهوماً . فقد عرفت أن الذى استمالنى إلى النسيب والرثاء وبغّض إلىّ الوصف والمديح وفرة عنصر الوجدان فى الفنين الأولين والجفاف العاطفى الذى يعانيه من يقرأ الوصف أو المدح .

وتبينت أن الخيال القوى هو سبب ولعى بكتاب ألف ليلة وليلة . وأن هذا الكتاب وإن لم يكن له رسالة فكرية واضحة فله من سحر الخيال وجماله وبهائه ولألائه ، ما جعله فتنة أدبية عالمية فى الشرق والغرب .

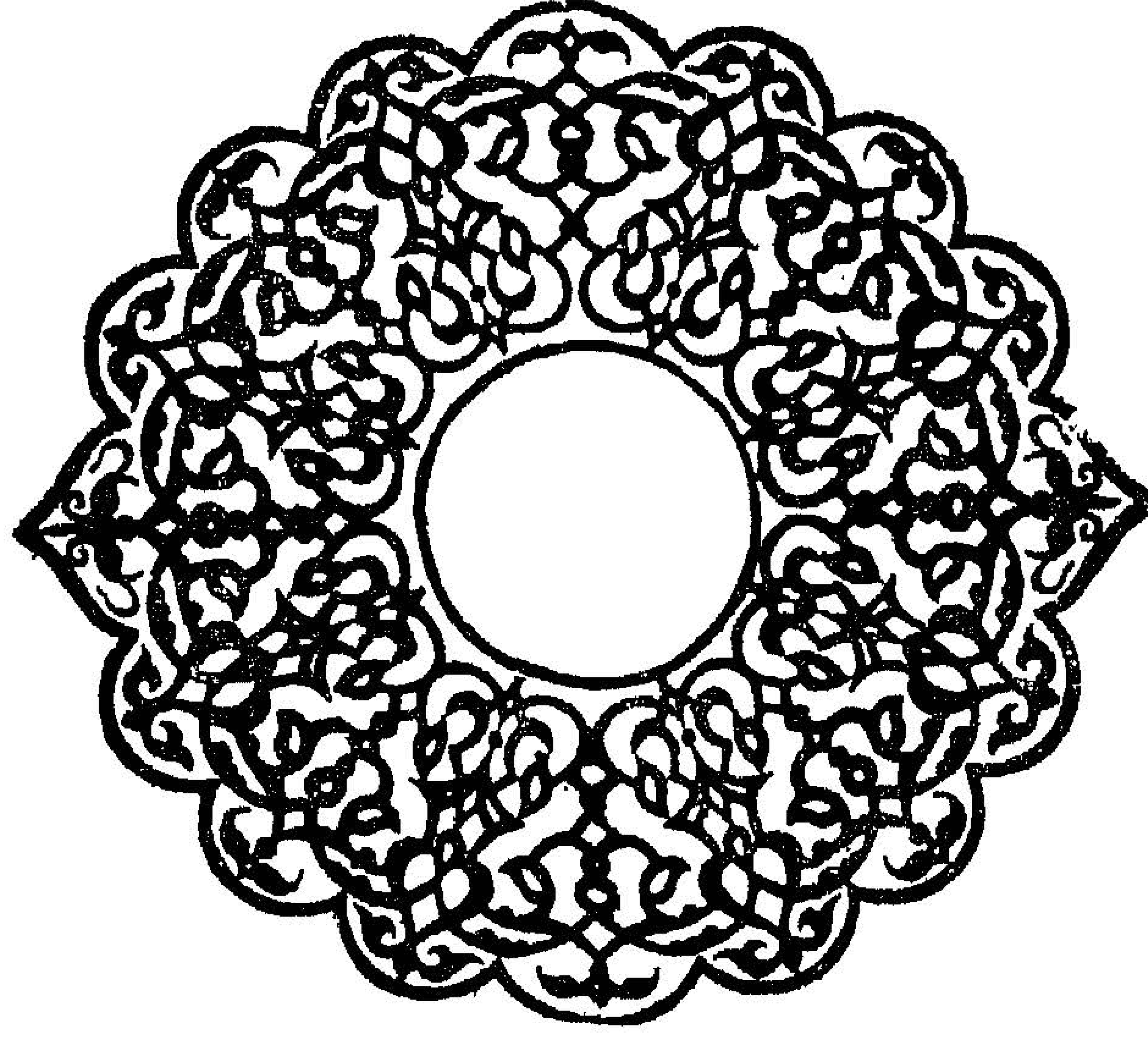
أما الناحية الفكرية من الأدب ، فقد جاءتنى متأخرة جدا ، ولكنها كانت سراجاً منيرا كشف لى عن أخص خصائص الأدب وأعلى مميزاته ، فتمكنت أن أرى فى ضوئها أن مهمة الأدب الحقة ليست لهو الخيال ولا حركة الوجدان وثورة الانفعال ، وإنما هى نقد الحياة والكشف عن المعانى التى تكمن فى الحوادث والوقائع حتى العادية منها ، وأحسست إذ ذاك بأن الأديب يتولى عملا كريما ويتبوأ إلى جانب زميله العالم مقعد التعليم والتثقيف والإرشاد والتوجيه .

ولم أجد شعر الفكرة الذى يلقى الضوء الساطع على معالم الكون الكبرى ، وطبيعة الحياة الإنسانية ، وصلات الأفراد والجماعات ، وحقيقة العقائد وضروب المذاهب إلا فى لزوميات أبى العلاء المعرى ، فهمت بها حبًّا منذ ذلك الحين إلى الآن .

صحيح أن لزهير بن أبى سلمى وللمتنبى وغيرهما أبيات تنطوى على مبادئ عامة مستمدة من التجارب الإنسانية ، ومصورة لنواميس الحياة تصويرا صادقاً ، إلا أنها أبيات قليلة ، ولا تمس من جوانب الوجود والحياة والأعماق البعيدة الغور التى يصل إليها شعر أبى العلاء .

هذه لمحة قصيرة من بعض تجاربى الأدبية العامة الصامتة ، أوردها كما هى ، على بعد العهد بها ، ولعلها تمثل أيضاً تجارب الكثيرين غيرى .

ابراهيم عبد المجيد اللبان
عضو المجمع



تخريج نصوص أرسطالية
في كتاب الحيوان للجاحظ
للدكتور طه الحاجرى

الجزء الرابع

(٢)

٤٦ ــ قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : أن الضباع تأكل النمل أكلا ذريعا . وذلك أن الضباع تأتى قرية النمل ، فى وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها بشهوة شديدة وارادة قوية[١] »

ولم أجد هذا فى كل ما وقفت عليه من كلام أرسطو عن الضبع . وإنما ذكر النمل على أنه طعام للدب فى الفصل الثامن من الكتاب السابع من تاريخ الحيوان[٢] . ويلاحظ أن حديثه عن الدب فى ذلك يقع فى عقب حديثه عن الضبع .

٤٧ ــ قال الجاحظ : « وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من [الخنازير ماله ظلف واحد[٣] » .

وهذا الذى يشير إليه الجاحظ يقع فى الفصل الثانى من الكتاب الثانى ، من تاريخ الحيوان ، فى سياق كلامه عن أقدام الحيوان ، ماهو مشقوق منها وماهو غير مشقوق ، إذ يقول :

« والخنزير له الهيئتان ، إذ يوجد فى إلّيريا Illyrie وفى بيونيا Péonie خنازير ذات ظلف واحد[٤] » .

وقد جاء ذلك فى الترجمة العربية القديمة مجهولة الصاحب ، الموجودة قطع منها فى المتحف البريطانى باسم « معرفة طبائع الحيوان البرى والبحرى » بهذه الصورة :

« فأما جنس الخنازير فمختلف ، لأنه فى البلدة التى تسمى فى اليونانية اللوريا ، والتى تسمى بأونيا ، وفى بلدان أخرى ، خنازير ليس لها فى كل رجل إلا ظلف واحد[٥]» .

(*) انظر الجزء التاسع والعشرين من المجلة .

(١) ج ٤ ، ص ٣٤ .

(٢) v. III, p. 41.

(٣) ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٤) v. I, p. 115.

(٥) ورقة ٢٠ ــ ٢١ .

٤٨ – قال الجاحظ ، بعد النقل السابق عن صاحب المنطق : « قال : والانسان يلقى أسنانه وكذلك الحافر والخف . قال : والخنزير لايلقى أسنانه البتة[١] » .

وقد جاء هذا أكثر تفصيلا ، فى الفصل الثالث من الكتاب الثانى من تاريخ الحيوان، على هذه الصورة : « والإنسان يفقد أسنانه كما تفقدها أيضا حيوانات أخرى ، كالحصان والبغل والحمار ، والإنسان يفقد أسنانه الأمامية ، ولكن ليس هناك حيوان يفقد أضراسه ، والخنزير لايفقد أى سنٍّ من أسنانه[٢] » :

٤٩ – قال الجاحظ – بعد أن استطرد ، على طريقته ، إلى ذكر بعض المعارف العربية والأدبية المتصلة بسقوط الأسنان ، وبموضعها فى بعض الحيوان – : « قال : وليس يجمد مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس . وأما ماكان كثير الثرب ، فرقته تجمد ، مثل مرق لحم المعزى[٣] » .

ويقابل هذا النص فى تاريخ الحيوان ، لأرسطو ، ماجاء فى الفصل الثالث عشر من الكتاب الثالث ، حيث جعل الكلام عن دهن الحيوان وشحمه ، من قوله :

« والمرق الذى يتخذ من الحيوان السمين لايجمد ، مثل الفرس والخنزير ، وعلى العكس من ذلك المرق المتخذ من لحم الحيوان ذى الشحم ، فانه يجمد ، مثل مرق الضأن والمعزى[٤] » :

ومقارنة النصين تثبت من الاتفاق بينهما مالايدع شكا فى أن مرجع الضمير فى كلمة « قال » عند الجاحظ هو صاحب المنطق :

٥٠ – قال الجاحظ ، فى عقب النص السابق : « قال : والخنزير الذكر يقاتل فى زمن الهيج ، فلا يدع خنزيرا إلا قتله ، ويدنو من الشجرة ويدلّك جلده ثم يذهب إلى الطين والحمأة فيتلطخ به ، فاذا تساقط عاد فيه :

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذكورة عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه ، وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباش والتيوس فى أقاطيعها ، وهى قبل ذلك الزمان متسالمة . والجمل فى تلك الحالة لايدع جملا ولا انسانا يدنو من هجمته : والجمل خاصة يكره قرب الفرس ويقاتله أبدا . ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب : والأسد ليس ذلك من صفاتها ، لأن بعضها لايأوى إلى بعض ، بل ينفرد كل واحد بلبوئته : وإذا كان للذئبة الأنثى جراء ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها فى ذلك الزمان :

(١) ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٢) v. I, p. 129.

(٣) ج ٤ ، ص ٥٣ .

(٤) v. I, p. 288.

والفيّالون يحمونها النزو ، لأنها إذا نزت جهلت جهلا شديدا ، واعتراها هيج لا يقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ، وأرسلوه فى الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإنهما لا يجهلان على الناس لمكان الألفة .

قال : وزعم بعض الناس أن إناث الخيل تمتلىء ريحا فى زمان هيجها ، فلا يباعدون الذكورة عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضت ركضا شديدا ، ثم لا تأخذ غربا ولا شرقا ، بل تأخذ فى الشمال والجنوب ، ويعرض مثل هذا العرض لإناث الخنازير ؛ فاذا كان زمن هياج الخنازير ، تطأطئ رءوسها ، وتحرك أذنابها تحريكا متتابعا ، وتتغير أصواتها إذا طلبت السفاد ؛ وإذا طلبت الخنزيرة السفاء بالت بولا متتابعا[1] » .

ويقع نظير هذا القول عند أرسطو فى الفصل السابع عشر من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان ، بعد مقدمة قصيرة أشار فيها إلى ماذكره قبل عن سفاد الحيوانات البيوضة ، لينتقل إلى الكلام عن سفاد الحيوانات الولودة ، وبعد أن نبه إلى ملاحظة عامة ، وهى أن السفاد يثير عند الحيوان جميعه رغبة عارمة ، ولذة كبرى ، فى الاستسلام له ؛ وأن الأنثى فى حملها الأول لا تكاد تطاق ، وكذلك الذكر فى أوان السفاد ، وأن الخيل مثلا يعض حينئذ بعضها بعضا ، وتصرع فرسانها ، قال :

« والخنازير الوحشية تصير فى ذلك الوقت غاية فى العنف ، بالرغم من أن السفاد ينهكها كثيرا ، فينصرف بعضها إلى قتال بعض قتالا فظيعا ، وقد تدرعت له مقدما ، وهيأت جلدها ليكون أقسى مايمكن وأغلظ ؛ إذ تحتك بالأشجار وتتمرغ فى الوحل مرارا كثيرة ، ثم تدع الوحل يجف عليها ، ثم تقتتل بكثير من الحدة حين تخرج من بيوتها ، حتى ليحدث كثيرا أن يموت المتقاتلان معا . وليست الثيران والكباش والتيوس أقل من هذا ثورانا ، وقد كانت تحيا أول الأمر متسالمة فى مرعى واحد ؛ فاذا كان وقت السفاد افترقت وأخذت فى قتال عنيف . بل إن الجمل نفسه يصبح فى ذلك الوقت صعب القياد ، ولا يعود يطيق اقتراب انسان ولا جمل آخر . وأما الفرس فمعروف أن الجمل فى خصام دائم معه .

وتخضع الوحوش لهذه التأثيرات . فالدببة والذئاب والأسود تنفر ، فى ذلك الوقت ، من كل من يقترب منها . أكثر مما تفعل فى أى وقت آخر . وإذا كان قتالها بعضها بعضا أقل من غيرها ، فذلك لأنها ليست من الحيوانات التى تعيش قطعانا . وإناث الدببة تسوء أخلاقها إذا كان لها صغار ، وكذلك إناث الكلاب ليست أقل منها فى ذلك

(١) ج ٤ ، ص ٥٤ — ٥٥

من أجل جرائها ؛ والفيلة أيضا تصبح شديدة النفرة فى إبان السفاد . والفيالون فى الهند يعلمون ذلك جيدا ، حتى إنهم ، فيما يقال ، لا يتركونها تنزو على الإناث ، لأنها إذ تصبح فى ذلك الوقت مهتاجة تقوض أكواخهم الرديئة البناء ، وتسبب لهم كثيرا من الخسائر. ويقال إن من الممكن تهدئتها بتقديم طعام موفور لها ، كما يجعل إلى جانبها فيلة أخرى تذللها وتخضعها ، وقد علمت كيف تضربها لترويضها . والحيوانات التى تستطيع أن تتسافد فى أكثر الأحيان ، دون ارتباط بفصل معين ، وعلى سبيل المثال الحيوانات التى تعيش مع الإنسان ، كالخنازير والكلاب ، أقل خضوعا لهذه الانفعالات ، كما هو واضح ، بسبب غلبة تدانيها . . . . . ويقال إن إناث الخيل تهيجها الريح فى تلك الفترة ، وهذا هو الذى يجعلهم فى جزيرة كريت لا يمنعونها من أن ينزى عليها فإذا نزى أخذت فى الابتعاد عن سائر الخيل . ويقال إذ ذاك إن لديها داء هياج الخنازير ، من أجل أنه يصيب إناث الخنازير البرية . وهى لا تجرى (فى ابتعادها) نحو الشرق ولا نحو الغرب ، وإنما تجرى دائما نحو الشمال والجنوب . . . وفى أوقات السفاد تحنو الأفراس بعضها على بعض أكثر مما تفعل عادة ، وتحرك أذنابها فى كل لحظة ، ويتغير صوتها تغيراً شديداً عن صوتها فى غير ذلك الوقت . وكذلك يسيل من أعضائها التناسلية سائل يشبه منى الذكور ، ولكنه أخف منه كثيراً . . . وتبول الأفراس بولا كثيراً متتابعا عند ما تكون مهتاجة quand elles sont en chaleur[1].

والنصان ، فيما نرى ، يتفقان فى معظم المعانى والعبارات ، وإن كانا يختلفان ، بطبيعة الحال ، فى بعض المواضع . والأمر فى ذلك يرجع – كما قلنا غير مرة – إلى الحالات التى تعرض لها النص هنا وهناك . وقد يرجع إلى ما فى النص اليونانى من غموض تختلف فى تبينه وتأويله الأفهام ، كما نرى فى هذه العبارة من النص الجاحظى : « وزعم بعض الناس أن إناث الخيل تمتلئ ريحا فى زمان هيجها » . فالمعنى غامض . وحين عبر المترجم الفرنسى عن ذلك باهتياج الريح لها قال فى تعليقه : إن الكلمة اليونانية غير واضحة تماما ، وأنه غير واثق من المعنى الذى اختاره لها ، كما ذكر أن أوبرت وفيمر Aubert et-Wimmer قد جعلا ترجمة هذه العبارة هكذا : « ويقال إن إناث الخيل تكون فى ذلك الوقت منتفخة Aufgelaht, gonflées .

وهذه الترجمة ، كما هو ظاهر ، أقرب إلى الترجمة العربية . إلى غير ذلك من المواضع التى أشار سانتيلير إلى غموضها .

---

(١) v. II, p. 339-344.

٥١ — قال الجاحظ ، فى عقب النص السابق : « قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر ، وأكثر ما تحمله عشرون خنوصاً : وإذا وضعت أجراء كثيرة لم تقو على رضاعها وتربيتها . قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخى أذنابها ، فاذا فعلت ذلك تكتفى بنزوة واحدة . ويعلف الذكر الشعير فى أوان النزو . ويصلح للأنثى »[1] .

ونظير هذا النص فى تاريخ الحيوان لأرسطو يقع فى الفصل الثامن عشر من الكتاب السادس ، قال :

« والخنزيرة تحمل أربعة أشهر ، وأقصى ما تحمله عشرون صغيرا . إلا أنها حين تضع عدداً كبيرا لا تستطيع تربيته جميعاً . . . : وهى تحمل من نزوة واحدة ، ومع ذلك فانه ينبغى أن ينزى عليها أكثر من مرة ، لأنها تلقى بعد النزو ما يسمى أحياناً « كابرى Caprie » : : : وحين تكون الخنزيرة مهتاجة en chaleur يجب ألا يقدم إليها الذكر حالا ، بل يجب الانتظار حتى ترتخى آذانها ، فما لم تفعل فانها تكون ما تزال مهتاجة ، فاذا سفدها الذكر وهى فى شدة هيجها ، كفت نزوة واحدة ، كما قلنا . وفى أوان نزو الذكر يحسن أن يعطى الشعير ، ولكن حين تضع الأنثى يجب أن تعطى الشعير المغلى »[2] .

وإذا كانت الترجمة العربية ، كما أوردها الجاحظ ، قد أغفلت بعض التفصيلات التى جاءت فى الترجمة الفرنسية ، فان النصين يتفقان بعد ذلك إلى حد غير قليل :

على أن مقارنة النصين يمكن أن تظفرنا ببعض النتائج فى تحرير النص العربى ، وفى تحقيق النص اليونانى فى بعض نشراته وترجماته .

فلعلنا بهذه المقارنة نستطيع أن نقترح تصحيح النص العربى فى قوله : « وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح » فان كلمة « تنزع » نابية لا تكاد تحقق معنى . وأكبر الظن عندنا أنها محرفة عن « لم ينز عليها » ، كما يقتضيه المعنى فى الأصل المترجم إلى الفرنسية . وهو تحريف قريب المأتى . .

ومن ناحية أخرى يستطيع النص العربى أن يفصل فى بعض الخلافات التى ثارت حول النص اليونانى ، فى بعض أصوله . وذلك فى قوله : « وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة » ، فقد ذكر سانتيلير فى هوامش ترجمته أن القراءة الشائعة تذهب إلى عكس ذلك ، فهى تجعل هذه الجملة فى صيغة النفى ، وقد جاءت كذلك فى بعض المخطوطات ، وقبل هذه الصيغة بعض الناشرين ، فيكون

(١) ج ٤ ، ص ٥٥ .

(٢) v. 11, p. 250-251

المعنى على ذلك : « وإناث الخنازير لا تحمل من نزوة واحدة » . وهنا نرى النص العربى الجاحظى يرجح قراءة سانتيلير على القراءة الأخرى الشائعة ، ويؤيد رأيه فى أن هذا النفى إنما كان من إقحام بعض من قصد ، بزعمه ، إلى تصحيح النص .

كما تثير هذه المقارنة مسألة أخرى يقف فيها النص العربى موقف الفيصل . فقد اعتبر أوبرت وفيمر العبارات التى تبدأ بقول أرسطو « وحين تكون الخنزيرة مهتاجة : . . . » إلى آخر الفصل موضوعة على الأصل ، غير صحيحة النسبة إليه ، كما يذكر ذلك سانتيلير فى حواشيه ، قائلا إنهما يريانها زيادات أقحمتها على النص الأصلى يد غريبة . أما سانتيلير فانه لا يرى ما يزعمانه من التغيير فى النص واضحاً الوضوح الذى يحمله على الذهاب مذهبهما .

ووجود هذه العبارات فى الترجمة العربية التى صدر الجاحظ عنها ، بعضها فى هذا النص وسائرها فى النص التالى ، دليل على وجودها فى مخطوطة أخرى غير المخطوطات المعتمد عليها فى تلك الترجمات الأوربية ، وهى لا ترجع إلى ما قبل القرن العاشر للميلاد .

٥٢ — قال الجاحظ : « قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك ، وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاماً »(١) .

وإذا كان هذا النص يقع ، فى حيوان الجاحظ ، مفصولا عما قبله بفقرة عن مدد حمل بعض الحيوان ، فنظيره فى تاريخ الحيوان لأرسطو متصل بنظير ما قبله ، وبه يتم الفصل الثامن عشر من الكتاب السادس . قال :

« ويؤكد بعض الأشخاص أن الخنزيرة إذا فقدت إحدى عينيها فإنها عادة تموت موتاً عاجلا ، ولكن إناث الخنازير تصل ، بصفة عامة ، إلى خمسة عشر عاماً تقريباً ، وبعضها يصل إلى نحو العشرين »(٢) .

٥٣ — وهذا النص الذى نورده فى هذه الفقرة يجئ فى حيوان الجاحظ متصلا بالنص السابق ، كأنه تتمة له ، وليس كذلك عند مقارنته بنظيره فى تاريخ الحيوان لأرسطو ، كما جاء النص السابق منفصلا عما قبله ، وهو متصل به واستمرار له . وربما كان مسبوقاً بكلمة « قال » فسقطت :

قال الجاحظ : « والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفى بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولاد هما لا تجئ كما يريدون . وأجود النزو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين »(٣) :

(١) ج ٤ ، ص ٥٦ .

(٢) v. 11 , p. 351-52.

(٣) ج ٤ ، ص ٥٦ .

ويرجع هذا عند أرسطو إلى الفصل الثانى عشر من الكتاب الخامس ، من تاريخ الحيوان . قال :

« ويمكن أن يتسافد الخنزير ، الذكر والأنثى منه ، لثمانية أشهر ، فتلد الأنثى لسنة ، لأنه بذلك تنتهى مدة الحمل . والواقع أن الذكر يستطيع أن ينزو لثمانية أشهر ، ولكن صغاره تكون ضعافاً جدا إذا هو نزا قبل أن يبلغ تمام عامه الأول . وفوق هذا فان وقت السفاد ليس واحدا — كما قلنا — فى كل مكان ففى بعض البلاد يستطيع الذكر والأنثى أن يتسافدا لأربعة أشهر ، وإذن فهما يستطيعان أن ينتجا ويربيا صغارهما لستة أشهر . وفى أماكن أخرى تبدأ الخنازير النزو فى الشهر العاشر ، وتكون أقوى ما تكون إلى السنة الثالثة »[1] .

وإذا كان النصان يختلفان هنا فى غير موضع ، فلا ينبغى أن يغيب عنا ما فى نص سانتيلير من اضطراب وتناقض لم يملك إلا أن يشير إليه فى حواشيه . فبينما يفهم من صدر النص أن مدة حمل الخنزيرة أربعة أشهر ، إذ تسفد لثمانية وتلد لسنة ، نراه بعد ذلك يجعل مدة حملها شهرين ، حين يذكر أنها قد تسفد لأربعة أشهر وتلد لستة أشهر . فلا بد أن تكون عبارة أرسطو قد تعرضت لشىء من التشويه والتحريف ، حتى جاءت على هذه الصورة المضطربة المتناقضة .

٥٤ — قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : لا يكون خنزير ولا أيّل بحريا . وذكر أن خنازير بعض البلدان يكون لها ظلف واحد ؛ ولا يكون بأرض نهاوند حمار ، لشدة برد الموضع ، ولأن الحمار صرد »[2] .

فأما الفقرة الأولى من هذا النص فلم أوفق إليها فى تاريخ الحيوان لأرسطو . ومظنتها الفصل الثانى من الكتاب الثامن منه ، وهو الفصل الذى جعله لتقسيم الحيوان إلى برى tezzestre وبحرى aquatique .

وأما الفقرة الثانية فقد تقدم ذكرها ، وذكرنا موضعها فى أرسطو ، فى النص رقم ٤٧ .

وأما الفقرة الثالثة فتجىء الإشارة إلى موضوعها فى الفصل السابع والعشرين من الكتاب الثامن من تاريخ الحيوان ، وهو الفصل الذى يتحدث فيه عن أثر الجو فى تكوين الحيوان ، ويمضى فى هذا الحديث حتى يذكر أنه من أجل ذلك كانت الحمير فى إيليريا وتراقيا وإبريا صغيرة الجثة ، « وحتى لم يعد هناك حمير فى سكيثيا وفى بلاد الكلت ، لأن هذا الحيوان لا يحتمل البرد »[3] .

---

(١) v. 11 , p. 166.

(٢) ج ٤ ، ص ١٠٦ .

(٣) v. III, P. 117.

ومن البين أن كلمة « نهاوند » فى النص ربى ، وهى اسم مدينة من مدن الجبال ، صعت موضع هذه الأسماء الغريبة بالقياس ، القارىءالعربى . ولا أدرى إن كان ذلك عاً من التصرف فى الترجمة ، مما يلجأ إليه ض المترجمين أحياناً ، أم هو من صنع ض النساخ .

٥٥ — قال الجاحظ ، عقب النص السابق : وقال : فى أرض كذا وكذا لا يكون بها ىء من الخلد ، وإن نقله إنسان إليها لم يحفر ؛ يتخذ بها بيتاً . وفى الجزيرة التى تسمى .قلية لا يكون منها صنف من النمل الذى سمى أقرشان »(1) .

ويقع نظير هذا النص فى الفصل الذى جع إليه الفقرة الأخيرة السابقة ، قبلها ضع فقرات . ونراه هنالك على هذا النحو :

« فى بيوتيا Béotie يوجد كثير من لخلد taupes فى ضواحى أركومين Archoméne ، بينما هو لا يوجد فى ادبا Lébadie ، وهى جد قريبة . وإذا ل إليها لم يحفر فى أرضها . . . وفى .قلية لا يرى النمل الفرسان fourmies-cavalière »(2) .

والنصان متقاربان إلى حد غير قليل . لكناية عن أسماء البلاد التى ذكرها أرسطو بكذا وكذا ربما كانت من عمل المترجم أو صنيع الجاحظ . أما كلمة « أقرشان » (أو أفرشان بالفاء فى نسخة أخرى) على أنها اسم للنمل الذى يسميه أرسطو النمل الفرسان ، فالمتبادر أنها محرفة عن كلمة « الفرسان » ، كما تقتضيه التسمية اليونانية .

٥٦ — قال الجاحظ : « قال : ويعرض لفراخ الحيات مثل الذى يعرض لفراخ الخطاطيف . فان نازعاً لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة »(3) .

ويقع نظير هذا النص فى الفصل الثانى عشر من الكتاب الثانى من تاريخ الحيوان . وذلك إذ يقول :

« ويؤكد بعض الأشخاص أن الحيات تقدم نفس الظاهرة التى لفراخ الخطاطيف . ذلك أن عيون الحيات إذا نزعت تعود ثانية »(4) .

والاتفاق بين النصين لا يدع مجالا للشك فى أن فاعل الفعل « قال » عند الجاحظ هو صاحب المنطق ، وإن أسقطه الناسخ أو سها عن ذكره الجاحظ .

وبين أيدينا ما جاء فى هذا الموضع فى الترجمة العربية القديمة التى أشرنا إليها من قبل . وهى لا تختلف عنهما إلا فى بعض التفصيلات الصغيرة . وها هى ذى :

« وقد زعم بعض الناس أنه يعرض للحيات مثل العرض الذى يعرض لفراخ الخطاف :

(1) ج ٤ ، ص ١٠٦ .

(2) v.III, p. 115.

(3) ج ٤ ، ص ١٤٣ .

(4) v. I, p. 190.

وأنه إن نخس أحد عينيها بإبرة أو شيء آخر حاد أعماها نبتت (؟) أيضاً (. . . . ؟) . وتعود أعينها إلى الصحة ، كما كانت أولا »[1].

٥٧ – قال الجاحظ : « وزعم أن السلحفاة والرق والضفدع مما لا بد له من التنفس ، ولا بد لها من مفارقة الماء ؛ وأنها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة من الماء ، وذلك للنسب الذي بينها وبين الضب ، وإن كان هذا برياً وهذا بحرياً »[2].

وترجع هذه العبارة المحكية بالمعنى العام ، لا بالنص ، فيما نحسب ، إلى الفصل الثاني من الكتاب الثامن من تاريخ الحيوان ، حيث يتحدث أرسطو عن تقسيم الحيوان إلى مائي وأرضي ، وذلك إذ يقول إن من بين الحيوانات التي تمشي على الأرض وتتنفس الهواء ، يوجد كثير يأخذ غذاءه من الماء . ثم يقول :

« مثال ذلك السلاحف المسماة سلاحف البحر والتماسيح وأفراس البحر والفقم les phoques ، ومن الحيوانات الأصغر من ذلك سلاحف الأرض والضفادع . كل هذه الحيوانات تختنق إذا ظلت زمناً دون أن تتنفس ، وهي تضع صغارها وتربيها على الأرض اليابسة »[3] .

فإذا صح ذلك كان صاحب الزعم هنا ، فيما يقول الجاحظ ، هو صاحب المنطق .

٥٨ – قال الجاحظ : وقد زعم صاحب المنطق أن الحية وسام أبرص من العظاء ، والتمساح ، تسكن في أعشتها الأربعة أشهر الشديدة البرد ، لا تطعم شيئا ، وأن سائر الحيات تسكن بطن الأرض ، فأما الأفاعي فإنها تسكن في صدوع الصخر »[4] .

ونظير هذا النص عند أرسطو يقع في أول الفصل السابع عشر من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان ، إذ يتحدث عن اعتزال الحيوان وتشتيته ، فيقول :

« ومن الحيوانات ذوات الدم ما ينزوي ويعتزل ، كذوات الجلد القشيري ، مثل الحية وسام أبرص والعظاءة والتمساح النهري ، فتعتزل أثناء أشهر الشتاء الأربعة الأشد برداً ، ولا تطعم طول هذه المدة شيئا . وسائر الحيات تأوي إلى باطن الأرض ، وأما الأفاعي فإنها تختبيء تحت الأحجار »[5] .

والنصان متطابقان – كما نرى – تطابقا يكاد يكون تاما ، إلا في وصف الحيوانات بذوات الدم ، مما لم يجيء في النص العربي . ومع ذلك فقد علق سانتيلير عليه بقوله ، في حواشيه : « العبارة غامضة جداً . ولا تعين تعييناً كافياً الحيوانات المذكورة هنا » .

(١) الورقة ٣١ .
(٢) ج ٤ ، ص ١٤٤ .
(٣) v. III, p. q.
(٤) ج ٤ ، ص ١٤٥ .
(٥) v. III, p. 73-74.

وفى المقارنة بين النصين يبدو أن من الممكن اقتراح وضع كلمة : « والعظاءة » بدلا من : « من العظاء » كما هو فى النص المنشور لحيوان الجاحظ ، على أن « من » ليست إلا تصحيفاً للواو . وهو تصحيف قريب . وقد وقع فى موضع آخر من هذا النص ، كما هو ظاهر فى القراءة المثبتة فى الهامش .

٥٩ ــ قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان »[١] .

ولم أعثر بعد على هذا القول عند أرسطو :

٦٠ ــ قال الجاحظ : « ومنها (أى من الحيات) ذوات قرون [وأرسطو ينكر ذلك[٢]] .

والجزء الأخير من هذا النص افترضه الأستاذ الناشر فى موضع البياض من إحدى المخطوطات ، عن الدميرى . وهو افتراض – فيما أرى – مقبول .

وبقى أن نعرف أين جاء إنكار أرسطو أن يكون من الحيات ذوات القرون .

أغلب الظن أن ذلك يرجع إلى ما ذكره عن حيات مصر ، مما عرض له هيرودوت فى كتابه ، فى الفصل الرابع والسبعين من الكتاب الثانى . فقد قال أرسطو فى الفصل الثانى من الكتاب الثانى من تاريخ الحيوان – وهو الفصل الذى جعله للحديث عن بعض صفات الحيوانات ذوات الأربع – :

« وكل الحيوانات ذوات القرون من ذوات الأربع ، إلا بعض حيوانات يقال إن لها قروناً ، على سبيل المجاز أو طريقة الكلام ، كحيات نواحى طيبة التى يذكرها المصريون »[٣] .

أو ما جاء فى الترجمة العربية القديمة « فى طبائع الحيوان البرى والبحرى » :

« وجميع الحيوان الذى له قرون ذو أربعة أرجل ، ما خلا الحيوان الذى يقال إن له قروناً بنوع الاستحالة من الحيات التى تكون فى ناحية البلدة التى تسمى باليونانية (ساس) كما يزعم أهل مصر . وإنما تلك التى تطر (تظهر ؟) قروناً نتوء جاس فى رءوسها شبيه بالقرون »[٤] :

فهذه العبارة التى يذكر بها أرسطو تلك الدعوى تتضمن إنكارا لها .

٦١ – « قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : الأيائل تصاد بالصفير والغناء . وهى لا تنام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ، ويأتون من خلفها ، فان رأوها مسترخية الآذان وثبوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سبيل »[٥] .

(١) ج ٤ ، ص ١٥٦ .	(٢) ج ٤ ، ص ١٥٨ .
(٣) v' , p. 118.	(٤) ورقة ٢١ . ولعل اسم المدينة المذكورة فى النص : تيباس ؟
(٥) ج ٤ ، ص ١٩٣ .

ونظير هذا النص فى تاريخ الحيوان لأرسطو يقع فى آخر الفصل السادس من الكتاب السابع ؛ إذ يقول :

« وتصاد الأيائل بالنفخ فى المزمار وبالغناء فيجتمع لذلك صائدان ، أما أحدهما فيقف أمام الحيوان ، يغنى أو يزمر بالمزمار ، دون أن يستتر ، وأما الآخر فيقف وراء الأيّل يمسكه حين يشير إليه زميله أن قد حانت اللحظة . وما دام الأيّل ناصباً أذنيه فهو يصغى كل الإصغاء ، ولا يكون من الممكن مباغتته ، أما حين يرخيهما فهو لم يعد يسمع شيئاً ، فيثبان عليه »(١) .

والنصان يتوافقان — كما نرى — إلى حد غير قليل ، إلا ما كان من بعض التفصيلات فى نص سانتيلير ، دون أن تكون فى نص الجاحظ ، وإلا ما قد يكون من طبيعة الترجمة والنقل .

٦٢ — قال الجاحظ : « وزعم صاحب المنطق أن الرعد الشديد إذا وافق سباحة السمك فى أعلى الماء رمت ببيضها قبل انتهاء الأجل : وربما تم الأجل فتسمع الرعدالشديد فيتعطل عليها أياماً بعد الوقت »(٢) .

ولم يتح لى أن أجد هذا القول فى حيوان أرسطو . والذى عرض له أرسطو من هذا القبيل هو تأثير الرعد فى الغنم ، فتسقط صغارها حين تسمع الرعد وهى حامل : وذلك فى الفصل الرابع من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان (٣) .

٦٣ — قال الجاحظ — بعد أن حكى حديثاً من أحاديث كعب الأحبار ، ذكر فيه ما عوقبت به الأرض حين شربت دم ابن آدم وأنها لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ولا من غير ولده ، وما استطرد إليه من ذكر بعض الآثار التى ذكر فيها بغض الأرض للدم — :

« وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم ، إلا يسيراً من دماء الإبل خاصة »(٤) .

وقد أوردنا هذا النص قبل ، مع نص مثله جاء فى الجزء الثالث من حيوان الجاحظ ، وذكرنا ما يشيران إليه فى كتابى أرسطو : تاريخ الحيوان ، وأعضاء الحيوان ؛ وعلقنا عليه ، واستخلصنا من المقارنة ما أتيح لنا ، وأن كلمة « الإبل » فى هذا النص مصحفة عن كلمة « الأيّل » مفرد الأيائل (٥) .

٦٤ — قال الجاحظ : « وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكل اللحم والعشب . وزعم أن الحيات أظهر كلباً من

(١) v. III , p. 154.
(٢) ج ٤ ، ص ١٩٣ .
(٣) V. III, P. 147.
(٤) ج ٤ ، ص ٢٠١ .
(٥) النص رقم ٢٣ (مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ديسمبر سنة ١٩٥٤ ص ٨١ — ٨٢).

جميع الحيوان ، مع قلة شرب الماء ؛ وأن الأسد ، مع نهمه ، قليل شرب الماء . قال : ولا تضبط الحيات أنفسها إذا شمت ريح السذاب ، وربما اصطيدت به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها وقد سكرت . قال : والحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب . وزعم أن الحيات تسلخ جلودها فى أول الربيع ، عند خروجها من أعشتها ، وفى أول الخريف . وزعم أن السلخ يبتدئ من ناحية عيونها أولا . قال : ولذلك يظن بعض من يعاينها أنها عمياء . وهى تسلخ من جلودها فى يوم وليلة من الرأس إلى الذنب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يسلخ الجنين من المشيمة . وكذلك جميع الحيوان المحزز الجسد ، وكل طائر لجناحه غلاف مثل الجعل والدبر . وكذلك السرطان يسلخ أيضاً ، فيضعف عند ذلك عن المشى . وتسلخ جلودها مرارا »[1] .

وهذا النص يتألف — كما نرى — من أشياء كثيرة مختلفة .

فأما الكلام عن الوزغ والحيات فيقع فى صدر الفصل السادس من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول :

« والحيوانات ذوات الجلد الحرشفى ، مثل الوزغ ، وذوات الأربع الأخرى من هذا النوع ، والثعابين ، تأكل كل شئ ؛ فهى تتغذى باللحم وتأكل أيضاً العشب . وليس هناك أكثر شرها من الثعبان . وكل هذه الحيوانات قليلة الشرب »[2] .

وأما قوله إن الأسد ، مع نهمه ، قليل شرب الماء ، فيقع فى الفصل الذى يلى هذا الفصل ، إذ يقول :

« والأسد من أكلة اللحم . . . وهو يأكل بشره . . . وهو قليل شرب الماء »[3] .

وأما العبارة التى تشير إلى أثر السذاب فى الحيات ، فقد نجد ما يناظرها فى تاريخ الحيوان ، إذا نحن وضعنا كلمة « الشراب » أو « الخمر » موضع كلمة « السذاب » . وذلك فى الفصل نفسه الذى تحدث فيه عن الوزغ والثعابين ، وهو الفصل السادس من الكتاب الثامن ، إذ يقول :

« والثعابين تحب الخمر حباً شديدا ، حتى إنه حين يراد صيد الحيات توضع بين الأشراك آنية أو أصداف فيها خمر . وبذلك تصاب الحيات حين تكون ثملة »[4] .

وكذلك يقع فى هذا الفصل ما يناظر قوله إن الحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب . وذلك على هذه الصورة :

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤

(٢) v. III , p. 37.

(٣) v. III ,p. 42.

(٤) v. III , p. 38.

« والثعبان يأكل صغار الطير ، وصغار البهائم ، ويبتلع البيض »[١] .

وأما باقى النص الذى يجرى الحديث فيه عن سلخ الحيات جلدها ، فيقع فى الفصل التاسع عشر ، من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول أرسطو — بعد أن تكلم عن كمون الحيوان ، ثم انتقل إلى الكلام عن تجرده — :

« والحيات تتجرد أيضاً من جلدها القديم فى الربيع والخريف . . . وهى حين تسلخ جلدها ، تبدأ هذا السلخ من ناحية عيونها . ومن لم يعرف ذلك ظن أنها صائرة إلى العمى . ويمتد السلخ من الأعين إلى الرأس التى تظهر بيضاء قبل سائر الجسد . وفى يوم وليلة ينفصل الجلد القديم كله من الرأس إلى الذنب . ويحدث السلخ من الباطن إلى الظاهر . وانسلاخ الثعبان هو كخروج الأجنة من المشيمة . وبمثل ذلك أيضاً يكون تغيير الحشرات لجلودها . وكذلك عند النحل وما يسمى كرى كرى les cri cri …

وحين يتجرد السرطان فان صدفته تصير رخوة جدا ، ويلاقى فى المشى عنتاً شديدا . وهذا الحيوان لا يتجرد مرة واحدة ، بل مرات عديدة فى السنة »[٢] .

نحن من هذا النص من نصوص حيوان الجاحظ إزاء اقتباسات مختلفة جمعها أبو عثمان فى جملة واحدة لما لها من علاقة اعتبرها فيها ، وما بينها من مناسبة لاحظها . وأكبر الظن أنه لم يتحرّ نقلها بلفظها ، ولا مراعاة الدقة فى إيرادها . ولعل ذلك مما يمكن أن يعد سببا من أسباب ما نرى من خلاف بينها وبين الأصل الذى بين أيدينا .

أما الكلام عن أثر «السذاب» فى الحيات فأكبر الظن عندنا أن كلمة « السذاب» محرفة عن « الشراب » بمعنى الخمر ، وهو تصحيف قريب . وبذلك يلتقى النصان هنا . وأحسب أن هذا التصحيف لم يجىء اعتباطا . وإنما هو متأثر بما جاء فى موضع آخر ، عن أرسطو ، من أثر السذاب la rue فى الحيات إذ يقول الجاحظ — وسنرى ذلك بعد إن شاء الله — : « وقيل لى — وقرأت فى كتاب الحيوان — أن ريح السذاب يشتد على الحيات[٣] » فذلك فيما نرجح ، هو الأصل فى ذلك التصحيف :

ومن الخلاف الذى نرجح أيضا أنه يرجع إلى تحريف فى النص العربى ، كلمة « العشب » فى قوله : « والحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب » ، فظاهر أن العشب ليس مما يبتلع . وموضع العشب فى النص الآخر هو

(١) v.III, p.88.

(٢) v. III, p. 84-85.

(٣) ج ٥ ، ص ٣٦٥ .

صغار البهائم أو ما إلى ذلك ؛ وإذا كنت لا أملك الآن رد هذه الكلمة إلى الأصل الذى حرفت عنه على سبيل القطع أوالترجيح فإنى أذكر كلمة « النَّقَد » بفتحتين ، على أنها مما يحتمل افتراضه فى مثل هذا الموضع .

٦٥ ــ قال الجاحظ : « قال : وعض السباع ذوات الأربع ، ولدغ الهوام ، يختلف بقدر اختلاف البلدان ، كالذى يبلغنا عن أفاعى الرمل ، وعن جرارات قرى الأهواز ، وعقارب نصيبين ، وثعابين مصر ، وهنديات الخرابات [١] » :

وقد عرض أرسطو لهذا المعنى بما يجعلنا نرجح أن فاعل « قال » فى هذا النص هو « صاحب المنطق » ، وإن كانت الأمثلة والشواهد التى يذكرها مختلفة ، وربما كان المنسوب إلى أرسطو هو صدر العبارة المتضمن للقضية عامة ، أما الشواهد فهى من عند الجاحظ تقريرا لهذه القضية :

وذكر أرسطو لهذا المعنى يقع فى الفصل الثامن والعشرين من الكتاب الثامن ، من تاريخ الحيوان . قال :

«واختلاف الأقطار ينشأ عنه اختلاف كبير فى أنواع عضة الحيوانات ، فالعقارب فى إقليم فاروس ، وفى بعض الأقاليم الأخرى ، ليست بذات خطر ، ولكنها فى جهات أخرى ، وخاصة «كارى» عديدة وكبيرة ، بقدر ما هى مثيرة للفزع ... الخ » [٢] .

ومما يؤيد افتراضنا أن الجاحظ يرجع بهذا القول إلى أرسطو هذا النص الذى نذكره بعد ، والذى يقع عقب نصنا هذا ، كما يقع فى الفصل نفسه لدى أرسطو .

٦٦ ــ قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التى تسمى باليونانية « طبقون » حية صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تعالج بحجر يخرج من بعض قبور قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون سما ، مثل العقارب والأفاعى » [٣] .

ويقع هذا النص عند أرسطو ــ كما قلنا ــ فى الفصل نفسه الذى جاء فيه النص السابق . قال : « وكثيرا ما يخفى نبات السلفيوم silphium ثعبانا صغيرا ، يعالج سم عضته ــ فيما يقال ــ بحجر يؤخذ من قبر ملك من الملوك القدماء ، ينقع فى الخمر ، ثم يبادر بشربها ... وجميع الحيوانات السامة تكون

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٣) ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

(٢) v. III , p. 122.

عضتها أشد خطرا ، بقدر ما يفترس بعضها بعضا ، كالحية إذا أكلت العقرب [1] » .

والسلفيوم المذكور هنا هو نبات من نباتات ليبيا ، ذكرة تيوفراست Théophsaste خليفة أرسطو ، فى كتابه تاريخ النبات Histoire des plantes ، فى الفصل الثالث من الكتاب السادس منه . وظن المترجم العربى ، فيما نقدر ، أنه اسم بلدة ، وساقه هذا المساق . وعندنا أن كلمة « طبقون » محرفة ، على وجه ما ، عن كلمة « سلفيون » أو « سلفيوم » هذه .

٦٧ — قال الجاحظ : « والأيل إذا ألقى قرونه علم أنه قد ألقى سلاحه ، فهو لا يظهر وكذلك ان سمن علم أنه يطلب ، فلا يظهر . وكذلك أول ما ينبت قرنه يعرضه للشمس ، ليصلب ويجف ، وإن لدغت الأيل حية أكل السراطين ، فلذلك نظن أن السراطين صالحة للديغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيل ولدا أكلت مشيمتها ، فيظن أن المشيمة شىء يتداوى به من علة النفاس [2] » .

ويمكن أن نجد هذه الأقوال فى تاريخ الحيوان لأرسطو ، متفرقة ، فى الفصل السادس من الكتاب السابع منه ، إذ يقول — فى سياق حديثه عن الأيل :

« والذكر حين يثقل جرمه ، إذ يصير فى فصل الخريف سمينا ، لا يعود للظهور ، كما أنه يغير مأواه ، كأنما يحس أن أخذه بسبب سمنته أصبح أمرا يسيرا . وفى حالة فقده قرنيه يمضى إلى أصعب الأمكنة منالا واهتداء إليها ... ويقال إن الأيائل تحرص على ألا ترى فى الوقت الذى فقدت فيه سلاحها ... وحين يأخذ القرنان فى الكبر فإن الحيوان يتعرض للشمس من أجل انضاجهما وتجفيفهما ... وحين يعض الإيل عنكبوت araignée-phalange ، أو أية حشرة أخرى من هذا القبيل فإنه يأخذ فى التماس بعض الاسكارجو escargots ليأكله . ومثل هذا قد يكون مفيدا للناس أيضا ، وان يكن طعمه مثيرا للتقزز . وحين تضع الأنثى تأكل على الفور ميشمتها ، حتى إنه ليصعب أخذها منها ، لأنها تمسك بها قبل أن تسقط على الأرض . وبذلك اعتبرت المشيمة دواء نافعا [3] » .

ومعظم الخلاف بين هذين النصين يرجع إلى الإيجاز فى النص العربى ، والتفصيل فى النص الآخر .

على أن هناك بعد ذلك ما يرجع إلى الخلاف فى فهم الكلمة اليونانية وتعيين مدلولها ومرادفها ، كالذى نراه فى قول النص العربى

---

(١) v. III, p. 122-123.

(٢) ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

(٣) v. III, p. 150-154.

الجاحظى : « وإذا لدغت الأيّل حية أكل السراطين » ، فإننا نجد النص الآخر يضع كلمة العناكب Araignee-phalange موضع كلمة « الحية » ، كما نجد كلمة الاسكارجو فى مقابل كلمة السراطين العربية . على أن سانتيلير يقول فى حواشيه أن الكلمة اليونانية التى دل عليها بكلمة escargots الفرنسية تدل أيضا على ما يسمى بالفرنسية Crabes . وهذه الكلمة يمكن ، بمدلولها ، أن توضع بإزاء كلمة السراطين العربية .

أما أكل أنثى الايّل مشيمتها فقد كان من المواضع التى علق عليها سانتيلير فى حواشيه ، فقال : إن من المحتمل عنده أن هذه الفقرة كانت تعليقا على الهامش . ثم جاء أحد النساخ فاعتبرها من النص وأدخلها فيه ؛ ويضعف هذا الاحتمال وجودها فى النص العربى ، فى نفس السياق الذى نراه فى النص الذى ترجمه سانتيلير .

٦٨ ــ قال الجاحظ : « قال : والدبة إذا هربت دفعت جراءها بين يديها ، وإن خافت على أولادها غيبتها ، وإذا لُحقت صعدت فى الشجر وحملت معها جراءها .

قال : والفهد إذا عراه الداء الذى يقال له (خانق الفهود) أكل العذرة فبرىء منه .

قال : والسباع تشتهى رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فر بعضها منه فيطمع فى نفسه . فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتى طائر فيأكل ذلك ، فيكون طعاما له وراحة للتمساح :

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صعترا جبليا . وقد فعلت ذلك مرارا فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصعتر ، مرارا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأما ابن عرس فانه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية . كما أن سام أبرص لا يدخل بيتا فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان فى أجوافها دود أكلت سنبل القمح .

قال : ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغنم ، فإنه يذبحها كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة فى الطعم .

وزعم أن القنافذ لا يخفى عليها شىء من جهة الريح ونحولها وهبوبها ، وأنه كان بقسطنطينية رجل يقدم ويعظم لأنه كان يعرف هبوب الريح ويخبرهم بذلك . وإنما كان يعرف الحال فيها بما يرى من هيئة القنافذ »[1] .

(١) ج ٤ ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

فها نحن من هذا النص إزاء فقرات مختلفة تتحدث جميعها عن بعض مظاهر الغريزة عند الحيوان، وهدايتها له في سلوكه. وتقع نظائرها في الفصل السابع من الكتاب التاسع، من تاريخ الحيوان لأرسطو، على ترتيبها هنا تقريبا. وإن جاءت هنا في صورة مقتطفات من هذا الفصل، وذلك إذ يقول:

« حين تهرب الذئبة أمام الصائد تدفع صغارها أمامها، كما تحملها وقد أخذتها في فمها. فإذا كانت على وشك أن تؤخذ تسلقت الأشجار ... وإذا اتفق أن ابتلعت الفهدة السم الذي يقال له: (الموت للفهود) فإنها تلتمس عذرة إنسان فتبرئها، فهي دواء لها، وعلى العكس بالنسبة للأسود فهي قاتلة لها. والصيادون يعرفون ذلك جيدا حتى إنهم ليعلقون على شجرة شيئا من العذرة في وعاء، بحيث تبقى غير بعيد منها، فإنها لا تلبث أن تموت من الجهد الذي تبذله في قفزها نحو الوعاء مؤملة بلوغه. كما يؤكدون أيضا أنها إذ تعلم أن رائحتها تجتذب بعض الحيوانات الأخرى، فإنها تختبيء لصيدها، حتى إذا اقتربت منها انقضت عليها. ومن بينها الأيائل ... والتمساح حين يفتح فكه تسرع إليه الطير المسماة تروكيل trochiles طائرة، لتنظف له أسنانه، وهي تجد في ذلك طعاما لها. أما التمساح الذي أراحه هذا الصنيع، فإنه يعرفه لها، فلا ينالها بأذى، فإذا أراد التروكيل أن يخرج حرك التمساح عنقه بطريقة تجنبه أذى العض. والسلحفاة إذا ابتلعت أفعى أكلت صعترا. وقد قرر ذلك على هذه الصورة: لقد كان أحد الناس رأى سلحفاة تفعل ذلك عدة مرات. كلما ابتلعت الصعتر عادت إلى حية أخرى، فاقتلع الصعتر فماتت السلحفاة للتو، إذ حرمت من هذا الدواء.

أما ابن عرس فإنه إذا أراد أن يقاتل ثعبانا بدأ بأكل السذاب الذي يكره الثعبان رائحته ... والكلاب إذا كان في أجوافها دود تأكل سنبل القمح ... ويظهر ابن عرس ذكاء في طريقة قتله للطير، فإنه يخنقها كما يخنق الذئب الغنم. ويقاتل ابن عرس خاصة الثعابين الصائدة للفيران، لأنه يغتذى أيضا بالفيران. وكثيرا ما أمكن ملاحظة أن القنافذ تحس تغيرات الرياح، إذا كانت تهب من الشمال أو الجنوب، فمنها ما يغير فتحات الثقوب التي يصنعها لنفسه في الأرض، ومنها مما يعيش في دورنا، ما ينتقل من حائط إلى آخر. ويحكى أن شخصا من بيزنطة كان قد لاحظ هذه الغريزة عند القنفذ، فاشتهر بأنه صائب التنبؤ بالجو [1] ».

وإذا كان النظر في هذين النصين، كل على حدة، يثير التساؤل عما يلابس كلا منهما، في بعض أجزائه من غموض

(١) v. III, p. 155-159.

واضطراب ، فإن المقارنة بينهما تثير كثيرا من المسائل الناشئة عن أوجه من الخلاف بينهما ، وعما يمكن أن يرجع إليه هذا الخلاف .

من هذا الخلاف ما هو يسير المأتى هيِّن الأمر قريب التأويل ، كجعل النص العربى الحديث عن الدب فى صيغة المفرد المؤنث (الدبة) ، وجعل النص الآخر الحديث عنه فى صغية الجمع (الدببة) ، فالصيغتان متقاربتان فى الصورة الخطية تقاربا لا نبعد معه أن تكون كلمة « الدبة » تصحيفا لكلمة « الدببة » . وإن كان من الممكن أن يكون المترجم هو الذى آثر هذه الصيغة.

ومن ذلك تسمية الترجمة العربية بيزنطة وهو الاسم القديم ، باسم القسطنطينية ، وهو الاسم الذى أطلق عليها بعد استيلاء الملك قسطنطين عليها فى القرن الرابع ، والذى لا يكاد المسلمون الأوائل يعرفونها إلا به . فأكبر الظن أن ذلك كان من تصرف المترجم .

وهناك مواطن أخرى من الخلاف ليس من اليسير تفسيرها واتخاذ موقف منها إلا أن تجتمع لنا أدوات هذا التفسير ، وهى ليست متاحة لنا الآن .

٦٩ ــ قال الجاحظ : « قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره ، وإن لم يكن ذا سلاح ، فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعدوها ، ومنه المشترك الطباع ، كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعا ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب ، ومنه ما يأكل شيئا خاصا ، مثل جنس النحل المعسِّل الذى غذاؤه شىء واحد ، وجنس العنكبوت ، فإن طعم النحل المعسل العسل ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب .

ومن الحيوان ماله مسكن ومأوى كالخلد والفأر والنمل والنحل والضب ، ومنه ما لا يتخذ شيئا يرجع إليه كالحيات ، لأن ذكورة الحيات سيارة ، وإناثها إنما تقيم فى المكان إلى تمام خروج الفراخ من البيض ، واستغناء الفراخ بأنفسها ، ومنها ما يكون يأوى إلى شقوق الصخور والحيطان والمداخل الضيقة ، مثل سام أبرص .

قال : والحيات تألفها كما تألف العقارب الخنافس ، والعظايا تألف المزابل والخرابات والوزغ قريبة من الناس [1] » .

ونرجو أن نوفق بعد إلى ما يناظر هذا النص فى حيوان أرسطو .

(١) ج ٤ ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

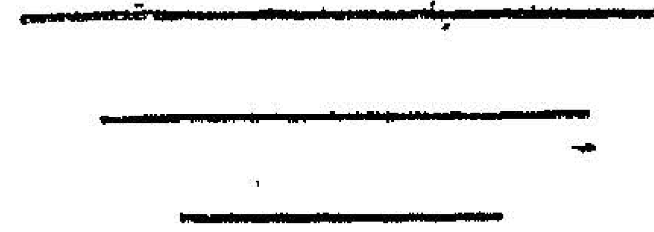
٧٠ ـ قال الجاحظ ـ فى سياق كلامه عن النعامة ـ وأنها ، مع عظم عظامها وشدة عدوها ، لامخ فيها : « وقال صاحب المنطق : ليس المخ إلا فى المجوفة ، مثل عظم الأسد ، وفى بعض عظامه مخ يسير . وكذلك المخ قليل فى عظام الخنازير ، وليس فى بعضها شىء منه البتة [1] » .

ونظير هذا النص فى تاريخ الحيوان لأرسطو يقع فى الفصل الخامس عشر من الكتاب الثالث ، وذلك إذ يقول :

« وليس فى كل العظام مخ ، فهو لايوجد إلا فى العظام المجوفة ، وحتى هذه لا يوجد فيها دائما . فعظام الأسد قد لا يوجد فيها مطلقا . ولا يوجد فيها إلا قدر يسير جدا . كما زعموا أحيانا ، وكما قيل من قبل ، إن الأسود ليس بها مخ مطلقا . وكذلك عظام الخنازير ، المخ فيها قليل جدا ، وقد رئى منها ما ليس فيها شىء منه [2] » .

والنصان هنا متطابقان إلى حد بعيد ، ولا يكاد يخالف بينهما إلا طبيعة الأسلوب فى كل منهما ، وجنوح أحدهما إلى الإيجاز والقصد ، وجنوح الآخر إلى الإطناب والتشقيق .

محمد طه الحاجرى



(١) ج ٤ ، ص ٣٢٧ .

(٢) v. I , p. 800.

الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية

للدكتور فؤاد البهى السيد

(أ) مقدمة

الطريقة التكاملية طريقة جديدة فى تعليم اللغة العربية تعتمد فكرتها الرئيسية على الخصائص النفسية لعملية التعلم وللمتعلم نفسه، وترقى بالتعلم إلى مستوى التجويد، وتراعى الخصائص المميزة للغة العربية كلغة سامية تختلف فى تكوينها عن اللغات الأوربية. ولهذا تختلف الطريقة التكاملية عن الطرق الأخرى التى استخدمت من قبل فى تعليم اللغة العربية، والتى نشأت فى أصلها من الطرق المتبعة فى تعليم اللغات الأوربية ولم تراع لذلك الخصائص الفارقة للغة العربية.

وقد سميت هذه الطريقة التكاملية لأنها تعلم اللغة العربية كوحدة تتكامل أجزاؤها، منذ الخطوة الأولى لتعليمها وتنمو فى مدارجها المتتابعة ككل له وحدته لا كأجزاء منفصلة كما تفعل الطرق الأخرى.

وسنبين فيما يلى الخصائص الرئيسية للطريقة التكاملية وأهم مزاياها، ومراحلها السبع الرئيسية، والطرق الخاصة المناسبة لتعليم كل مرحلة من تلك المراحل، والبرنامج التجريبى المناسب لضبطها وتقويمها قبل تعميمها.

(ب) خصائص الطريقة التكاملية وأهم مزاياها

أهم خصائص الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية أنها تحافظ خلال جميع مراحل تعليمها على تكامل فروع اللغة العربية فى وحدة عضوية تنمو ككل فى تناسق وتناسب صحيح بحيث لا يسبق نمو أحد الفروع الفروع الأخرى فيشوه بذلك النمو العضوى للظاهرة اللغوية، شأنها فى ذلك شأن نمو أى كائن حى. فمثلا إذا زاد نمو الأذرع فى إنسان ما عن المعدل الطبيعى للنمو النسبى والكلى أصبح ذلك الانسان كائنا «مشوها»، وكذلك الحال بالنسبة للنمو اللغوى عند الطفل. ولذلك لا تقسم الطريقة التكاملية اللغة العربية إلى فروع مختلفة ولا تعلم كل فرع من هذه الفروع بمعزل تماما عن الفروع المختلفة كما تفعل الطرق الأخرى.

وقد نجحت أغلب رياض الأطفال فى انجلترا وأمريكا ودول غرب وشمال أوروبا فى تعليم أطفال سن الخامسة وما قبل الخامسة، القراءة والكتابة والتعبير حيث يتعلم الطفل

اللغة كظاهرة لها وحدتها فلا تنفصل فروعها ولا يسبق فرع منها الفروع الأخرى فى عملية التعلم اللغوى .

وكما تصلح هذه الطريقة لتعليم أطفال فصول الرياض وتلاميذ المدارس الابتدائية فإنها تصلح أيضا لتعليم الكبار ومحو الأمية ولا تحتاج من المعلم إلى تدريب طويل لأنها سهلة وبسيطة وتجعل كل معلم يعمل مع كل فرد وفق سرعته ، وتحوّل الفصل إلى خلية دائبة النشاط وتيسر لكل تلميذ أن يتقدم بالنسبة لمستوى قدراته .

وخلال مراحل هذه الطريقة يؤلف التلميذ كتابه الأول الذى يتعلم به القراءة والكتابة والتعبير والقواعد ، ولا نؤلف له كتابا « أو كتبا » فى هذه الفروع التى نصطنعها لتجزئة اللغة إلى علوم مختلفة إن صلحت فى المستويات العليا لدراستها فإنها لا تصلح فى المراحل الأولى لتعليمها .

وبهذه الطريقة يشترك التلميذ اشتراكا ايجابيا مع معلمه فى عملية التعلم ويتذوق نتيجة ما يصل إليه فى تحصيله وتتطور عملية تعليم اللغة من التلقين إلى التفاعل الإيجابى المثمر .

ويتحقق بذلك المفهوم الجديد لأهم دوافع الفرد للتعلم والعمل والإنتاج ، وهو حاجة الفرد إلى الشعور بنجاحه فى تعلمه وعمله وإنتاجه .

وتصبح طريقة تعليم اللغة العربية سهلة بسيطة على التلميذ وعلى المعلم . وهى بالرغم من سهولتها ترتكز فى بنائها العامى على أهم المفاهيم النفسية والتربوية والاجتماعية مثل : مراعاة الفروق الفردية فى تعليم التلاميذ ، والاشتراك الإيجابى للمتعلم مع المعلم فى عملية التعلم وبدء تدريب الفرد على التعلم الذاتى وكيف يستطيع أن يعلم نفسه ، وتثير فى الفرد أهم دوافع التعلم وهو تعزيز العمل الناجح وتدعيمه ، وذلك باستخدام نفس الإحساس بنجاح التحصيل كحافز لاستمرار التعلم حتى يحقق هدفه الذى يصبو إلى تحقيقه .

وذلك هو سر قوتها ، وسر نجاح أى مشروع أو نظرية أو فكرة : البساطة وصحة ودقة المفاهيم العلمية التى يعتمد عليها البناء الفكرى لتلك الطريقة .

(ج) مراحل الطريقة التكاملية

تشتمل الطريقة التكاملية لتعليم اللغة العربية على سبع مراحل : الأولى هى مرحلة الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة ، والثانية هى مرحلة أسماء الذات والجمل الاسمية ، والثالثة هى مرحلة الأفعال والجمل الفعلية ، والرابعة هى مرحلة حروف الجر والجمل الاسمية والفعلية والخامسة هى مرحلة التفكير اللغوى والتدريب على التعبير والسادسة هى مرحلة القواعد النحوية والحركات الإعرابية ، والسابعة والأخيرة هى مرحلة الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

وسنبين فيما يلى المظاهر الرئيسية لكل مرحلة من تلك المراحل .

١ – المرحلة الأولى : الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة .

تمهد الطريقة التكاملية فى مرحلتها الأولى لاكتساب مهارة الكتابة وذلك عن طريق تعليم الطفل كيف يمسك القلم بطريقة صحيحة تيسر له رسم المنحنيات والخطوط – المستقيمة التى سيستخدمها بعد ذلك فى ممارسة عملية الكتابة ، وفى رسم الأشكال التوضيحية التى تبين معانى الكلمات المختلفة التى سيتعلمها بعد ذلك .

٢ – المرحلة الثانية : أسماء الذات والجمل الاسمية :

تبدأ المرحلة الثانية بتعليم الطفل قراءة وكتابة أسماء الذات ثم تتدرج به بسرعة إلى التعبير . وتبدأ تعليمه التعبير بالجمل الاسمية لأنها أسهل من الجمل الفعلية إذ لا تتطلب من الطفل إلا أن يكتب كلمتين ويختار الكلمة الأولى ثم يختار الكلمة الثانية ليستقيم المعنى فى جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر .

وقد دلت الأبحاث المتعددة على أن أسماء الذات أسهل من أسماء المعنى وأسهل أيضا من الأفعال وحروف الجر لأنها تدل على أشياء موجودة بالفعل فى بيئة الطفل يألفها ويراها ويعرفها ويلمسها ويشعر بها .

وبذلك تصل المرحلة الثانية بقدرة الطفل على التعبير إلى الجمل الأسمية وتتابع بعد ذلك مراحل الطريقة التكاملية كما تتابع مراحل نمو الانسان من طفولة إلى بلوغ ومراهقة ورشد إلى آخر تلك المراحل حيث تتميز كل مرحلة بأنها تصل بالفرد إلى مستوى معين من مستويات النضج فى إطار النمو الكلى للانسان ككائن له وحدته العضوية المتكاملة . وهذا هو شأن الطريقة التكاملية فى مراحلها ؛ حيث تصل بقدرة الطفل على التعبير فى مرحلتها الثالثة إلى الجمل الفعلية .

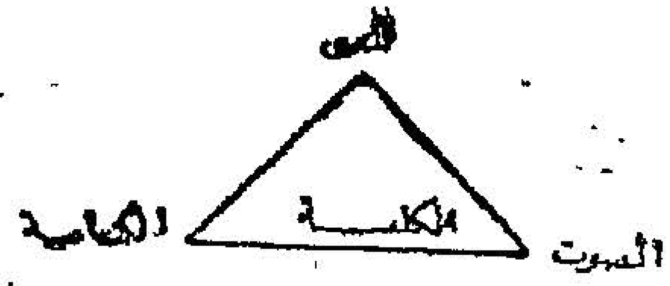
٣ – المرحلة الثالثة : الأفعال والجمل الفعلية :

تتدرج الطريقة التكاملية بالطفل فى مرحلتها الثالثة لتعلمه الأفعال لأنها أصعب من الأسماء وذلك لاعتمادها على الزمن ، والزمن مفهوم معنوى أصعب فى إدراكه من أسماء الذات . وعندما يتعلم الطفل مجموعة من الأفعال : قراءة وكتابة يتدرب بعد ذلك على تكوين الجمل الفعلية ويعتمد فى انشاء جمله وعباراته على الأسماء التى تعلمها فى المرحلة الأولى وبذلك تنمو مهاراته اللغوية بطريقة تكاملية فى مراحل علمية تعتمد على خصائص نمو العمليات العقلية لدى الطفل وعلى خصائص اللغة العربية نفسها باعتبار أنها من أندر اللغات التى تتميز بجمل تؤدى معناها كاملا دون الحاجة إلى فعل يستقيم به المعنى كما هو الحال فى اللغة الانجليزية والفرنسية وبقية اللغات الأجنبية الأخرى ، وهى مع ذلك لا تهمل الجمل الفعلية حيث تحتل موقعها المناسب إلى جوار الجمل الاسمية .

٤ ـ المرحلة الرابعة : حروف الجر والجمل الاسمية والفعلية .

تتطور الطريقة التكاملية بالطفل إلى المرحلة الرابعة حيث يتعلم حروف الجر : كتابة وقراءة ، ويستطيع أيضا أن يوضح معنى حروف الجر التى تعلمها بالرسم كما سنبين ذلك فى الشرح التفصيلى لكل مرحلة من هذه المراحل وعلى الطفل أن يستعمل حروف الجر التى يتعلمها فى تكوين جمل وعبارات جديدة تعتمد على استخدام حروف الجر مع بعض الأسماء التى تعلمها من قبل لينشئ من ذلك عبارة لها معنى ويصبح أيضا قادرا على انشاء عبارات جديدة تتكون من أسماء وأفعال وحروف جر وبذلك يستقيم تعبيره فى أبعاده اللغوية المختلفة .

وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يوضح معنى كل كلمة يكتبها ويقرأها ، اسما كانت أم فعلا أم حرف جر برسم يصاحب هذه الكلمة فى نفس الصفحة التى يكتبها فيها : وبذلك تقترن دائما الأركان السيمانتية للكلمة فى وحدة عضوية متكاملة وبدونها لاتصبح الكلمة كلمة لغوية صحيحة ، وذلك لأن الكلمة فى حقيقتها اللغوية رمز لمعنى يسجل كتابة فى شكل معين ، وينطق بأصوات محددة . والشكل التالى يوضح المثلث السيمانتى لأركان الكلمة .



٥ ـ المرحلة الخامسة : التفكير اللغوى والتدريب على التعبير :

تتطور الطريقة التكاملية بالطفل فى مرحلتها الخامسة إلى تدريبه على التفكير ، وعلى تجويد عملية التعلم التى انتهت به إلى التعبير .

وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يختار بعض كلمات من تلك الكلمات التى تعلمها من قبل فى المراحل الثلاث السابقة ثم يرتبها حتى يصبح لها معنى آخر غير المعنى السابق ، وهكذا يستمر الطفل فى هذه العملية حتى يتدرب على إدراك العلاقات القائمة بين الكلمات : وإدراك العلاقات عملية عقلية قوامها الاستدلال : ولذلك سميت هذه المرحلة مرحلة التفكير اللغوى :

وتمثل هذه المرحلة أيضا هضبة فى منحنى التعلم اللغوى الصاعد ، يراجع فيها الطفل ما تعلمه فى المراحل السابقة ، ويجيد فيها مهارة الإنشاء اللغوى والتعبير .

وعلينا أن نتجاوز عن أخطاء الطفل فى مراحل نموه الأولى لينطلق حرا يعبر عما يريد أن يعبر عنه ثم نصحح له أخطاءه بالتدريج ، وهذا التصحيح يجب أن يقترن بالتشجيع لا بالنقد حتى تتم عملية التعزيز أو التدعيم الضرورية لنجاح عملية التعلم كما تؤكد ذلك كل النظريات الحديثة فى التعليم .

٦ – المرحلة السادسة : القواعد النحوية والحركات الاعرابية .

يبدء عملية التصحيح وضبط التعبير تبدأ المرحلة السادسة من مراحل الطريقة التكاملية : وتهدف هذه المرحلة إلى تعليم الطفل أبسط أنواع القواعد النحوية التى تساعده على ضبط تعبيره . وعلى المعلم أن يطلب من الطفل أن يستمر فى تغيير مواقع الكلمات ليغير بذلك معنى العبارة وعليه أن يعلمه النطق الصحيح فيعلمه بذلك الحركات الصحيحة لأواخر الكلمات التى يكتبها ، فمثلا : يتعلم الطفل أن يكتب الكسرة تحت آخر كل كلمة يأتى موقعها بعد حروف الجر ، وأن يكتب الضمة فوق آخر الكلمة الأولى والثانية فى الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، وأن يكتب الفتحة فوق آخر كل اسم يأتى موقعه بعد الفاعل :

وهذا القدر من القواعد النحوية يعد كافيا للطفل فى هذه المرحلة ، ويتعلم بذلك كيف يضبط تعبيره ، ويتعلم أيضا معنى الكسرة والضمة والفتحة وطريقة رسم هذه الحركات وموقعها فى آخر الكلمة .

٧ – المرحلة السابعة : الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

تعتمد المرحلة السابعة والأخيرة فى الطريقة التكاملية على مدى نمو القدرة الاستقرائية لدى الطفل . وعلى المعلم أن يحلل للطفل الكلمات المختلفة التى يستخدمها فى تعبيراته المتعددة إلى مكوناتها الأساسية ، وبذلك يبدأ الطفل تعلم الحروف الهجائية بأشكالها المختلفة ، فيدرس التشابه والاختلاف القائم بين مواقع كل حرف من الحروف الهجائية فى أول الكلمة وفى وسطها وآخرها ومنفصلا ومتصلا ، ويدرك أيضا القدر المشترك بين جميع هذه المواقع ، ذلك القدر الذى لايتغير بتغير موقع الحرف من الكلمة ، فمثلا حرف الميم يصبح شكله متصلا فى أول الكلمة هكذا (مـ) وفى وسط الكلمة هكذا (ـمـ) وفى آخر الكلمة هكذا (ـم) . ويصبح شكله منفصلا هكذا (م) . وبذلك يصبح القدر المشترك الذى يتميز به حرف الميم بين جميع هذه الأشكال هو هذا الشكل (مـ) وهكذا بالنسبة لبقية الحروف الهجائية الأخرى :

وتعد هذه المرحلة أصعب مراحل التعلم اللغوى لسببين رئيسين : الأول ، أن الحرف المستقل عن الكلمة لامعنى له ، اللهم إلا أنه رمز مكتوب لصوت مسموع ، وإلا فما معنى حرف الميم إذا انتزع الحرف من الكلمة التى تحتويه ؟ والأصل فى اللغة هو المعنى كما سبق أن بينا ذلك فى تحليل الأركان السيمانتية للكلمة .

والسبب الثانى تغير شكل الحرف تبعا لتغير موقعه من الكلمة ، وهذه الظاهرة هى إحدى خصائص الكتابة العربية المتصلة وذلك بخلاف اللغات الأجنبية حيث تطورت

فيها عملية الطباعة من الحروف المتصلة إلى الحروف المنفصلة . وعلينا أن نعلم الطفل حروف اللغة العربية بأشكالها المتغيرة حتى يأتى اليوم الذى تتطور فيه عملية الطباعة فتتخلص من الحروف المتصلة وتصبح حروف كلماتها المكتوبة منفصلة كما تطورت عملية الطباعة فى اللغات الأجنبية الأخرى .

من أجل هذا أرجئت عملية تعليم الحروف الهجائية إلى آخر مراحل الطريقة التكاملية فى تعليم اللغة العربية :

(د) الطرق الخاصة لتعليم كل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية .

سنبين فيما يلى الطرق الخاصة المناسبة لتعليم كل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية :

١ ــ المرحلة الأولى : الاستعداد لاكتساب مهارة الكتابة :

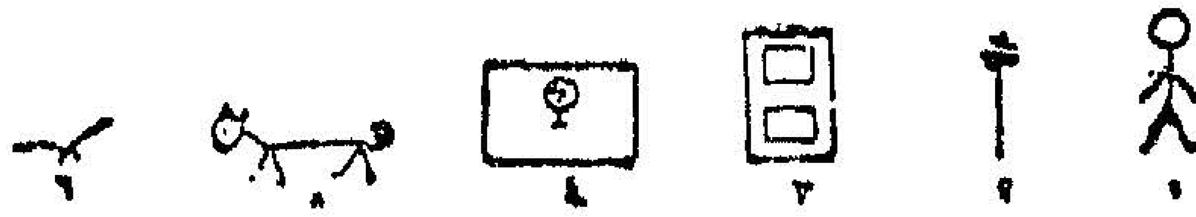
تعتمد مهارة الكتابة على تناسق حركات عضلات الأصابع التى تمسك بالقلم أثناء الكتابة وعلى تآزر هذه الحركات مع عملية الإبصار التى تلاحظ مدى نجاح هذا التناسق وتنقل نتائجه إلى العقل ليستطيع أن يصحح أخطاء التناسق الحركى حتى تستقيم مهارة الكتابة .

وبذلك تصبح الكتابة بهذا المعنى مهارة عقلية بصرية حركية .

واكتساب المهارة يتطلب ممارسة . وتبدأ عملية الممارسة بتدريب الطفل على الطريقة الصحيحة لمسك القلم بين الإبهام والأصبعين المجاورين له . ثم يتطور هذا التدريب إلى استخدام القلم فى رسم خطوط منحنية متعددة مختلفة . والخطوط المنحنية أسهل فى رسمها من الخطوط المستقيمة لأنها لاتتطلب فى أدائها مستوى دقيقا من التآزر العقلى البصرى الحركى ، وذلك بخلاف الخطوط المستقيمة التى تحتاج إلى درجة كبيرة من ضبط حركات الأصابع والتحكم فيها حتى يصبح الخط المرسوم خطا مستقيما . ومن أجل هذا سبقت عملية رسم الخطوط المنحنية عملية رسم الخطوط المستقيمة .

وعندما يجيد الطفل رسم الخطوط المنحنية يتطور به التدريب إلى رسم الخطوط المستقيمة الأفقية والرأسية والمائلة .

وعلى المعلم أن يدرب الطفل بعد ذلك على رسم أشكال مختلفة ، تعتمد على المنحنيات والخطوط المستقيمة ، ولهذه الأشكال أهميتها القصوى فى توضيح معنى كل كلمة من الكلمات الجديدة التى سيتعلمها الطفل فى نهاية كل مرحلة ، وعليه أن يرسم أشكالا مثل الأشكال التالية :



حيث يوضح الشكل الأول رسم رجل ، والثانى شجرة ، والثالث باب ، والرابع صورة ، والخامس كلب ، والسادس طائر

وهكذا بالنسبة للأشياء المختلفة التى يمكن توضيح معناها بالرسم .

وعندما ينتهى التدريب إلى هذا الحد يصبح الطفل مهيئا لتعلم أسماء الذات كتابة وقراءة وتوضيح معناها بالرسم ، ويصبح مهيئا أيضا لتعلم الجمل الأسمية كتابة وقراءة ، وتعبيرا كما سنبين ذلك فى المرحلة التالية .

٢ – المرحلة الثانية : أسماء الذات والجمل الاسمية :

يلاحظ الطفل فى بيته أو فى الطريق أو حتى فى الفصل المدرسى أشياء مختلفة تثير اهتمامه وتجذب انتباهه مثل الصورة المعلقة على الحائط فى بيته أو فى الفصل ، والراديو ، والقطة ، والباب ، والشجرة ، وغير ذلك من الأشياء المختلفة . وهو بلاشك يعرف أسماء هذه الأشياء من خبرته اللغوية السابقة التى تكون محصوله اللفظى الذى يستخدمه فى كلامه وحواره مع والديه وإخوته وأقرانه ويستطيع الطفل أن ينطق مثل هذه الأسماء نطقا صحيحا لأنها مألوفة لديه وظاهرة متكررة فى حياته اليومية .

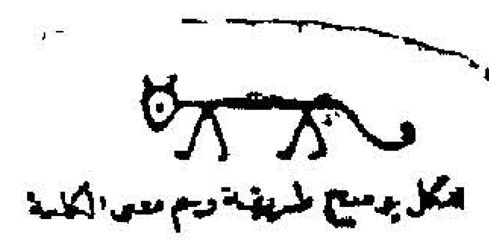
وعلى المعلم أن يحصى هذا المحصول اللفظى لأطفال فصله الدراسى بأن يسأل كل طفل عن الأسماء التى يعرفها ، وعليه أن يوضح معنى هذا السؤال بأمثلة من الأشياء الموجودة فى الفصل فيشير إلى الباب وهو يقول « باب » . وهكذا حتى يفهم كل طفل معنى السؤال ثم يبدأ المعلم بسؤال الطفل الأول ، فيقول له كل الأسماء التى يعرفها وعلى المعلم أن يسجل هذه الأسماء فى كراسة خاصة فيكتب فيها الرقم المسلسل لأسماء الأطفال ثم يكتب اسم كل طفل ويكتب بعد ذلك كل الأسماء التى يعرفها الطفل أمام اسمه . وعندما ينتهى المعلم من هذه العملية يحسب تكرار كل كلمة من الكلمات التى سجلها ، ثم عليه بعد ذلك أن يرتب هذه الكلمات فى قائمة بطريقة تنازلية بحيث يبدأ بأكثرها تكرارا وينتهى إلى أقلها تكرارا وبذلك يكون قد حصل على معجم لأسماء الذات يناسب تلاميذ فصله .

وعلى المعلم أن يبدأ بأكثر هذه الكلمات تكرارا فيكتبها على السبورة ثم يقرأها ، ويطلب من كل طفل أن يقلده فى الكتابة فيكتبها فى الصفحة الأولى من صفحات كراسته . والكتابة فى حقيقتها ليست عملية صعبة معقدة وإنما هى مجرد عملية تقليد ورسم ، والأطفال يحبون هذا النوع من النشاط ويمارسونه بشغف كلما عثروا على ورقة وبعض الأقلام الملونة . وعندما ينتهى الأطفال من كتابة الكلمة وعندما ينتهى المعلم من مراجعتها كما كتبها كل طفل فى كراسته ، فعليه أن يطلب منهم أن يقلدوه فى قراءتها ، ثم يقرأ الكلمة ويقرأونها هم من بعده . والقراءة هنا أسهل من الكتابة لأن الكلمة التى يكتبها الطفل هى أصلا محصوله اللفظى الذى جمعه خلال خبرته السابقة .

واقتران القراءة بالكتابة وتكرار هذا الاقتران يؤدى إلى تعلم الكلمة تعلما لغويا صحيحا .

وعلى المعلم أن يعيد كتابة الكلمة مرة أخرى وقراءتها ثم يطلب من الأطفال كتابتها مرة ثانية فى كراساتهم وقراءتها ، وتستمر هذه العملية حتى يصل عدد مرات كتابة وقراءة الكلمة إلى العدد المناسب لحفظها كتابة وقراءة . وتدل نتائج أهم الأبحاث العلمية فى هذا الميدان على أن العدد المناسب لتكرار كتابة الكلمة وقراءتها حتى يتعلمها الطفل هو فى الأغلب والأعم خمس مرات . وبالرغم من هذا التحديد فعلى المعلم أن يكتشف العدد المناسب لتكرار كتابة وقراءة الكلمة حتى يتعلم كل طفل الكلمة تعلما جيدا صحيحا .

وعندما ينتهى المعلم من تعليم تلاميذه طريقة كتابة وقراءة الكلمة فعليه أن يرسم على السبورة أسفل الكلمات التى كتبها شكلا يوضح معنى الكلمة ، ويجب أن يكون هذا أبسط ما يمكن وخير الأشكال التوضيحية ماكان مجرد خطوط . فمثلا يمكن رسم القطة بالطريقة التالية ، ثم يطلب من كل طفل أن يرسم مثل هذا الشكل فى كراسته أسفل


شكل يوضح طريقة رسم معنى الكلمة

الكلمات التى كتبها . وعلى المعلم أن يراجع رسم كل طفل كما راجع كتابة كل كلمة .

وبهذه الطريقة نقتصد ثلثى الوقت والجهد الذى يبذل فى تعليم الكلمات ، لأن الكلمة فى أساسها تعتمد على أركان ثلاثة : المعنى ، والصوت ، والرسم : وبما أن الطفل يعلم معنى الكلمة التى يقولها ، ويعرف كيف ينطقها ، إذن فلا يبقى أمامه ليتعلمها الا أن يكتبها . واقتران المعنى وهو أصلا معروف للطفل ، بالنطق وهو أيضا معروف للطفل ، بالكتابة وهى المهارة الجديدة التى يتعلمها عن طريق التقليد يؤدى بالطفل إلى تعلم الكلمة معنى وقراءة وكتابة فى ثلث الوقت الذى يتعلم فيه الكلمات التى لايعرف معناها ولا نطقها ولا كتابتها .

وعندما يرى المعلم أنه قد تجمع لدى الأطفال محصولا لفظيا كافيا من هذه الكلمات فعليه أن يعلمهم التعبير ، ويبدأ باختيار كلمة من الكلمات التى تعلموها من قبل ثم يختار كلمة أخرى من تلك الكلمات بحيث لو كتبت بعد الكلمة الأولى لأنشأت بذلك تعبيرا له معنى فى جملة اسمية صحيحة مثل « باب البيت » ومثل « صورة قطة » وهكذا .

ويطلب المعلم من الأطفال أن يكتبوا هذه التعبيرات فى صفحة جديدة ، ثم يطلب منهم بعد ذلك أن يقلدوه فى انشاء تعبيرات جديدة ثنائية الكلمات ولها معنى : وعلى كل طفل بعد ذلك أن يختار كلمة من الكلمات التى تعلمها من قبل ثم يختار كلمة أخرى بحيث لو كتبت الكلمة الثانية بعد الكلمة الأولى لأنشأت بذلك تعبيرا له معنى ، وعلى

المعلم أن يراجع التعبير الذى يكتبه كل طفل ليصحح أخطاءه . وتستمر هذه العملية حتى يكتسب الطفل مهارة انشاء العبارات الثنائية فى جمل اسمية لها معنى .

وبذلك تصل المرحلة الأولى بالطفل إلى تعلم الأسماء والجمل الاسمية قراءة وكتابة وتعبيرا . ويصبح تعلم اللغة العربية عملية متكاملة تكاملا عضويا صحيحا وتنمو المهارة والمعرفة اللغوية فى عقل الطفل كوحدة لا تنفصل فى نهايتها الكتابة عن القراءة ولا عن التعبير .

٣ — المرحلة الثالثة : الأفعال والجمل الفعلية .

اشترطنا فى اختيار الأسماء التى تصلح لبدء تعليم القراءة والكتابة والتعبير أن تكون من المحصول اللفظى للأطفال وأن تكون أسماء ذات لا أسماء معنى ، وأن تكون من النوع الذى يسهل رسم معناه فى شكل بسيط يفهمه الطفل .

وعلينا الآن أن نحدد أسس اختيار الأفعال التى تيسر للطفل عملية التعلم اللغوى .

ويشترط فى الأفعال التى نختارها أن تكون من المحصول اللفظى للطفل ، وعلى المعلم أن يوضح للطفل معنى الفعل عن طريق الحركة فيقف ثم يقول « وقف المعلم » ويجلس ثم يقول « جلس المعلم » وهكذا حتى يفهم الطفل معنى الفعل ، وعلى المعلم بعد ذلك أن يسجل الأفعال التى يعرفها أطفال الفصل الدراسى بنفس الطريقة التى سجل بها الأسماء ليكتشف بذلك محصول الأطفال من الأفعال .

وعلى المعلم أن يبدأ بأكثر هذه الأفعال تكرارا فى القائمة التى يعدها بعد تحليله للأفعال التى يعرفها الأطفال .

لكن الفعل له أكثر من صورة فهو قد يكون فعلا ماضيا أو مضارعا أو مستقبلا . وأبسط هذه الأفعال كتابة هو الفعل الماضى لأن حرفه الهجائى الأول لا يختلف تبعا لاختلاف الضمائر . والحرف الأول فى الفعل المضارع هو أحد حروف كلمة « أنيت » التى تضاف فى أول الفعل الماضى فتجعله مضارعا . وبذلك تصبح صيغة الفعل المضارع هى فى حقيقتها صيغة الفعل الماضى الذى يسبقه أحد حروف المضارعة . وكذلك الحال بالنسبة لصيغة المستقبل فهى فى حقيقتها صيغة الفعل الماضى الذى يسبقه حروف المستقبل وهى السين وسوف .

وبذلك تصبح أبسط صور الفعل هى صورة الفعل الماضى . وهكذا يؤدى بنا هذا التحليل إلى اختيار الفعل الماضى لأنه أبسط من المضارع والمستقبل .

والمشكلة الثالثة التى تواجهنا فى تعليم الأفعال أنها إما أفعال ظاهرة مثل وقف ، ومشى ، وجلس وإما أفعال باطنة مثل فكر ، وتأمل ، وجاع ، وعطش . والأفعال الظاهرة أكثر وضوحا من الأفعال الباطنة لأنها تدل على أمور مرئية . شأنها فى ذلك شأن أسماء الذات . وبذلك فعلينا أن نختار الأفعال الظاهرة لأنها أكثر وضوحا من الأفعال الباطنة .

وللأفعال الظاهرة ميزة أخرى وهى سهولة توضيحها بالرسم كما تدل على ذلك الأشكال التالية :



شكل يبين طريقة توضيح معنى الأفعال

وهكذا بالنسبة للأفعال الظاهرة الأخرى .

ويؤدى بنا التحليل السابق إلى توضيح المعالم الرئيسية للطريقة التى يتبعها المعلم فى تعليم الأفعال ، فعليه أولا أن يسجل محصول الأطفال من الأفعال ، وأن يقتصر فى تسجيله لتلك الأفعال على صيغة الماضى ، وأن يختار من الأفعال الماضية الأفعال الظاهرة التى تقبل التوضيح بالرسم ثم يمضى فى تعليم الأطفال تلك الأفعال بنفس الطريقة التى علمهم بها أسماء الذات وعندما يتعلم الطفل تلك الأفعال قراءة وكتابة ، ويدرك معناها ويوضحه بالرسم فعلى المعلم أن يتطور بالطفل إلى تعلم الجمل الفعلية الثنائية التى تعتمد على الفعل اللازم مثل « نام الرجل » « مشى الولد » . « وقف المعلم » وهكذا حتى يجيد الأطفال هذا النوع من التعبير الذى هو فى جوهره مجرد فعل يتلوه اسم .

وعلى المعلم بعد ذلك أن يدرب الأطفال على الجمل الفعلية الثلاثية التى تعتمد على الفعل المتعدى لمفعول واحد مثل : ضرب الولد الكلب . أكل الرجل البلح . رفع الطفل يده .

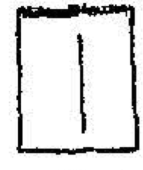
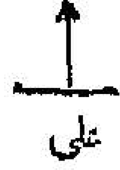
وهكذا يتعلم الطفل فى هذه المرحلة الأفعال ، والجمل الفعلية الثنائية والثلاثية ، ويراجع ما تعلمه من الأسماء لأنه يستخدم الاسم بعد الفعل لينشئ من ذلك تعبيراته وجمله المختلفة .

٤ — المرحلة الرابعة : حروف الجر والجمل الاسمية والفعلية .

حروف الجر كلمات سهلة فى كتابتها وقراءتها لأن عدد حروفها لايكاد يتجاوز ثلاثة حروف هجائية لكنها صعبة فى إدراكها لأنها تدل على العلاقات المعنوية التى ترتبط بها الأسماء .

من أجل هذا أرجئت حروف الجر إلى المرحلة الرابعة .

وعلى المعلم أن يوضح للأطفال الوظيفة التى تؤديها حروف الجر وذلك عندما تقيم علاقة بين اسم واسم آخر مثل « القلم على الكتاب » وهنا يتضح معنى حرف الجر (على) بمعنى (فوق) ويمكن للمعلم أن يضع قلما فوق كتاب ما ليشرح معنى حرف الجر (على) ثم يطلب من الأطفال أن يذكروا أمثلة أخرى لاستخدام حرف الجر (على) ويكتبها على السبورة ويطلب إلى كل طفل أن يكتب كل جملة من تلك الجمل فى كراسته وأن يقرأها وراءه وأن يعيد كتابتها على الأقل خمس مرات حتى تستقيم طريقة كتابتها وقراءتها ، ويتضح معناها . وعلى المعلم أن يرسم لكل جملة من تلك الجمل رسما يوضح معنى حرف الجر المستخدم . والشكل التالى يوضح معنى حرف الجر (على) :

وهكذا بالنسبة لحروف الجر الأخرى :
والأشكال التالية تدل على الرسم التوضيحى لأهم حروف الجر المعروفة .



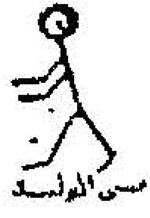
شكل يبين معنى أهم حروف الجر المعروفة :

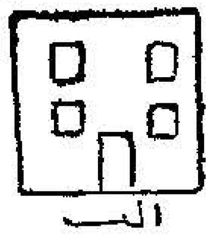
ولا تتطلب عملية تعليم حروف الجر تسجيلا لحصول الأطفال من حروف الجر ، لأن هذه الحروف محدودة قليلة فى عددها . ومشكلتها ليست فى معرفتها بل فى طريقة استخدامها فى التعبيرات اللغوية المختلفة .

وتعد أهم عملية فى تعلم حروف الجر هى عملية التعبير . لذلك يجب أن يتدرب الطفل على استخدام حروف الجر فى جمل اسمية ثلاثية مثل « الكلب فى البيت » وجمل فعلية رباعية مثل « مشى الولد إلى البيت » .

ويمكن توضيح هذه الجمل الثلاثية والرباعية بالرسوم المختلفة كما سبق أن وضحنا معنى « القلم على الكتاب » بالرسم .

فمثلا يمكن توضيح العبارة الرباعية السابقة « مشى الولد إلى البيت » بالرسم التالى :





شكل يبين معنى العبارة « مشى الولد الى البيت »

وهكذا بالنسبة للتعبيرات الأخرى التى يتعلمها الطفل من المعلم ، والتى يؤلفها هو بعد ذلك .

ويجب أن يصبح الطفل قادرا فى نهاية هذه المرحلة على صياغة الجمل الاسمية الثلاثية ، والفعلية الرباعية ، ليتدرب بذلك على الاستخدامات المختلفة لحروف الجر :

وتعد هذه المرحلة من بعض نواحيها ، مراجعة للمراحل السابقة وخاصة مرحلتى الجمل الاسمية والفعلية ، وبذلك تنمو المناهج اللغوية بطريقة تكاملية تراكمية .

٥ ــ المرحلة الخامسة : التفكير اللغوى والتدريب على التعبير .

عملية ترتيب الكلمات لإنشاء عبارة ما ، وعملية إعادة ترتيب نفس كلمات العبارة السابقة للحصول على معنى آخر ، عمليات فكرية تعتمد على إدراك العلاقات التى تنشأ من ترتيب الكلمات بشكل معين ليصبح لهذا الترتيب معنى لأن علاقاته الفكرية صحيحة ، أو يفقد معناه لأن علاقاته غير صحيحة :

وعلى المعلم أن يبدأ هذه المرحلة بأن يكتب على السبورة عبارة لا معنى لها ، ويستقيم معناها عندما يعاد ترتيب كلماتها . ومن أمثلة ذلك العبارة التالية :

« مشى البيت الولد إلى »

ويصبح لهذه العبارة معنى عندما يعاد ترتيب كلماتها فى الصورة التالية :

« مشى الولد إلى البيت »

وعندما يتأكد المعلم من أن الأطفال قد فهموا هذه الفكرة الجديدة فعليه بعد ذلك أن يدربهم على هذا النوع من التفكير اللغوى فيكتب على السبورة عبارة لا معنى لها ثم يطلب منهم أن يكتبوها فى كراساتهم ، ويطلب منهم بعد ذلك أن يعيدوا كتابتها بعد تغيير مواقع كلماتها حتى يستقيم معناها :

ويتطور هذا التدريب بعد ذلك إلى كتابة عبارة لها معنى ، على أن تكون من النوع الذى يتغير معناه عندما نغير مواقع كلماتها ، ومن أمثلة ذلك العبارة التالية :

« مشى الكلب خلف الولد »

ويتغير معنى هذه العبارة عندما نعيد كتابتها بعد تغيير مواقع كلماتها فى الصورة التالية :

« مشى الولد خلف الكلب »

وقد تبدو أهمية هذا التدريب عندما نعلم أن بعض اختبارات الذكاء اللفظية تعتمد على هذا النوع من الأسئلة فى قياس ذكاء الأفراد :

ويمكن زيادة صعوبة هذه التدريبات بزيادة عدد كلمات التعبير ، وبذلك يتطور التدريب من الجمل الثلاثية الكلمات إلى الرباعية فالخماسية فالسداسية إلى غير ذلك من العبارات الطويلة المختلفة حتى يجيد الطفل هذه المهارة .

٦ — المرحلة السادسة : القواعد النحوية والحركات الإعرابية .

يتدرب الطفل فى هذه المرحلة على استخدام الحركات الإعرابية : الكسرة ، والضمة ، والفتحة ، فى أبسط صورها المعروفة ، ولذلك لا يتعلم إلا حالة واحدة من حالات هذه الحركات الإعرابية . فيتعلم ما تحدثه حروف الجر فى الأسماء التالية لها ، وأن الكسرة هى العلاقة التى نحدد بها طريقة النطق ، ويتعلم أن الضمة هى العلامة التى تميز الفاعل أو الاسم الذى يقوم بالفعل ، وأن الفتحة تميز المفعول به أو الاسم الذى يقع عليه فعل الفاعل . وتلك هى أسهل المداخل لفهم وتعلم القواعد النحوية .

وعلى المعلم أن يبدأ بتدريب الأطفال على إدراك الأثر الذى تحدثه حروف الجر فى الأسماء التالية لها ويتطور هذا التدريب فى خطوتين : الأولى تتلخص فى استخدام حرف جر واحد مثل (إلى) فى جمل مختلفة

متعددة على أن تكون هذه الجمل تعبيرات ناقصة ليشترك الطفل بطريقة إيجابية فى تكملتها والأمثلة التالية توضح هذه الفكرة : —

. . . . . . إلى البيت .

. . . . . . إلى المدرسة .

. . . . . . إلى الفصل .

. . . . . . إلى الكتاب .

وعلى الطفل أن يكتب الكلمات الناقصة فى أول كل جملة من الجمل السابقة حتى يصبح لها معنى مثل : —

مشى الرجل إلى البيت .

ذهب التلميذ إلى المدرسة .

جرى الولد إلى الفصل .

نظر المعلم إلى الكتاب .

وعندما يجيد الأطفال هذه العبارة ، فعلى المعلم بعد ذلك أن يدربهم على حروف الجر الأخرى وأن يستخدم نفس الطريقة السابقة فى تكملة الجمل الناقصة .

والأمثلة التالية توضح هذه الفكرة : —

. . . . . . إلى البيت .

. . . . . . من المدرسة .

. . . . . . فى الفصل .

. . . . . . على الكتاب .

وبهذه الطريقة يفهم الطفل معنى الكسرة التى تدل على أثر حرف الجر فى الاسم التالى له ، ويتدرب أيضاً على التفكير اللغوى عندما يكتب الكلمات التى يكتمل بها معنى الجمل الناقصة .

وينتقل المعلم بعد ذلك إلى توضيح معنى الفاعل والمفعول به معا والجملة التالية توضح الفرق بين الفاعل والمفعول به : —

أكل الولد البرتقالة

وعلى الأطفال أن يفكروا فى تعبيرات أخرى مثل التعبير السابق حتى يكون الفرق واضحا بين الفاعل المرفوع بالضمة والمفعول به المنصوب بالفتحة . وعلى المعلم أن يكتب هذه التعبيرات التى يصوغها الأطفال على السبورة ويطلب إلى كل طفل أن يكتب كل تعبير فى كراسته وأن يكتب الضمة فوق آخر الكلمة التى تدل على الفاعل ، وأن يكتب الفتحة فوق آخر الكلمة التى تدل على المفعول به .

وعندما يجيد الأطفال فهم الفرق بين الفاعل والمفعول به ، والفرق بين الضمة والفتحة ، فعلى المعلم أن يدربهم بعد ذلك على تغيير مواقع الكلمات بحيث تتغير وظيفة الكلمة من فاعل إلى مفعول به تبعاً لتغير موقعها وحركتها الإعرابية والمثالين التاليين يوضحان هذه الفكرة : —

سبق الكلب القط .

سبق القط الكلب .

فالفاعل فى المثال الأول هو الكلب وهو مرفوع بالضمة التى تبين أنه الفاعل ،

والمفعول به هو القط وهو منصوب بالفتحة التى تبين أنه المفعول به . وعندما غيرنا موقع الفاعل والمفعول به وتغيرت الحركات الإعرابية تبعاً لذلك ، أصبح القط فى المثال الثانى هوالفاعل وأصبح مرفوعا بالضمة التى تبين أنه الفاعل ، وأصبح الكلب هوالمفعول به وهو منصوب بالفتحة التى تبين أنه المفعول به .

٧ — المرحلة السابعة : الحروف الهجائية وأشكالها المختلفة .

تبدأ الخطوة الأولى فى تعليم الحروف الهجائية بأن يختار المعلم ٢٨ كلمة من الكلمات التى تعلمها الأطفال فى المراحل السابقة بحيث تحتوى كل كلمة من هذه الكلمات على حرف من الحروف الهجائية الـ ٢٨ الذى يكتب منفصلا غير متصل بالحروف الأخرى مثل : واحد لحرف الألف ، وباب لحرف الباء ، ونبات لحرف التاء . وهكذا بالنسبة للحروف الهجائية الأخرى . ثم يكتب هذه الكلمات تحت بعضها فى صفحة مستقلة فى جدول يحتوى العمود الأول منه على هذه الكلمات التى تبدأ بحرف الألف وتنتهى بحرف الياء ثم يحتوى العمود الثانى على الحرف الهجائى المقابل لكل كلمة وفقاً للنظام التالى :

الكلمة	الحرف المنفصل	اسم الحرف
واحد	ا	ألف
باب	ب	باء
نبات	ت	تاء
—	—	—

ثم يطالب المعلم من كل طفل أن ينقل هذا الجدول فى كراسته ثم يدربهم على اسم الحرف وطريقة نطقه باعتبار أن لكل حرف اسما يرمز إليه ويدل عليه كما يدل على ذلك العمود الثالث فى الجدول السابق .

وتلى الخطوة الأولى الخطوة الثانية وفيها يتعلم الطفل تغير شكل الحرف المتصل تبعاً لتغيير موقعه من الكلمة فى الأول وفى الوسط وفى آخر الكلمة وعلى المعلم أن يختار من المحصول اللفظى الذى تعلمه الطفل فى المراحل السابقة الكلمات التى تحتوى على حرف ما من الحروف الهجائية متصلا بغيره من الحروف فى أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وأن ينشئ لذلك جدولا خاصا مثل الجدول التالى بحيث يحتوى هذا الجدول على جميع حروف الهجاء من الألف إلى الياء ، ويجب أن يشترك الأطفال اشتراكاً إيجابياً مع المعلم فى ملء خانات هذا الجدول .

الحرف المنفصل	فى أول الكلمة	شكل الحرف	فى وسط الكلمة	شكل الحرف	فى آخر الكلمة	شكل الحرف
ب	باب	بـ	نبات	ـبـ	طب	ـب
—	—	—	—	—	—	—

وتلى الخطوة الثانية الخطوة الثالثة وفيها تصل عملية تعلم الحروف الهجائية إلى مستوى التعميم فيستنتج الطفل مع معلمه الجزء المشترك الذى يبقى بالرغم من تغير مواقع الحرف المتصل فى أول الكلمة ووسطها وآخرها ، فمثلا الجزء المشترك بين الأشكال المختلفة لحرف الباء هو (ٮ) والجزء المشترك لحرف التاء هو (ٮٮ) وهكذا بالنسبة للحروف الأخرى .

وتلى الخطوة الثالثة الخطوة الرابعة والأخيرة وفيها يتعلم الطفل ترتيب الحروف الهجائية لأهمية هذا الترتيب مستقبلا فى الكشف عن الكلمات الصعبة فى المعاجم اللغوية .

وبانتهاء الخطوة الرابعة تنتهى المرحلة السابعة ، مرحلة تعلم الحروف الهجائية ، وأشكالها وترتيبها .

(هـ) الدراسة التجريبية للطريقة التكاملية :

كل طريقة جديدة تتطلب دراسة تجريبية دقيقة قبل تعميمها . ويعتمد نجاح هذا التعميم على دقة النتائج التى تكشف عنها الدراسة التجريبية .

ويجب أن يشتمل التصميم التجريبى لدراسة الطريقة التكاملية على الأبحاث التالية :

١ ــ تحديد المدى الزمنى المناسب لكل مرحلة من مراحل الطريقة التكاملية بالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار ، والدارسين الكبار فى فصول مكافحة الأمية وتعليم الكبار .

٢ ــ تحديد العمر الزمنى المناسب لكل مرحلة بالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار .

٣ ــ الكشف عن النسبة المئوية لمستوى صعوبة كل مرحلة وبالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار والدارسين الكبار فى فصول مكافحة الأمية وتعليم الكبار ، تمهيداً لتثبيت ترتيب المراحل كما حددها المشروع الراهن ولإعادة ترتيبها فى ضوء ماتسفر عنه نتائج مستويات الصعوبة .

٤ ــ دراسة مقارنة للطريقة التكاملية والطرق المتبعة حاليا فى تعليم اللغة العربية على أن تعتمد هذه الدراسة على المجموعات الضابطة والمجموعات التجريبية بالنسبة للذكور والإناث من التلاميذ الصغار والدارسين الكبار فى فصول مكافحة الأمية وتعليم الكبار .

فؤاد البهى السيد

رأى جديد .. من قديم

المؤنث كالمذكر في ألقاب المناصب والأعمال

للأستاذ محمد شوقى أمين

١ – فى عصرنا الحديث ، تاح للمرأة أن تلى من المناصب وتمارس من الأعمال مالم يكن للنساء حظ منه إلا فى الندرة ، إذ كان فى الأغلب الأعم موقوفا على الرجال ، وأصبح من أثر ذلك أن ظهرت الحاجة اليوم إلى وصف المرأة : بلقب المنصب الذى تليه ، أواسم العمل الذى تمارسه ، وذلك كالأستاذ والعضو ، وكالوزير والرئيس والطبيب ، وكالمدير والمحامى والنائب .

ولما كان نهج العربية مطابقة الصفة لموصوفها ، جرى القول بضرورة إلحاق علامة التأنيث بالكلمات الوصفية ، إذا أطلقت على النساء :

وقد تساءل بعض ذوات المناصب والأعمال كما تساءل غيرهن من الرجال : لماذا يتغير اسم المنصب أو العمل إذا أسند إلى المرأة ؟ ولماذا لاتتحقق المساواة بين المرأة والرجل فى الوصف والتلقيب ، كما تحققت المساواة أو كادت فى ولاية المناصب ومراس الأعمال؟ ألا يجوز فى العربية أن يقال : هذه رئيس مجلس الإدارة ، ومدير العمل فلانة ، ونحو ذلك على اختلاف الأسماء والألقاب ؟

والذين يثيرون هذا التساؤل من النساء والرجال ، يقولون إن اللغات الأجنبية فيها من الكلمات مالا تتغير فيه صيغة المذكر حين إجرائها على المؤنث ، إذا كانت الصفة مما يكثر فى الرجال : ويقررون أن الإنجليزية مثلا لاتكاد تفرق بين مذكر ومؤنث فى الكلمات التى تصف المناصب والأعمال ، وأن الفرنسية فيها الكثير من الكلمات على هذا الغرار ، كالبروفيسور ، والدكتور ، والمؤلف ، والعاشق :

٢ – فإذا رجعنا إلى اللغة نستخبرها فى ذلك ، بان لنا أن الأمر فيه بيان :

أولا :

الغالب فى الأسماء الجامدة ألا تلحقها علامة التأنيث ، إن وصف بها المؤنث ، ويذكر

اللغويون من الأمثلة اسم « الإمام » ، فهو يطلق على الذكر والأنثى ، على أنه ربما أنث بالهاء ، فقيل : امرأة إمامة ، ويرى بعضهم أن الصواب حذفها ، لأن الإمام اسم لا صفة .

وإذا أعملنا فى اسم « الأستاذ » القاعدة الغالبة فى الأسماء الجامدة ، قلنا : إن الشأن فيه ألا تلحقه علامة التأنيث ، لأنه اسم جامد ولم يسمع التأنيث فى تعريبه .

على أنه يسعنا القول بإجازة تأنيث الأسماء الجامدة ، تأسيسا على أنها وضعت موضع الصفات ، وقد صرح « ابن جنى » بأن تأنيث الأسماء متى أجريت مجرى الصفات جائز ، ومن قوله : « إن العرب إذا نقلت شيئا من موضعه إلى موضع آخر مكنته فى الثانى » .

وضرب لذلك أمثلة ، ثم قال : « إن هذه الأشياء كلها أسماء فى أصولها ، ولما نقلتها العرب إلى أن وصفت بها ، مكنتها ، حتى أنثتها تأنيث الصفة ، وأجرتها على ماقبلها جريان الصفات على موصوفها » .

كذلك يقال فى اسم « العضو » إنه اسم جامد استعمل استعمال الصفة ، فالغالب فى قاعدة مثله ألا تلحقه تاء التأنيث ، إذ لم يرد السماع به . ولكن هذا يسهل دفعه بما يراه « ابن جنى » من طرد إجازة التأنيث فى المصادر المستعملة أوصافا وفى الأسماء الجامدة فى أصولها ، إذا وصف بها . ومما يؤيد ذلك النظر أن اسم العضو له رديف هو « الشلو » وقد سمع فيه « شلوة » ، وليس من التكلف أن يعامل المرادف معاملة رديفه ، حملا للنظير على النظير .

هذا فيما يخص الكلمة إذا كانت اسما جامدا ، ويخلص لنا منه أن كلمة «الأستاذ» وكلمة «العضو» لاتلحقهما علامة التأنيث حين يوصف بهما مؤنث ، وذلك هو الأقيس والأفصح ، ولا مانع من دخولها عليهما بتخريج مقبول ، هو استعمالهما استعمال الصفة ، فتعاملان بهذا الاعتبار .

وبهذا يتسنى لمن بلغت درجة الأستاذية ، أو نالت شرف العضوية من النساء، أن يقال فيها إنها أستاذ أو عضو ، دون دخول علامة التأنيث .

ثانيا :

الكلمات الأخرى ، كالرئيس والوزير والمدير والطبيب والمحامى والنائب ، إنما هى أوصاف لمناصب وأعمال ، متعارفة فى الرجال . فهل تعرف العربية نوع هذه الكلمات التى توصف بها مناصب وأعمال تندر أو تقل فى النساء ، وتجيز ألا تلحقها علامة التأنيث إذا أطلقت على المؤنث ؟

والجواب أن فى العربية أمثلة من هذا الباب ، كالإمام والأمير والعامل والوصى والوكيل والشاهد والمؤذن والطبيب والحسيب ، وكلها صفات ، ما عدا « الإمام » .

فأما كلمة « الإمام » فقد رأينا أن الأصل فيها إطلاقها على المذكر والمؤنث ، وربما جاز تأنيثها ، على الرغم من اسميتها ، بشفاعة الوصف بها .

وأما كلمات الأمير والعامل والوصى والوكيل والشاهد والمؤذن والطبيب والحسيب وهى من الصفات ، فقد كفانا القول فى فى الستة الأولى منها « ابن السكيت » فى كتاب « المقصور والممدود » ، إذ يقول فيما نقله صاحب « المصباح » عنه فى مادة «أمر» :

« تقول العرب : عاملنا امرأة ، وأميرنا امرأة ، وفلانة وصى فلان ، وفلانة وكيل فلان ، وإنما ذكر لأنه إنما يكون فى الرجال أكثر مما يكون فى النساء ، فلما احتاجوا إليه فى النساء أجروه على الأكثر فى موضعه ، وأنت قائل : مؤذن بنى فلان امرأة ، وفلانة شاهد بكذا ، لأن هذا يكثر فى الرجال ، ويقل فى النساء ، وقال تعالى : « إنها لإحدى الكبر ، نذيرا للبشر ، فذكر « نذيرا » وهو « لإحدى» . وليس يخطأ أن تقول : وصية ووكيلة بالتأنيث ، لأنها صفة للمرأة إذا كان لها فيه حظ ، وعلى هذا فلا يمتنع أن أن يقال : امرأة إمامة ، لأن فى الإمام معنى الصفة » .

وقد نقل « الخفاجى » فى « شفاء الغليل » طرفا مبتسرا من نص « ابن السكيت » فى كلمة « وصى » ، وعلق عليه بقوله : « ليس فى كلامه ما يدل على أنه سماع أو قياس » .

ولما تناول الشيخ « محمد على النجار » بحث كلمة « أستاذ » فى كتابه « لغويات » ذكر فى بحثه مايدل على أنه اطلع على ذلك القدر المبتسر الذى أشار إليه « الخفاجى » ولم يقره على تعليقه ، فرد عليه بقوله : « إذا عرفنا أن « ابن السكيت » من الذين يتوسعون فى القياس على شاهد واحد ، ترجح عند الناظر أنه يقول بالقياس ،وقد ورد أكثر من شاهد. لاسيما وله مُدْرَك معقول » .

بقيت الكلمتان : الحسيب ، والطبيب ، فقد أورد لهما « النجار » فى بحثه المشار إليه شاهدين ، فشاهد الحسيب قوله تعالى : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

فإن « حسيبا » يجرى على النفس ، وذكر لأن الحساب مما يتولاه الرجال .

وشاهد الطبيب قول الشاعر :

أمخترمى ريب المنون ولم أزر
طبيب بنى أود على النأى زينبا

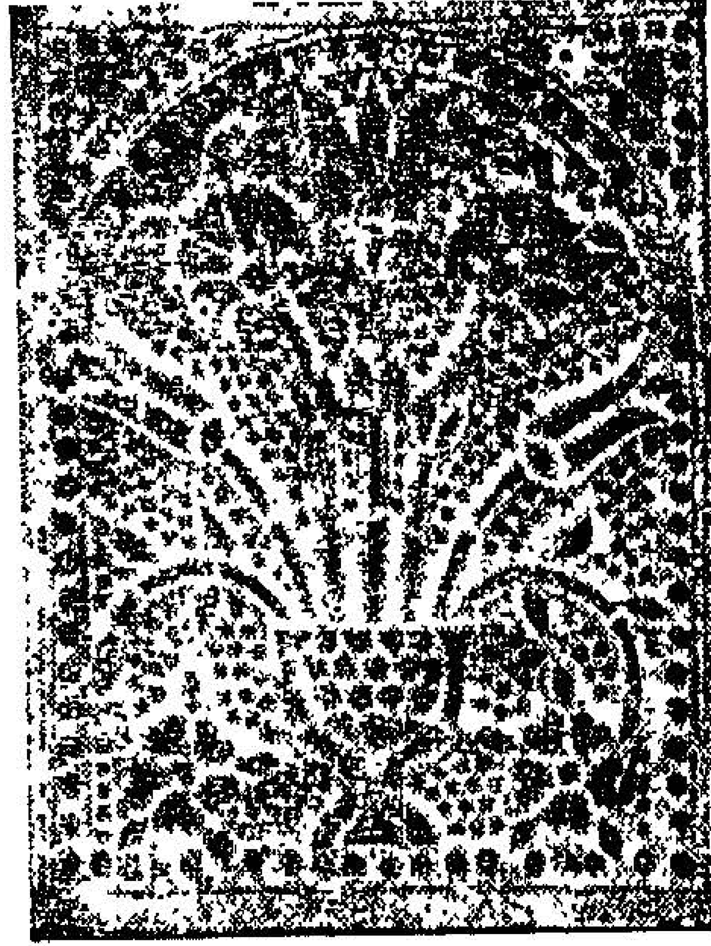
٣ – ويخلص لنا من ذلك كله أنه لاتثريب على من يشاء إبقاء أوصاف المناصب والأعمال التى تغلب على الرجال وتقل فى

النساء على حالها من التذكير ، دون إلحاق علامة التأنيث بها حين يطلق الوصف على المرأة ، ولنا فى ذلك أنس بمأثور اللغة ، وتخريج من خرجه من جهابذتها الذين أحاطوا بها خُبرا .

وعلى هذا يسوغ لـ « مجمع اللغة العربية » أن يعرب فى شأن الكلمات التى توصف بها المناصب والأعمال المتعارفة فى الرجال الغالبة عليهم — عن إجازة إطلاق هذه الكلمات على النساء إذا تولين موصوفاتها ، دون إلزام بإلحاق علامة التأنيث بها ، سواء أكانت تلك الكلمات أسماء فى أصولها أم كانت صفات .

وإنه رأى جديد، من قديم ، كما ترى!

محمد شوقى أمين



المصطلح الجيولوجى

للدكتور محمد يوسف حسن



جيولوجيا ؛ كلمة من مقطعين إغريقيين : الأول ' -Ge ' أى الأرض ؛ والثانى ' Logos ' أى الكلام أو المنطق . وقد نشأت الكلمة أصلا عند الإغريق فأطلقوها على كل مبحث يختص بالأرض ، ثم اشتهر استعمالها عند الرومان ، غير أن معناها تخصص عندهم فاقتصر على حرفة تحديد مساحات الأراضى والحيازات ووسائل إثبات ملكيتها . وكان المتخصصون فى هذا المجال عندهم يدرسون القانون أساسا ، وشيئاً من علم المساحة يمكنهم من ممارسة أعمالهم بدقة وكفاءة . وقد أدى هذا الاتجاه إلى تحريف المدلول الأصلى للكلمة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت كلمة « جيولوجيا » عندهم مرادفة لمهنة « المحاماة » ، وكان الجيولوجى عندهم هو المحامى المتخصص بالذات فى النزاعات على ملكية الأراضى . وظل هذا المفهوم لكلمتى : جيولوجيا وجيولوجى شائعاً فى أوروبا خلال العصور الوسطى وجانب من عصر النهضة .

أما المفهوم الحديث لكلمة جيولوجيا بمعنى العلم الطبيعى المختص بدراسة الأرض : جرما سماوياً من حيث أصلها ونشأتها وتطورها ، وبيئة بشرية من حيث تركيبها الطبيعى والكيميائى ، وبنيانها ، والحوادث التى مرت بها وتاريخ الحياة عليها ، وتوزيع ثرواتها وكنوزها من المعادن والوقود الطبيعى ؛ فقد نشأ فى خلال القرن الثامن عشر فقط فى أوروبا . واطرد تناول هذا المفهوم حتى اليوم ليرسم حدودا واضحة لعلم مستقل بذاته ، قائم بأركانه .

وقد دخل لفظ «جيولوجيا» اللغة العربية مع دخول النهضة العلمية وإنشاء الجامعات فى مصر وغيرها من البلاد العربية . وحاول المشتغلون من العرب بهذا العلم والمترجمون لكتبه الأوروبية فى صدر هذا القرن وأواخر القرن الماضى وضع كلمة عربية أصيلة مرادفة لكلمة « جيولوجيا » بمدلولها العصرى الذى سبقت الإشارة إليه ؛ فمنهم من قال : « علم الأرض » ، ومنهم من قال « علم طبقات الأرض » ؛ والتزم بعضهم باللفظ الأوروبى معرباً ؛ وأشهر هؤلاء المغفور له الدكتور حسن صادق (١٨٩١ — ١٩٤٩م) أول مدير مصرى للمساحة الجيولوجية المصرية وصاحب أول كتاب علمى عصرى باللغة العربية فى هذا المجال ، وهو كتاب « الجيولوجيا » الذى صدرت الطبعة الأولى منه فى عام ١٩٢٩م — القاهرة .

ومع اهتمام مجمع اللغة العربية بالمصطلحات العلمية فى هذا القرن اختلفت الآراء ، وثار الجدل حول تعريب الكلمة أو ترجمتها . وكان من أقطاب هذا الجدل المغفور لهما الأستاذان أحمد لطفى السيد وعباس محمود العقاد وبعض خبراء الجيولوجيا فى المجمع . وانتهى الجدل فى الخمسينيات الأخيرة بأن أقر مجلس المجمع تعريب الكلمة « جيولوجيا » وفضله على ترجمتها ، وذلك لاتساع المعنى الذى يفهم من « علم الأرض » حتى إنه ليشمل معظم العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، ولضيق المعنى الذى يفهم من « علم طبقات الأرض » حتى أنه ليقتصر على جزء فرعى من علم الجيولوجيا يختص بدراسة تتابعات الصخور الرسوبية وحسب . وبذلك أخذت كلمة « جيولوجيا» أخيرا فى مجال اللغة العربية اعترافاً رسمياً ودخلت فى زمرة المعرب منها .

وبصرف النظر عن هذا الجدل وعن اختلاف المعنى العصرى عن المعنى القديم لكلمة « جيولوجيا » ، فان ذلك المجال من العلم الطبيعى الذى تحدده الكلمة بمعناها العصرى قد مارسه القدماء منذ أقدم عصور الحضارات . فقد عرفه المصريون القدماء ثمرة من ثمرات تجوابهم الصحراء والجبال تنقيباً عن معادن الذهب والمنجنيز والنحاس والأحجار الكريمة كالفيروز والزمرد والزبرجد ، وبحثاً عن محاجر صخور البناء والزينة . وقد كانوا عمالقة التاريخ غير منازعين فى البناء والنحت والزخرفة والفن ، ناهيك عما خلفوه من آثار عديمة النظائر من الأهرام والمقابر والمسلات والتماثيل والمعابد شيدت أوقدت من أفخر الأحجار كالجرانيت والسماقى والديوريت والرخام والبسطى وحجر الجير وحجر الرمل ، ناهيك كذلك عما تركوه مما نعرفه ومما لا نعرفه بعد من القناطير المقنطرة من الذهب من حجرات وتوابيت وأثاث وأدوات وحلى وعملة وغير ذلك ، وعما ابتدعوه من أكحال ومساحيق للزينة وطلاءات مستخرجة مما تزخر به الصحراء من خامات طبيعية . ولا بد أنه كانت لهم فى هذه الفنون أوراق ومؤلفات ووثائق بخل التاريخ باظهارنا على أكثرها ، ولكن أقل ما يقال فيما سمح التاريخ بكشفه لنا وخلد به ذكر هؤلاء القدماء فى مجال علم الجيولوجيا تلك الخارطة القديمة والأولى من نوعها فى التاريخ والمأثورة من عهد الأسرة الحادية والعشرين إبان ملك رمسيس السادس ، والتى تبين توزيع الصخور المختلفة بالألوان فى منطقة الفواخير بجنوب الصحراء الشرقية ، كما تبين تخطيط واتجاهات الطرق المؤدية إليها

والمنبثة فيها وأماكن معادن الذهب والأحجار النفيسة بها . وهى بذلك تعد أول خارطة جيولوجية صممت ورسمت فى التاريخ . وتسمى البردية المدونة عليها هذه الخارطة باسم « بردية تورين(*) » وأصلها محفوظ فى متحف تورين بايطاليا .

وكان للاغريق أيضاً باع طويل فى مجالات علم الجيولوجيا ، لكن إنتاجهم فيها كان يختلف فى طبيعته عن إنتاج المصريين القدماء الذى كان يتسم بالنظرة العملية والاقتصادية الهادفة إلى استغلال كنوز الثروة الأرضية . أما الإنتاج الإغريقى فكان ذا طبيعة نظرية وفلسفية أو ما نسميها الآن طبيعة أكاديمية . ولسنا فى حاجة إلى التعريف بما جادت به قريحة أرسطو المعلم الأول للانسانية فى إثبات كروية الأرض ، وفى تعليل حدوث الزلازل وثوران البراكين والتدليل على طبيعة باطن الأرض . ويحدثنا التاريخ عن أن كثيرا من فلاسفة الإغريق كانوا يقضون شطرا من حياتهم على ضفاف النيل فى مصر ليأخذوا العلم من مناهله الأصيلة هناك . وكان هيرودوت (٤٨٤ — ٤٢٥ ق. م) المؤرخ والرحالة الإغريقى الأشهر من بين هؤلاء . وقد أفاد من مشاهداته فى رحلاته بشمال أفريقية وتنقيبه فى آثار الأقدمين فى مصر خبرات جيولوجية واسعة مكنته من وضع أشهر نظرية أساسية فى علم الجيولوجيا ما زالت تؤلف قوام الفكر الاستراتجرافى فى هذا العلم حتى اليوم ، وهى نظرية « الأصل البحرى لجبال الصخور الرسوبية « أو ما يعبر عنها أيضاً بنظرية » « إغارة البحار على اليابسة وتراجعها عنها » .

وأما العرب فكانوا — ولا مراء — أعظم من أرسى الأسس الحقيقية لهذا العلم من الأقدمين وأغزرهم فيه إنتاجاً فى كلتا الناحيتين الأكاديمية والعملية التطبيقية وإن لم يطلقوا على هذا المجال من العلوم لفظا مستقلا خاصاً به . وعلى هذه الأسس — كما هو معروف بالنسبة للعلوم الأخرى كالطب والرياضة والفيزيقا والكيمياء — قامت النظريات والنهضة العلمية الأوروبية الحديثة فى هذا العلم مع بداية القرن الثامن عشر .

وقد اتسمت النهضة العلمية العربية فى القرون الوسطى بأنها كانت ذات جانبين : جانب نقل عن علوم القدماء وترجمة لكتبهم ، وجانب يمتاز بالبحث المبتكر والملاحظة المستقلة الأصيلة والإضافات الجديدة . أما الجانب الأول فأعلامه من أمثال يوحنا ابن ماسويه ولوقا بن إسرافيون وغيرهما . وقد نقلوا فيما نقلوا إلى العربية مما ألفه الإغريق خاصة كتب أرسطو فى المعادن والأحجار وغيرها من الكتب عن الأرض والطبيعة . وأما الجانب الثانى فأعلامه فى مجال الجيولوجيا

* " منجم الذهب فى بردية تورين " بقلم ج. و. موراى : مجلة المجمع العلمى المصرى ، ج ٢٦، سنة ١٩٤٢، ص (٨١ — ٨٦) وخارطة .

علوم المعادن والأحجار والخامات والجبال والطبقات والحفريات والعوامل الطبيعية والمياه الأرضية . . الخ) فأكثر من أن يتسع المجال هنا لحصرهم . ومن مشاهير أعيانهم : الكندى والجاحظ وابن سينا والبيرونى والتيفاشى والقزوينى والكتبى الشهير بالوطواط وابن الأكفانى وعلماء من جماعة إخوان الصفا وغيرهم . . . ونرجو أن يتاح الوقت وإمكانات النشر لتناول ما أضافه أشهر مشاهيرهم فى مقالات قادمة بإذن الله .

وقد كانت اللغة العربية دائما طوع أقلام هؤلاء العلماء فى مجال الجيولوجيا كما كانت فى مجال غيرها من العلوم الطبيعية : غير أنها. فى مجال الجيولوجيا كانت أكثر خصبا ومواتاة. فالجيولوجيا علم الأرض بما فيها من جبال ، وصخور ومعادن وأحجار كريمة وعيون وآبار وزلازل وبراكين وغير ذلك ، وما البيئة العربية الأصيلة فى الجزيرة وبعد ذلك فى أرجاء الإمبراطورية العربية الواسعة بعد ظهور الاسلام إلا مزيج من معظم هذه المعالم والظواهر والجواهر التى ابتكر لها العرب الأقدمون الأسماء والمرادفات والأوصاف التى تكاد تعجز الحصر والتى تعج بهـا معاجم اللغة الكبرى .

وقد أسرفت اللغات الأوروبية فى عصر النهضة فى الاستعارة من الأصول اليونانية واللاتينية لوضع مصطلحات الجيولوجيا ، بل كانت تستعير الكلمات من اللغات الشرقية ومن العربية بالذات لتسد العجز فى مفرداتها المناسبة للتأليف فى هذا المجال كما سنورد فى بعض الأمثلة بعد قليل : أما فى إبان النهضة الحديثة لتعريب العلم فى مصر والعالم العربى ، فان اللغـة العربية اعتمدت فى مجال علم الجيولوجيا اعتمادا يكاد يكون تاما على ذخيرتها من الألفاظ الأصيلة أو المعربة الموغلة فى القدم فى تاريخها ، اللهم الا فى النذر اليسير جدا من المصطلحات ذات الأصل الأغريقى أو اللاتينى الذى لم يكن الابقاء عليه الا من أجل حفظ الروابط مع ما كتب من علم متقدم باللغات الأوروبية .

وفى خلال ربع القرن الأخير لم يستعص على علماء الجيولوجيا المعاصرين المؤمنين بحركة تعريب العلوم العثور على الدرر الكامنة فى بحر اللغة العربية الزاخر مما يناسب جل ما يريدون نقله إليها من مصطلحات . وقد بلغ ما نقله أعضاء مجمع اللغة العربية وخبراء الجيولوجيا به من المصطلحات الجيولوجية فى خلال هذه المدة ما ينيف على الخمسة آلاف نشر منها المجمع فى عام ١٩٦٤ نحوا من ألف وخمسمائة مصطلح فى معجم جيولوجى خاص . والمجمع الآن بصدد اعداد معجم جيولوجى وافر يضم أكثر من خمسة آلاف مصطلح معرف تعريفا علميا كاملا . وقد اكتشف القائمون بهذا العمل أن قدرا غير قليل من هذه المصطلحات المراد نقلها إلى العربية « بضاعة عربية » أصلا آن الأوان لردها إلى أصحابها .

ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى :
طلق = Talc ، عقيق = Agate ، عرق = Erg ، فرفيرى = Porphyry ، لابة = Lava ، جرول = Gravel ، خلقدونى = Chalcedony ، يشب = Jasper ، سيف = Seif ، رق = Reg ، مرمر = Marble الخ . . . :

وما زال فى أحشاء بحر العربية ثروة زاخرة من درر المفردات المتنوعة فى الأبواب المختلفة من الجيولوجيا يمكن الاستعانة بها فى النقل والتأليف ، وسنعرض ان شاء الله لذلك تفصيلا فى مقالة قادمة ، وفيما يلى بعض أمثلة فقط من باب التوضيح لا الدرس والاحاطة :

– فى باب المادة الأولية للصخور : القطر – اللابة – الحرة .

– فى باب مادة الغلاف الصخرى للأرض : المعدن – الجوهر – البلور – الحجر – الصخر – الأديم – التربة .

– فى باب الكسارة والحطام الصخرى : الرمل – الحصى – الجرول – الحصباء الركام – الطمى – الغرين – الطين – الرذغ – الصلصال – الحمأ – الابليز .

– فى باب طبيعة الأرض : الكديد – الراهصة – المرمريس – الحزن – السهل – السهب – العرق .

– فى باب أحجام الكسارة الصخرية : الحبة – الحصوة – الفهر – الجلمود .

– فى باب المرتفع والمنخفض من الأرض : الجبل – التل – التلعة – القمة – القلة – السفح – الخانق – الأخدود – الوادى – الجرف – السهل . .

– فى باب الرمال والريح : التذرية – السفى – النيم – الدرج .

– فى باب المياه الأرضية والجارية : العين – البئر – الجدول – النهر – الرافد – السيل – النز . .

– فى باب الهيئات الحقلية للصخور : الجدة – العرق – الوتد – الراسخ .

– فى باب الحركات الأرضية ومعالمها : الميد – الرج – الدسر – الطى – الصدع – الخسف .

– فى باب هيئات التجمعات الرملية : الكثيب – القوز – العقنقل .

– فى باب أسماء المعادن والصخور : المرو – البلور – العقيق – الرخام – المرمر – الجزع – الصوان – الظران – الطلق – الزبرجد – الزمرد – الياقوت – الهيصم البلق .

محمد يوسف حسن

في القرآن والعربية :

دراسة في صيغتي "فعل وأفعل"

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

لم تتفق القبائل العربية على استعمال وزن « أفعل » بالهمزة ، فقد جاء في اللسان : أراقه وهراقه — على البدل عن اللحياني ، وعزاها إلى اليمن ، ثم فشت في مضر[1] « ويفهم من رواية اللحياني أن صيغة (هفعل) كانت أصلا في اللغات العربية الجنوبية ، ولكنها ظهرت في مناطق جغرافية أخرى حيث ظهرت في اللحيانية القديمة[2] ، ثم في الكنعانية القديمة والمؤابية ، وبعض اللهجات الآرامية[3] .

كما ورد في العربية الفصحى أيضا وزن (هفعل) بدل (أفعل) فقد جاء عن الكسائي « أرحت دابتي ، وهرحتها[4] » ، كما حكى عنهم (هرقت[5]) والأصل : أرقت . وفي شعر امرئ القيس :

« وإن شفائي عبرة مُهَرَاقة[6] » .

كما ظهر قلب الهمزة هاء في طيء في « إن » الشرطية حيث يقولون : هن فعلت[7] . كما كانت طيء تقول أيضا « هزيد فعل ذلك » في : أزيد[8] . « وهذا التعاقب بين الهمزة والهاء يعلل لنا التعاقب بين وزني (أفعل وهفعل) لأن الهمزة والهاء حلقيتان : وهذا يؤكد أن العربية كغيرها من الساميات استخدمت الهمزة والهاء في هذا الوزن ، ثم فضلت العربية الهمزة بعد ذلك معرضة عن الهاء لأسباب تتفق وطبيعتها اللغوية[9] ، وكما

---

(١) اللسان : ١١-٤٢٨

(٢) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

(٣) انظر : وزن أفعل : دكتور خليل يحيى نامى .

(٤) إبدال أبي الطيب : ٢-٥٧٠

(٥) ليس في كلام العرب : ٧٢ ، المفصل : ٣٦٩ ، الأمالي : ٢-٦٨ للقالي .

(٦) شرح المعلقات السبع : ٨

(٧) شرح الشافية : ٣-٢٢٣ ، اللسان : ١٦-١٧٨

(٨) اللسان : ٢٠-٣٧٣

(٩) وزن أفعل : دكتور خليل نامى .

فعلت العربية ، فعلت اللحيانية حيث أخذت صيغة (أفعل) بالهمزة تظهر فيها بعد أن أعرضت عن وزن (هفعل[1]) .

والآن نتوجه إلى بحث اختيار القبائل العربية لأحدهذين الوزنين (فعل وأفعل) :

١ — أورد صاحب المصباح أن « جزى » يجزى جزاء — من غير همز — لغة الحجاز كما نسب « أجزأ » بمعناه أيضا — إلى تميم[2] . وفى اللسان أن النبى (ص) قال لأبى بردة حين ضحى بالجذعة « تجزى عنك ، ولا تجزى عن أحد بعدك » وهو كما قال الأصمعى « مأخوذ من قولك « قد جزى عنى هذا الأمر يجزى عنى[3] » وهذا يقوى أن الحجاز تقوله — مجردا ؛ لأن النبى (ص) من تلك البيئة ، ونقل ابن منظور أنهم يقولون « جزت عنك شاة وأجزت — بمعنى[4] » .

٢ — كما ورد أن (سحت) مجردا لغة الحجاز ، وأسحت — لغة تميم ، وأورد أبو حيان شاهدا للهجة تميم من قول الفرزدق[5] وإذا التفتنا إلى كتاب الله وجدنا أن حمزة ، والكسائى وحفصا والأعمش يقرؤن — « فيسحتكم بعذاب » بضم الياء وكسر الحاء من أسحت — رباعيا ، على حين قرأ باقى السبعة . . . . بفتحها من (سحت) ثلاثيا[6] . والقراء السابقون يمثلون البيئة الكوفية تلك التى تأثرت بقبائل شرق الجزيرة كتميم . وقد وجه ابن خالويه فى مخطوطة الحجة القراءتين — ولم يعزهما[7] .

٣ — ورد فى المزهر نقلا عن يونس فى نوادره : أن الحجاز يقولون : لاته[8] عن وجهه — يليته ، وتميم : ألاته — يأليته[9] ، وقد وردت اللغتان فى قوله تعالى : (لايلتكم من أعمالكم شيئا[10]) ، وقرأ على اللهجتين الحجازية والتميمية كثير من القراء[11] .

٤ — كما نقل ابن منظور : مضّنى الجرح وأمضنى : آلمنى وأوجعنى ، كما نقل أبو عبيدة الصيغتين عن العرب : مضنى وأمضنى . وقال : « أمضنى كلام تميم[12] » وورد لها شاهد وهو قول سنان بن محرش :

(من الحلوء صادق الإمضاض[13])

---

(١) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

(٢) المصباح : ١-١٥٧ — (٣) اللسان : ١٨-١٥٩

(٤) المرجع السابق . — (٥) البحر : ٦-٢٤٤

(٦) الإتحاف : ٣٠٤ ، البحر : ٦-٢٤٥

(٧) الحجة لابن خالويه : ورقة ٩٦ مخطوطة بدار الكتب .

(٨) لاته : نقصه . — (٩) المزهر : ٢-٢٧٦ — (١٠) سورة الحجرات آية : ١٤

(١١) الإتحاف : ٣٩٨ — (١٢) اللسان : ٩-١٠١ — (١٣) المرجع السابق .

٥ – كما عزا أبو حيان صيغة (مرج) بمعنى خلط إلى لهجة الحجاز (وأمرج) عزاها إلى[1] نجد ، وذلك بمناسبة تفسيره لقوله تعالى « وهو الذي مرج البحرين[2] » .

٦ – وعزا أبو حيان : فتن – إلى الحجاز بينما لغة تميم : أفتن[3] . كما قرأ عيسى بن عمر « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني[4] » بضم التاء الأولى من أفتن وعزاها أبو حاتم إلى تميم[5]. وقد جاء في اللسان أن أعشى همدان جاء باللغتين في قوله :

لئن فتنتني لَهِيَ بالأمس أفتنت
سعيداً فأمسى قد قلا كلَّ مسلم

وعلى الرغم من أن الأدلة شاهدة على صحة أفتن – المزيدة ، والمنسوبة إلى تميم بشهادة قول رؤبة :

(يُعرضن إعراضاً لدين المفتن) وقوله :

(وإني وبعض المفتنين ....)[6] .

الا أن الأصمعي قد أنكرها ، وقال عن بيت الشاهد في شعر الأعشى « إنه مخنث » وأبو زيد قد أجازها[7] .

ولعل السبب في إنكار الأصمعي لها أنه كان يتشدد في اللغة وأنه كان يفرق بين الصحيح والأصح ، ويذهب في معظم أمره مذهب الأفصح في كلام العرب – أما أبو زيد فقد كان يقبل جميع ماجاء عن العرب ، ويذهب فيه مذهب الصحة والصواب . وهما نظرتان مختلفتان . ومهما كان فإن الأصمعي بتضييقه في اللغة قد أنكر قراءة مروية وهي التي قرأ بها عيسى بن عمر في الآية السابقة . ويظهر أن هذا كان من طبع الأصمعي ، ومما يؤيد ذلك أنه كان ينكر ما يأتي به الكميت ، حدث أبو حاتم قال « قلت للأصمعي أتجيز إنك لتُبرق لي وتُرعِد؟ فقال : لا، إنما هو تَبرق وتَرعدُ ، فقلت له : فقد قال الكميت :

أبرق وأرعد يا يزيـ
ـد فما وعيدك لي بضائر

فقال : هذا جرمقاني(*) من أهل الموصل ، ولا آخذ بلغته ، فسألت عنها أبا زيد الأنصاري فأجازها » وهذا إن دل فإنما يدل على مذهب الأصمعي في ولعه بأجود اللغات ورده ليس كذلك ، وما رده الأصمعي.

---

(١) البحر : ٦-٤٧٨
(٢) سورة الفرقان : آية : ٥٣
(٣) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨
(٤) سورة التوبة آية : ٤٩
(٥) البحر : ٥-٥١
(٦) اللسان : ١٧-١٩٤
(٧) الخصائص : ٣-٣١٥ ، اللسان ١٧-١٩٤.
(٨) الخصائص : ٣-٢٩٣.
(*) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، وهم السريانيون .

صحيح فى اللغة ، بدليل أنهم احتكموا إلى أعرابى فى ذلك حين سأله أبو زيد « كيف تقول إنك لتبرق لى وترعد ؟ فقال له الأعرابى : أفى الخخيف تعنى ؟ أى التهدد . فقال : نعم ، فقال الأعرابى : إنك لتبرق لى وتُرعد[1] .

٧ – كما عزا يونس فى نوادره إلى الحجاز قولهم « هو الذى ينقُد الدراهم » وتميم تقول فى مثل ذلك : وهو الذى ينتقد[2] » أى يستعملونها مزيدة ، والحجاز تستعملها مجردة . كما نسب إلى الحجازيين « تخذت ووخذت ، وتميم تقول فى مثل هذا « اتخذ[3] » .

٨ – كما عزا أبوحيان صيغة (أجنب) إلى تميم ، وهى مزيدة ، وغيرهم من الحجازيين يستعمل (جنب[4]) .

وإذا رجعنا إلى كتاب الله وجدنا أن الجحدرى وأبا الهجهاج يقرآن (وأجنبنى وبنىأن نعبد الأصنام) بهمزة القطع على لهجة تميم كما جاء فى المحتسب[5] . ولكن أباحيان عزاها إلى الجحدرى وعيسى الثقفى[6] .

٩ – كما جاءت عدة روايات وكلها تعزو المزيد إلى تميم كقولهم « أوقعت بهم » بالألف وغيرهم يقول « وقعت[7] » مجردا ، كما عزا ابن القوطية إلى تميم قولهم « أوقفت الداروالدابة[8] » على حين غيرهم يقول « وقفت » مجردا ، ولكن الأصمعى أنكر « أوقفت » بالألف ، وقال : الكلام « وقفت » بغير ألف[9] . وعلى أى حال فعجبنا يشتد للأصمعى لأنه أنكر لهجة كلهجة تميم – تلك التى قال عنها ابن حزم « بأنها قاعدة من أكبر قواعد العرب[10] » ، وربما نلتمس العذر للأصمعى فى رفضه تلك الصيغة ، بأنها لم تبلغه – كما عزى صاحب الكامل إلى تميم صيغة مزيدة وهى « أهبطته[11] » وغيرهم يقول « هبطته » .

١٠ – كما ذكر ابن منظور « ما فتئت وما فتأتُ أذكره – وماأفتأت » وعقب على هذا بأن الصيغة الأخيرة « تميمية[12] » أى أن تميما كانت تستعملها مزيدة ، كما عزاها السيوطى إلى تميم أيضا[13] .

فمن الشواهد السابقة نلمح أثرا واضحا وهو أن تميما تميل إلى استعمال صيغ الأفعال المزيدة . ولم تكن تميم وحدها فى هذا الميل بل شاركتها قبائل أخرى . :

١ – كقيس حيث روى اللحيانى أنهم يقولون « أخلى فلان على اللبن[14] واللحم »

---

(١) الأخطاء اللغوية الشائعة : ١-٨ الشيخ محمد النجار ، الخصائص : ٣-٢٩٤
(٢) المزهر : ٢-٢٧٦
(٣) المرجع السابق .
(٤) البحر المحيط : ٥-٤٢٩
(٥) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط .
(٦) البحر : ٥-٤٢٩
(٧) المصباح : ٢-١٠٣٧
(٨) الأفعال : ١٥٧ ابن القوطية .
(٩) المصباح : ٢-١٠٣٨
(١٠) جمهرة أنساب العرب : ١٩٦
(١١) الكامل للمبرد : ١-٢٢٠
(١٢) اللسان : ١-١١٤
(١٣) الهمع : ١-١١٢
(١٤) اللسان : ١٨-٢٦١

كما عزا صاحب البحر لقيس صيغة (أفتن)[1] فى تفسيره قوله تعالى « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا[2] » كما عزى لقيس أيضا أنهم يقولون « أهديت العروس[3] » وغيرهم هديت العروس » . والعجب من الكسائى حيث ذكر فى رسالته أن « أهديت العروس » لحن[4].

٢ — « ونجد » سارت على نهج تميم تقريبا ، فقد سمع أبو حاتم من أبى زيد أن أهل نجد يقولون : أكننت الجارية والدرة ، وقال أبو حاتم : يقول أكثر العرب كننت الدرة والجارية وكل شيء[5] » كما روى صاحب البحر أن نجدا تقول أجنب — وغيرهم جنب[6] ، وذكر صاحب الإتحاف أنهم يقولون : أسحت وغيرهم سحت »[7] وورد فى البحر مايؤيد هذا .[8]

٣ — كما سارت تقريبا لهجة أسد على هذا أيضا يؤيده ما رواه الفراء لبعض بنى دبير :

حتى إذا أعصفت ريح مزعزعة ، فيها قطار ورعد صوتها[9] زجل

ودبير هذه بطن من أسد ، بل يصرح ابن منظور بأن لهجة أسد (أعصفت) وغيرهم (عصفت)[10] .

٤ — كما روى « حدّت المرأة على زوجها . . . وأحدت[11] » . وقد حكى الكسائى عن عقيل « أحدّت » وقال الفراء : كان الأولون من النحويين يؤثرون « أحدت فهى محدّ » قال : والآخرى أكثر فى كلام العرب[12] .

ولكن ما الصلة بين هذه القبائل وبين تميم حتى تتفق فى الظاهرة معها ؟ أرى أن القبائل التى اتفقت مع تميم فى الظاهرة تتفق أيضا معها فى البيئة الاجتماعية ، فتميم بيئتها بدوية ، وقيس وأسد وعقيل . ومنطقة نجد يغلب عليها طابع البداوة كذلك .

ولهذا رأينا المناطق المتحضرة[13] تجنح غالبا إلى الصيغة المجردة — فالحجاز قد آثرتها كما تشهد بذلك النصوص السابقة ، كما سارت سيرها بعض المناطق المجاورة لها كلهجة العالية : فقد جاء فى المصباح أنهم

---

(١) البحر : ٣-٣٢٩
(٢) سورة النساء آية : ١٠١
(٣) المصباح : ٩٨٤
(٤) ما تلحن فيه العوام : ٥٤ حاشية
(٥) المخصص : ١٤-٢٤٨
(٦) البحر : ٥-٤٢٩
(٧) الاتحاف : ٣٠٤
(٨) البحر : ٦-٢٤٤
(٩) معانى القرآن : ١-٤٦٠ دار الكتب
(١٠) اللسان : ١١-١٥٣
(١١) المصباح : ١-١٩٤
(١٢) ما تلحن فيه العامة : للكسائى : ٤٧ هامش
(١٣) انظر الفرق بين أثر البداوة والحضارة فى اللغة : فى اللهجات العربية . دكتور إبراهيم أنيس . فى أماكن متفرقة .

يقولون « ملح الماء ملوحة[1] »، كما نجد أن قريشا وهى حضرية قد آثرت الصيغة المجردة ، يدل لذلك ماجاء فى اللسان من قول الجوهرى : حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم،وقد قرئ بهما[2] كما عزيت الصيغة المجردة أيضا فى كل من الخزانة[3] ، والبحر المحيط[4] ،والمصباح[5] إلى قريش.ولكن هل يمكن أن يكون ذلك قانونا تسير عليه اللهجات العربية ؟ أرى أننى لا أستطيع أن أبلغ به حد الحتم ، لأننى عثرت على شواهد تفيد العكس ، ولكنها مع ذلك شواهد قليلة منها :

١ – ماعزاه اللحيانى فى اللسان[6] من أن تميما تقول « خلا فلان على اللبن وعلى اللحم إذا لم يأكل منه شيئا ولا خلطه به ، وغيرهم يقول « أخلى » .

٢ – نسب ابن القطاع « جبرت » إلى تميم مجردة ، وعامة العرب يقولون : « أجبرته[7] » مزيدة، وقال الأزهرى ، « جبرته وأجبرته لغتان جيدتان » ، كما ذكر ابن دريد الصيغتين المزيدة والمجردة . ولم يعزهما[8] ،وذكر الأزهرى فى اللسان أن « جبرته على الأمر » لغة معروفة[9] .

٣ – أن تميما كانت تستعمل الفعل « هلك » فيقولون « هلكته » ، وغيرهم يقول أهلكته » بالهمزة[10] .

كما وجدت صيغا أخرى تعزو الأفعال المزيدة إلى الحجاز – ومنها :

١ – عزا الفراء إلى الحجاز (أوفى) ، كما نسب إلى نجد (وفى) بغير ألف[11] وقال ابن قتيبة : وفيت بالعهد ، وأوفيت به . وساق الزجاج قول الشاعر مستشهدا على اللهجتين :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته
كما وفى بقلاص النجم حاديها[12]

وقال ابن جنى عن هاتين الصغتين (أوفى) و (وفى) لغتان قويتان[13] .

---

(١) المصباح : ٨٩٣
(٢) اللسان : ١٦-٢٦٦
(٣) الخزانة : ١-٥٧٩
(٤) البحر : ٦-٣٤٢
(٥) المصباح : ١-٢٠٨
(٦) اللسان : ١٨-٢٦١
(٧) المصباح : ١-١٤١
(٨) المرجع السابق .
(٩) اللسان : ٥-١٨٥
(١٠) المخصص س ٦ ص : ١٢٧
(١١) البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٢) الخصائص : ٣-٣١٦ ، البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٣) الخصائص : ٣-٣١٦

٢ – كما عزا اللسان « أسرى » بالألف إلى الحجاز [١] . وسرى – لغة غيرهم ، كما جاءت رواية أخرى مماثلة فى المصباح [٢] ، وإذا التفتنا إلى كتاب الله نجد أنه قرئ باللهجتين فى قوله تعالى « أسرى بعبده » [٣] وقوله « والليل إذا يسر » ، فهو من سرى – ولو كان من : أسرى – لكان : يُسرى.

وعلى كل فالقوانين التى تخضع لها اللهجات واللغات ، ليست لها صفة الحتم كقوانين الطبيعة والرياضة ، بل نكتفى بالحكم على الكثرة الغالبة ، ولا يضيرنا بعض الظواهر التى تبدو شاذة أو غريبة حول القاعدة .

والآن أريد أن أناقش الرواة فى فهمهم لصيغتى (فعل وأفعل) مثل : سرى وأسرى وسقى ، وأسقى ، وفتن وأفتن – فهم على أن معنى الصيغتين واحد ، المجردة والمزيدة ، ويستدل لذلك بما جاء فى اللسان من قولهم سريت ، وأسريت بمعنى – إذا سرت ليلا [٤]

ومثل هذا جاء فى الصحاح أيضا [٥] ، وكما جاء أن « وفى الكيل وأوفيته [٦] » بمعنى . والحق أن كلام اللغويين فيه تسامح ظاهر ، فصيغة (فعل) – لابد وأن تختلف معناها عن صيغة (أفعل) ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فلا بد أن صيغة « أفعل » تدل على معنى زائد عن صيغة (فعل) فاذا قلت : أقاله أو أسقاه كان أبلغ فى الدلالة من « قاله وسقاه » أو أن نقول : إن كل صيغة منهما تعيش فى بيئة خاصة كما سبق ، فصيغة (فتن) تعيش فى بيئة الحجاز ، وصيغة أفتن – تعيش فى بيئة تميم [٧] . ولا يعقل أن الرجل فى البيئة الواحدة كان له من الاختيار والحرية بحيث ينطق الصيغة مرة مجردة ، وأخرى مزيدة ، كما لا يعقل أن بعض الأفراد فى البيئة الواحدة يؤثرون صيغة فعل ، وبعضهم يؤثر صيغة أفعل ، فإما أن نفرق بين الصيغتين فنقول مثلا فى صيغة « وقف » بأن « ما يمسك باليد يقال فيه « أوقفته » بالألف ، وما لا يمسك باليد يقال فيه : وقفته – بغير ألف [٨] » أو أن يقال « جبرت » لجبر العظم بعد كسره ، وأن يكون (أجبر) مقصودا به الإكراه [٩] ، وهذا معنى قول الخليل « من قال : عقب : لا يقول : « أعقب [١٠] ، ومما لاشك فيه أن صيغة « أفعل » تدل على معان عدة : كالتعدية ، والتعريض ، والسلب والإزالة والتمكين [١١] ، تختلف فيها عن (فعل).

---

(١) اللسان : ١٩-١٠٣

(٢) المصباح : ١-٤٢٠

(٣) سورة الإسراء آية : ١

(٤) اللسان : ١٩-١٠٣

(٥) خزانة الأدب : ١-١-٥٥١

(٦) البحر المحيط : ١-١٧٢

(٧) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨

(٨) المصباح : ٢-١٠٣٨

(٩) اللسان : ٥-١٨٥

(١٠) العين : ٩٥ ط بغداد

(١١) شذا العرف : ٢١

ويظهر أن ابن درستويه قد لحظ هذا فهو يقول فى شرح الفصيح « لايكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجئ ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان، والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ماجرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون العلة فيه ، والفروق ، فظنوا أنها بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل ، فإن كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب ، فقد أخطأوا عليهم فى تأويلهم مالا يجوز فى الحكمة ، وليس يجئ شئ من ذلك الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا — أو أن يكون على معنيين مختلفين[1] » .

تصوير القرآن الكريم للظاهرة :

ولقد لمحت موقف القرآن الكريم من هذه الظاهرة فيما يأتى :

١ — قراءة الجحدرى وعيسى الثقفى « واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام[2] »من «أجنب » وهى لهجة نجد[3] ،وقرأها الآخرون من (جنب[4]) .

٢ — وقرأ عيسى بن عمر « ولا تفتنى[5] » بضم التاء الأولى من أفتن — وهى لهجة تميم[6] ، وقرأ الآخرون: تفتنى — بفتح التاء الأولى من فتن .

٣ — وقوله تعالى « لايحزنهم الفزع الأكبر[7] » قرأ أبوجعفر بضم الياء من أحزن وهى فى تميم ، وبعضهم من حزن[8] ، كما أورد ابن خالويه فى الحجة عدة[9] قراءات قرآنية جاء الفعل فيها مرة من فعل ، وأخرى من أفعل .

(١) المزهر : ٣٨٤-٣٨٥
(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٥
(٣) البحر : ٥-٤٢٩ — ٤٣١ ، مختصر شواذ القرآن : ٦٨ ابن خالويه .
(٤) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط
(٥) سورة التوبة : آية : ٤٩
(٦) البحر : ٥-٥١
(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٣
(٨) البحر : ٦-٣٤٢
(٩) الحجة لابن خالويه : ورقة : ٢٨ ، ٨٥ ، ٢٧ مخطوط بدار الكتب .

وكذلك عثرت على عدة قراءات قرآنية فى كتاب شواذ القرآن جاءت كل قراءة على أحد هذين الوزنين (1). وقد نسمع بعض الأحكام التى تصدر على أحد الوزنين السابقين كقول ابن منظور : اللغة العالية حزنه يحزنه ، وأكثر القراء قرءوابها (2)، كما أن الأصمعى كان لايحب أن يبدى رأيا فى فعل وأفعل ، لاسيما إذا كانت الكلمة قد وردت فى القرآن ، فلم يتكلم فى عصفت وأعصفت ، لأن فى القرآن « ريح عاصفة» ولا فى سحته وأسحته لأن فى القرآن : « فيسحتكم (3)». وربما ذلك يرجع إلى خوفه من الخوض فى القرآن تورعا ، أو لأن هاتين الصيغتين تدور حول الأفعال التى ترتبط بالجبر والقدر كما تقدم فى الأمثلة السابقة من مثل قولهم : جبر وأجبر — وهو لايريد أن يزجّ بنفسه فى هذا المهيع الخطير ، أو ربما أنه كان لايجيز إلا أفصح اللغات ويلغى ماسواها ، ويبدو هذا فيما رواه ابن دريد قال : « سألت أبا حاتم عن باع وأباع ، فقال: سألت الأصمعى عن هذا فقال: لايقال: أباع ، فقلت : قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمدانى :

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع
فرسا فليس جوادنا بمباع

قال الأصمعى : لعلها لغة لهم يعنى أهل اليمن — ثم عقب ابن دريد على إنكار الأصمعى لها بقوله : وقد سمعت جماعة من جرم فصحاء يقولون : أبعت الشئ — فعلمت أنها لغة لهم (4).

ونستنبط من هذا العرض أن القرآن الكريم قد راود بين هاتين الصيغتين فى قراءاته ، وكأنه بذلك يوثق هذه اللهجات العربية بالقراءة المروية أولا ، ثم ليجد كل قبيل من العرب سحنته اللغوية فى هذا الكتاب ، فيكون القرآن قد قصد بذلك إلى هدف آخر سياسى بجانب الهدف اللغوى — وهو جمع العرب فى طريق واحد إلى هدف واحد .

احمد علم الدين الجندى

---

(1) شواذ القرآن : 114 ، 26 ، 68 ، 22 ، 26 لابن خالويه .
(2) اللسان : 16-267
(3) المزهر : 2-326
(4) الجمهرة : 3-436

الأحجية فى الشعر العربى

للأستاذ محمد قنديل البقلى



تلازم لاشك بين الفصحى والعامية لاتخلو من ذلك لغة ، وهذا التلازم له مظاهر تختلف مراتبه فقد يشتد مابين العامية والفصحى من قرب وقد يبتعد ؛ ومرد ذلك لاشك إلى تمكن الفصحى من الألسنة وعدم تمكنها ، نعنى شيوعها وانحصارها فمتى شاعت الفصحى على الألسنة وأصبح المتكلمون بها كثرة غالبة ،رأينا هذا التقارب يشتد حتى لتكاد العامية تنهج نهج الفصحى ، ويكاد الاختلاف بين الاثنتين ينحصر فى فوارق ضئيلة . أما إذا ماضعفت الفصحى وأصبحت لغة القلة وكان للعامية شيوع رأينا تباعدا كثيراً بين الفصحى والعامية ، وكدنا نرى العامية لغة أخرى لاتمت إلا بصلات قليلة للفصحى ودخلتها ألفاظ من هنا ومن هناك ، يرجع بعضها إلى لهجات لشعوب يكون لها دور فى حياة تلك الأمم حين تضعف الفصحى فيها وتأخذ عن غيرها الكثير من ألفاظ وتراكيب .

ولكن الذى لاشك فيه أن الفصحى مهما غلبت على أمرها لاتغلب إلا فى العرض لافى الجوهر ، نعنى أن كيان الفصحى أى هيكلها الذى هو قوامها يظل باقيا ، وأن التغيير يمس غير ذلك الكيان وذلك الهيكل ، وإن قدر لاغة من اللغات الفصحى أن تمس فى ذلك الكيان وذلك الهيكل ، كان ذلك إيذانا بزوالها واختفت هى لتظهر لغة الغالب ، وهى لغة أخرى بمبناها ومعناها .

ولقد منيت اللغة العربية مع عصور الازدهار بعصور انهيار وكانت فى هذه العصور وتلك تعيش إلى جانبها لغة عامية ضعفت مع عصور الازدهار فكان التقارب بينها وبين اللغة العربية شديداً وضعفت الفصحى فى عصور الانهيار فبعد مابينها وبين العامية من تقارب وبدت العامية وكأنها لغة أخرى تعيش إلى جانب اللغة الفصحى ، ولكننا رأينا أن مع عصور الانهيار التى بدت العامية فيها شبه لغة مستقلة ، كما قلنا ، لم نجد تلك العامية استطاعت أن تنال من كيان الفصحى وهيكلها ، ثم رأيناها على الرغم من هذا الاستقلال فى التعبير تعيش على تلك المناهج القولية التى اختصت بها الفصحى مع اختلاف

فى الأداء ، فاذا كان للفصحى شعر له موازينه وله طريقته ، كان للعامية مايشبه ذلك الشعر وهو الزجل وكان له هو الآخر موازينه وطرائقه ، وكما كان للفصحى أمثالها المدونة المرتبطة بأحداث تعبر عنها فى إيجاز فجاءت وكأنها الحكم ، كذلك رأينا للعامية هى الأخرى أمثالها التى جاءت تترجم عن أحداث قد تتفق وأحداث الفصحى، وقد تختلف ، ولكنها جاءت آخر الأمر وكأنها الحكم ، وكما رأينا فى الفصحى مكانا للّغز والأحجية شعرا ونثراً ، كذلك رأينا العامية تحتذى حذو الفصحى فتشغل هى الأخرى بالألغاز والأحاجى ، وكما اختلفت المسميات مع ذلك التشابه الذى سميناه من قبل فسمى الشعر العامى زجلا واتخذت فنون الزجل أسماء تقابل تلك الأسماء التى وضعت لبحور الشعر الفصيح ، فبدلا من أن نسمع فى العامية ذكراً للطويل والرجز والبسيط سمعنا فى العامية ذكراً للمواليا والدوبيت والكان كان وغير ذلك .

والأمر هنا فى الألغاز والأحاجى يكاد يخضع هو الآخر لمثل ذلك فأصبح اسم اللغز والأحجية يتسمى فى العامية بأسماء جديدة، فسمى الفزورة أو الحزورة ويكاد يكون الاسمان فى العامية يرتدان إلى أصل عربى ، فالفزر فى اللغة هو الشق والفزورة ليست غير إمعان فى الكشف عما تتضمنه فكأنها شق عن الشئ وتكاد تكون لفظة الحزورة أقرب من الفزورة إلى العربية فهى مأخوذة من الحزر وهو الظن والتخمين .

وهكذا نرى هذا التلازم بين العامية والفصحى ممتدا على طول السنين يحكى فن فنا ويضارع قول قولا ، ولكن ثمة اختلاف مبعثه عجز القائل فى العامية عن أن يبلغ مبلغ القائل فى الفصحى أو نزول القائل فى العامية إلى مستوى الشعب الذى لايلقن الفصحى ولا يفهمها . وسواء أكان هذا أو ذاك فالذى لاشك فيه أنه كان ثمة عامية لازمت العربية منذ نشأتها ، كما قلنا ، على اختلاف فى ذلك التلازم بعدا أو قربا يؤثر البعد فى مجانبة العامية للكثير من نهج العربية لفظا وأسلوبا ، كما يؤثر القرب فى ظهور العامية أوفى ماتكون إلى الفصحى ، ويكاد يكون المقول هنا أو المقول هناك شكلا وأسلوبا إلا فى خروج على الاعراب حينا ، وعلى الاشتقاق حينا آخر ، واستخدام ألفاظ دخيلة حينا ثالثا .

وقد قلنا إن هذا التلازم كان له مظهره فى محاكاة العامية بأزجالها للشعر العربى وبأمثالها كذلك ، ثم فى ألغازها وأحاجيها ، وهذا ما سنعرض له فى مقالنا هذا :

إن الناظر فى كتب الأدب الموسوعية ، أعنى تلك التى جمعت طرائف من هنا وهناك ،أمثال العقدالفريدلابن عبدربه ،ونهاية الأرب للنويرى وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ثم تلك الكتب التى انفردت فى هذا الباب خاصة ، أعنى باب الألغاز والأحاجى والمعميات من ذلك كتاب الألغاز للشريف عزالدين حمزة بن أحمد الدمشقى المتوفى عام ٨٧٤هـ ، والألغاز لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن الاسنوى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٢ هـ ، وكذا كتاب الألغاز لتاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، ثم كتاب الذخائر الأشرفية فى الألغاز الحنفية للقاضى عبد البر بن الشحنة الحلبى ، وثمة كتب أخرى جاءت فى الألغاز أيضاً ولكنها خاصة بعلوم بعينها مثل كتاب الألغاز لشمس الدين محمد ابن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، وهى قصيدة همزية فى القراءة .

هذا عن الألغاز والأحاجى فى الفصحى وقد جمعت هذه الكتب العامة والخاصة وغيرها من الألغاز والأحاجى ماهو شعر وما هو نثر ، وكما قلنا ، أنه ليس ثمة باب أو نهج فى الفصحى إلا وحاكت مثله العامية تقرب إن كانت الشقة بين اللغتين غير بعيدة ، وتبعد إن كانت تلك الشقة على درجة من البعد .

والإلغاز فى مضمون معناه تحمل الألفاظ والعبارات دلالات خفية تنغلق وتنبسط على قدر قوة الملغز فى تحميل كلماته وعباراته دلالات خفية تدق وتجل ، من ذلك قول الشاعر فى القلم :

وما غلام راكع ساجد
أخو نحول دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها
منقطع فى خدمة البارى

ثم قول شاعر آخر فى الميزان :

وقاضى قضاة يفصل الحق ساكتا
وبالحق يقضى فلا يبوح فينطق
قضى بلسان لا يميل وإن يمل
على أحد الخصمين فهو مصدق

وقبل أن نعرض لما يحكى اللغز والأحجية فى اللغة العامية نحب أن نسوق أمثلة من ذلك فى الفصحى شعراً ونثراً لنعرف مدى القرب والبعد بين العامية والفصحى فى هذا الميدان .

وإذ كان اللغز فى الفصحى حين يخرج فى قالب شعرى يكاد يتسم بسمات خاصة تباعد به فى نسجه عنه إذا جاء نثرا ، وكما يحدث ذلك فى الفصحى يحدث نظيره فى العامية ، فانا نلاحظ أن الفزورة أو الحزورة إذا انتظمها قالب من قوالب النظم العامى تجئ هى الأخرى فيها شئ من المعاناة والتلوين والتشكيل لانجده نظائر فى الفزورة أو الحزورة إذا صبت فى قالب من قوالب النثر ، من أجل هذا

كان لابد من فصل وكان لابد من سوق الموضوع مقسما على بابين :

١ ـ باب يختص بما جاء فى ذلك على قالب شعرى أو قالب من النظم عامى .

٢ ـ وباب يختص بما جاء فى هذه اللغة وتلك مصبوبا فى قالب نثرى :

اللغز والأحجية فى الشعر العربى الفصيح :

الملاحظ فى هذا الباب نعنى ماجاء من لغز أو أحجية على لسان شاعر أن نجد هذا القالب الشعرى فيه إعمال فكرة وإعمال بديهة، وفيه أيضاً ألوان مختلفة من ألوان الاحتيال على الدخول إلى الغرض المنشود ، وهذا نهج من العسر بمكان لايلين لأى شاعر ولا يسهل على كل قائل : ولقد وجدنا على ألسنة شعراء لهم شأنهم ولهم خطرهم أبياتا فى هذا الغرض ، ولكن إذا قسناهم إلى ماقيل لهم فى أغراض أخرى نجدها قليلةقلة ملحوظة ، وهذا كما قلنا ، لتلك المعاناة الخاصة التى يتحملها الداخل إلى هذا الغرض، كما قد تكون هذه القلة من الألغاز التى وردت على ألسنة هؤلاء الفحول أصحاب القصائد الطويلة الكثيرة لها سبب آخر ينضاف إلى السبب الأول ، وهو الجهد الخاص والفطرة الخاصة والموهبة التى تتصف بالحيلة والخوض فى المعميات والدخول فيما يغمض .

وهذا السبب الآخر قد يكون فى نظرة هؤلاء الفحول إلى اللغز والأحجية على أنه عمل دون مايعملون ويبدعون فما من شك أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه من الفكاهة والدعابة ، وعلى قدر ميل هؤلاء الشعراء الفحول إلى الدعابة والفكاهة كان يصدر عنهم من أبيات فيها اللغز وفيها الأحجية فنظفر لأبى العلاء المعرى مثلا وهو الشاعر الفحل الفيلسوف الزاهد الجاد فى كل مايصدر أبياتا فى الإلغاز، وما نشك فى أن الدافع لأبى العلاء إلى نحو هذا كان عن سبب آخر ينضاف إلى السببين اللذين ذكرناهما ،فنحن نعرف أن أبا العلاء كان يميل إلى التعمية وإلى الإغراب وإلى سوق الألفاظ المحملة بأكثر من معنى ، وهذا السبب كان لاشك ، كما قلنا ، مما ساند السببين الأولين ومما دفع أبى العلاء إلى خوض هذا المضمار ، وعلى قدر مرتبة الجد من نفس أبى العلاء كانت مرتبة اللغز والأحجية ، إذ فرق بين أن يلغز شاعر وهو أميل مايكون إلى الهزل والعبث وبين أن يلغز شاعر وهو أميل إلى الجد والتزمت ، فتحس مع إلغاز الأول مرحاً وطربا ومزحا فيما يسوق ، على حين فى إلغاز الثانى جداً وصرامة وكداً فيما يسوق ، تحس ذلك فى قول أبى العلاء حين يلغز عن الملح فيقول :

وبيضاء من سر الملاح ملكتها
فلما قضت إربى حبوت بها صحبى

فباتوا بها مستمتعين ولم تـــزل
تحثهم بعد الطعام على الشرب

فأنت ترى معى أن البيت إلغازه فى استخدام ألفاظه لغة فهو لايحتاج منك إلى إعمال فكرة ترتاح آخر الأمر لبلوغ الغاية معها ، ولكنه يحتاج منك إلى بحث عن معانى تلك الألفاظ اللغوية وماتحتمل ، فأبى العلاء يريد هنا بكلمة سر : الخالصة ، ويريد بكلمة الملاح : كلمة ملح . وأنت بعد تعرف هذين المعنيين قد وقعت على اللغز فى يسر دون إعمال فكر ودون كدّ ذهنى ، كما قلت لك ، ثم أنت لن تحس بعد الكشف عن اللغز إلى تلك الراحة النفسية التى يحسها الماضون فى الكشف عن سر الإلغاز فى أبيات لشعراء فطرتهم المرح وديدنهم المزح ، ويقول أبو العلاء أيضا ملغزاً فى ركابى السرج :

خليلان نيطا فى جوانب مجلس
جداراه قدام له ووراء
متى يضع الرِّجليْن ماش عليهما
يزل عنه فى وشك حفاوحفاء

فهو يعنى بالمجلس : السرج ويعنى بجداراه : قربوسه ورادفته ، ويعنى بكلمة الحفا مقصورة : وجع الرجل ، ويعنى بكلمة الحفاء ممدودة : مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وهذا يؤكد ماسقناه قبل عن البيتين السابقين لأبى العلاء من أن الإلغاز يتشكل بطبيعة الملغز وميله واتجاهه ، فمن كانت طبيعته كطبيعة أبى العلاء تتصف بالتزمت والجد كان إلغازه من ذلك وكذا يضفى على الإلغاز مايملكه الملغز من ملكات أدبية أو نحوية أولغوية ، كما كانت الحال مع أبى العلاء .

ومثل هذا الشعر الملغز الذى يصدر على ألسنة شعراء ملغزين من هذه البابة أعنى بابة أبى العلاء يكون إلغازهم جافا لاإثارة فيه ولامتعة على العكس من الشعراء الملغزين الذين لم يكونوا من الفحول وإنما كانوا من الشعراء اللاهين العابثين ، ونكاد نرى شاعراً يلحق بأبى العلاء فى هذا المضمار وهو ابن الرومى ، ولكنه إذ كان ليس له عمق أبى العلاء بدا شعره الذى ألغز فيه أقرب إلى النفس وأخف على الروح ، يقول ابن الرومى فى فتيلة السراج :

ما حيـــة فى رأسها درة
تسبح فى بحر قليـــل المدى
إن غيبت كان العمى حاضراً
وإن بدت لاح طريق الهدى

فهذان البيتان لا شك يبدوان أقرب ما يكون إلى الفن الإلغازى ، نعنى الفن الفكه الذى يحتاج إلى إعمال فكرة من أبيات أبى العلاء ، ويجىء بعد ابن الرومى شاعر آخر يخطو إلى الفن الإلغازى خطوة أوسع وهو السرى الرفاء حيث يقول فى شبكة الصياد :

وكثيرة الأحداق إلا أنها
عمياء مالم تنغمس فى مـــــاء

وإذا هي انغمست أفادت ربها
ما لا ينال بأعين البصـــراء

وهكذا نرى أن الإلغاز فى الفصحى الذى جاء على ألسنة النحاة والفقهاء والمحدثين واللغويين وأضرابهم كان إلغازا خاصا أعنى أنه كان لفئات هؤلاء المختصين من نحاة ولغويين وفقهاء ومحدثين يستخدمون فيه علمهم الخاص الذى لا يقوى على فهمه عامة الشعب ، من أجل ذلك جاء إلغازا جامدا ليست فيه روح التسلية والتسرية التى خلق الإلغاز من أجلها فيما نرى ، لذا لم تكن هذه المرحلة من الإلغاز من المراحل التى سايرت فيها العامية الفصحى ، وحين خرج الإلغاز من يد هؤلاء المختصين إلى أيدى غيرهم من الشعراء أو الناثرين المتيسرين الذين يفهمون الإلغاز بروحه العامة التى فيها التسلية وإعمال الفكر وكدّ الخاطر والذى فيه فسحة للذهن يأخذ ويعطى ، حين وصل الإلغاز إلى أيدى هؤلاء وقالوا فيه جاءت تلك المرحلة الثانية التى شاركت فيها العامية الفصحى ، وكان كل ما جاء على ألسنة هؤلاء الشعراء من إلغاز جاء مثله أو قريب منه على ألسنة شعراء العامية وناثريهم .

ونحن يعنينا هنا فى هذا القسم وهو القسم الخاص باللغز فى الفصحى شعرا أن نسوق ما نستطيع أن نسوقه لشعراء مختلفين فى ألغاز مختلفة لنحصل من هذا على وسيلة للمقارنة بين الشعر الفصيح الملغز والنظم العامى الملغز ، أعنى بين اللغز فى الشعر الفصيح وبين الفزورة أو الحزورة فى النظم العامى ، وهاك ما حضرنى من ذلك وما استطعت جمعه لشعراء الفصحى القائلين فى أغراض عامة تتفق وأغراض القائلين فى العامية .

فى القلم :

أصم عن المنادى لا يجيب
به وتشتعـــل الخطوب

ضئيل الجسم «أعلم» ليس تخفى
عليه غيوب ما تخفى القلـــوب

تراه راجـــلا لا روح فيه
ويحييـــه وينطقـــه الركوب

يبين لســـانه ماكن ســـودا
معارفه ويخرســـه المشيب

يقسّم فى الورى بؤسى ونُعمى
ويحكم والقضـــاء لـــه مجيب

عجبت لسطوة فيـــه وضعف
وكل أمـــوره عجب عجيب

وفيه أيضا :

بصير بمايوحى إليه ومـــاله
لسان ولا قلب ولا هو سامع

كأن ضمير القلب باح بسره
إليه إذا ما حـــركتـــه الأصابع

وفيه أيضا :

فلا هو يمشى لا ولا هو مقعـد
وما أن له رأس ولا كف لامس

ولا هو حى ولا هو ميّت
ولكنه شخص يُرى فى المجالس

يزيد على سم الأفاعى لعـــابه
يدب دبيبا فى الدجى والحنادس

يفرق أوصالا بصمت يجيبه
وتغرى به الأوداج تحت القلانس

إذا ما رأته العين تحقّر شأنه
وهيهات يبدو النّفس عند الكرادس

وفيه أيضا :

ضئيــل الرواء كبير الغناء
من البحر فى المنصب الأخضر

عليه كهيئة مرّ الشجـــــا
ع فى دعص محنيـــة أعفر

إذا رأسه صح لم ينبـــعث
وحار السبيل ولم يُبـــصر

وان مدية صدعت رأســه
جرى جرْى لا هائب مقصر

يقضى لبـــانته مقبـــلا
ويحسمها هيئـــة المزبر

جرىء بكف فتى كفـــه
تسوق الثراء إلى المقتــــر

وفى الميزان :

أخـــوان هـــذا إن يحــز
مالا فهـــذا معـــدم

متـــلاصقـــان وربما
جلب التفرق درهــــم

ماذاك من بخـــل
ولكن الجميـــع مُبْتَرِسم

وفيه أيضا :

وقاض قد قضى فى الأرض عدلا
له كف وليس لـــه بنان

رأيت الناس قد قبلوا قضـــاه
ولا نطق لديه ولا بيـــان

وفيه أيضا :

ما واحد مختلف الأســماء
يعدل فى الأرض وفى السماء

يحـــكم بالقســط بلا رياء
أعمى يرى الرشاد كل رائى

أخرس لا من علة وداء
يغنى عن التصريح بالإيمـــاء

يجيب إن ناداه ذو امتراء
بالرفع والخفض عن النـــداء

يفصح إن علق فى الهـــواء

وفى البيضة :

ألا قل لأهل الرأى والعلم والأدب
وكل بصير بالأمور أخى أرب

ألا خبرونى أى شىء رأيتم
من الطير فى أرض الأعاجم والعرب

قديم حديث وهو باد وحاضر
يصاد بلا صيد وإن جُدّ فى الطلب

ويؤكل أحيانا طبيخا وتـــارة
قليا ومشويا إذا دُسّ فى اللهب
وليس له لحم وليس لـــه دم
وليس لـــه عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يـد
وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حى لا ولا هو ميت
ألا خبرونى إن هذا هـــو العجب

وفيها أيضا :

ومولودة لا روح فيها وأنهـــا
لتقبـــل نفخ الروح بعد ولادها
وتسمو على الأقران فى حومة الوغى
ولكن سموّا لم يكن بمـــرادها

وفى الخاتم :

وأبيض أما جسمه فمدوّر
نقى وأما رأســـــــــه فمُعار
ولم يكتسب الا لتسكن وسطه
مؤنثة لم تكس قط خمار
لها أخوات أربع هن مثلهـــا
ولكنها الصغرى وهن كبـــار

وفيه أيضا :

ومستدير تروق العين بهجته
كأنه فلك نجم الدجا فيـــــــه
حروفه أربع قد ركبت فاذا
ما قلت أول حرف تمّ باقيه

وفى اسم سعيد :

يبسم عن أول اسمه حبىّ
ثم بثانى حروفـــه يســـبى
ثم بحرفين لو بـــــدا بهمـــا
أسدى يدا ، صورةُ اسمها تُبنى
أربعة نصفها كجملتهـــــــــا
فى العـــدّ لم تنتقص ولم تُربى
هذا وفيه اسمُ يوم اتّفقت
مفاخرُ العُجْم فيـــــه والعُرْبِ
فأعمل الفـــكر فى تأمـــله
واركب به كل مركب صعبِ

فشبه السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسبى القلوب ، والحرفان يد وهى أربعة فى العدد وستة فى الصورة ، وإذا أخذت السين والعين فهى أربعة ، وهى جملة العدد وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللباس .

وفى عودى الغناء والبخور :

وما شيئان اسمهما ســــــواء
وأصلهما معا عنـــــد التساب
إذا حضراك بتّ قرير عـــين
بلا طعم يلذّ ولا شـــراب
وما أن يوجدان النفــــع إلا
بضرب أو بضرب من عـذاب

وفى الحرب :

ما ذات شوك لها جناح
يختطف النـــاس عن قريب

وهى عقيم ترى بنيهـــــا
من بين مُرْد وبين شيـــب
يأكل بعض البنين بعضـــا
طلوع شمس إلى غـــــروب
تصحيفهـــا الداء غير شك
قد يُحسم الداء بالطبيــــب
والداء معكوســـه مكان
يصلح للطـــائر النجيب
يعرفهـــا من يكون طبّـــا
بالشعر والنحـــو والغريب

وفى الأرنب :

لهوت بذات رأس ذى التيـــات
كرفع الإصبعين على الثلاث
إذا السبابة ارتفعت مع الخنـ
ـصر اجتمع الثلاث بلا انتكاث
لهوت بهـــا تطير بلا جناح
وتنسب فى الذكور وفى الإناث

وفى الفقاعة :

شغفت بداية لى أشتهيهـــا
وما فيهـــا عن الوصل امتناع
بباردة المجس وما اقشعرت
معصبـــة وليس بهـــا صداع
تمنـــع أو تحـــل ذوائبتاهـــا
ويحسر عن مفارقهـــا القناع

وفى المدية :

مأسورة أبـــــدع فى
تركيبهـــا أصحابهــــا
تركتهـــا الأيـــدى وفى
هـــاماتهـــا أذنابهـــا

ومن أحجية فى فص برخشانى :

أحاجيك أناجيـــــك
بمـــا يهجن فى صدرى
بمـــاء يجمد من خمر
وما يجمد من حمـــــر
وما يورد معنــــــاه
إذا قلت على أمرى
ونجم كاد ذو الحـــا
جة فى الليل به يســـرى
وحرف من حروف النصـ
ـب لولا خفـــة الظهر
أجب إن شئت بالنظم
وإن شئت فبـــالنثر

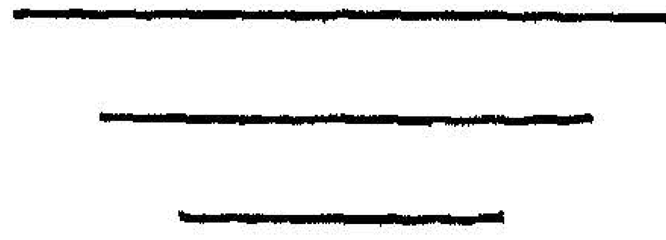
فهذا القسم الذى ينتظم شعرا من الفصحى فى الإلغاز ، كما نراه ، حسب ما عرضنا شطرين : شطر جاء فى أغراض خاصة وعلى ألسنة مختصين ، أعنى كما قلت من قبل ، تلك الأغراض التى تمثل الجانب الخاص من اللغة الذى لا يقوى عليه إلا المتخصص من نحوى أو فقيه أو محدث ، وقد اقتصرت من أمثلة هذا الجانب على القليل ، إذ هو جانب لا تساير فيه العامية الفصحى ، بل إن

العامية، كما ذكرت، لاتساير ولا تحاكى من ألوان القول إلا ما يشارك فيه العامة بعقولهم وأحاسيسهم ووجدانهم ، نرى ذلك فى كل مظاهر المحاكاة بين الفصحى والعامية ، ففى الأزجال مثلا التى جاءت تحاكى الشعر العربى وتسايره نراها لا تطرق الجوانب الممعنة فى التخصص والتى ترقى إلى مستوى المتخصصين بل هذه الأزجال لا تشارك الشعر إلا فى تلك المعانى التى يقوى عليها العامة وتتفتح لها أذهانهم ، فاذا ما بلغ الأمر مبلغ التخصص والارتقاء عن ذلك المستوى انفصلت العامية عن العربية ، إذ لو قدر للعامية أن تلتزم بتلك الخصوصيات لاندمجت فى الفصحى وكانت جزءا منها ولم تستقل عنها ، فاستقلال العامية عن الفصحى مبعثه ذلك التحلل من القيود الخاصة فلا هى تلتزم الإعراب . والإعراب قيد خاص يسمو ويرقى عن مستوى الحرية الشعبية فى التعبير ولا هى تلتزم الصرف: فالصرف قيد خاص يسمو ويرقى عن مستوى الحرية الشعبية فى الأداء ، فالعلة فى ظهور العامية هو ظهور التراخى الذى يرزقه من لم يرزق حظا من العلم ومن لم يؤت نصيبا من السعى وراء الأسمى والأرقى ، تلك كانت نشأة العامية، وكانت هذه النشأة بين الدهماء لأنهم أعجز الناس عن أن يفطنوا ويدركوا فإذا ماساند هذا فشو الأمية ووقوع الأمم فى ظل حاكمين أجانب وجدت العامية مرتعها الخصب ففشت وانتشرت ، وإذ كانت اللغة العربية من القوة بمكان فلم تقو العامية فى مراحل عنفوانها أن تأتى عليها، إذ أن القرآن الكريم فيما نعلم كان هو الحصن المنيع لبقاء العربية، وإذا ظلت العربية باقية بخصوصياتها والتزامها ، ولم تقو العامية على البطش بها هادنتها وأخذت تسايرها يحكى غرض غرضا ؛ وهذه المحاكاة لاتكون إلا فيما كان يشارك فيه العامة بأفهامهم وعقولهم ومداركهم، أما ماعز على العامة إدراكا وفهما وعقلا فلم تساير فيه العامية العربية ، وقد ضربنا مثلا لذلك بين الشعر والأزجال ، وقلنا إن الأزجال حين سايرت الشعر العربى لم تسايره فى خصوصياته بل سايرته فى عمومياته ، وكذلك الحال فيما نحن بصدده من فن الإلغاز والأحجية ، وإذ قلنا إن مسايرة العامية لا تكون فيما هو خصوصى بل فيما هو عمومى ، كذلك قسمنا شعر الإلغاز قسمين جعلنا القسم الأول منه ذلك الشعر الخصوصى ، وجعلنا القسم الثانى منه ذلك الشعر العمومى ، وإذا كانت مسايرة العامية للفصحى هنا فى هذه الناحية لا تمس الشعر

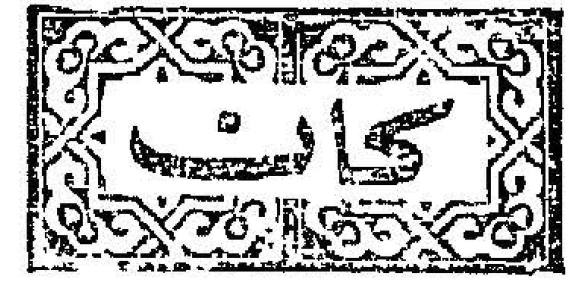
الخصوصى الملغز وإنما تمس الشعر العمومى الملغز ، لذلك كان ما عرضناه من أمثلة من الشعر الخصوصى قليلا إذ ليس له نفع فيما نعرض . ولقد أكثر ناشيئا من الشعر العمومى الملغز لأنه هو مناط المقارنة بينه وبين النظم العامى الذى جاء يحمل الفزورة أو الحزورة وقد رأيت أن هذا القسم الثانى من الشعر الملغز الذى سايرته العامية كله دون استثناء يسيرا على إدراك العامة وفهمهم وتكاد تكون عبارته وإن بدت عربية سليمة إلا أنها هى الأخرى ميسورة ، ثم تكاد النكتة فيه مما تحذقه نفوس العامة ، ولقد كان من الممكن أن نسوق جملة أكبر ولكننا اجتزأنا بهذا .

ورأينا خير تمهيد لعرض النظم العامى الذى يحمل الفزورة أو الحزورة ، والذى سيتضمنه القسم الثانى من هذا البحث .

محمد قنديل البقلى







آخر العهد بصدور الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب الثمين هو يناير سنة ١٩٥٦ ، حيث اشتمل الجزء الثاني على طائفة من أعلام الفكر والأدب العربي الراحلين منذ سنة ١٨٠٠ إلى سنة ١٩٥٥ م .

والحق أن الجزء الثاني ، على الرغم من ضخامة حجمه واشتماله على ٢٠٦ ترجمة ، قد اضطر مؤلفه إلى إغفال مائة ترجمة كان قد أعدها للنشر في ذلك الجزء الذي صدر من سبعة عشر عاما . ولكنه لم يزل منذ ذلك التاريخ يجمع المادة لكتاب — أو لجزء جديد — يدون فيه ما فاته ممن أسقط تراجمهم في الجزء الثاني ، ويضيف إليهم كل ما استجد من الأعلام الراحلين منذ أول القرن التاسع عشر إلى سنة ١٩٧٢ . وبهذا الصنيع الشامل أصبح الكتاب يغطي بتراجمه للوفيات من رجال الفكر والأدب والفنون حقبة من التاريخ تمتد من سنة ١٨٠٠ م إلى أخريات سنة ١٩٧٢

ولقد بذل المؤلف الفاضل — كعهده دائما — جهدا غير قليل في متابعة ما استحدث من وفيات الرجال حتى الوقت الذي كان كتابه تجمع حروفه في المطبعة ، حتى لا يكون متخلفا ولا مفوتا ولا مقصرا ، واستطاع بهذه المتابعة الواعية المتفتحة على أقطار العالم العربي في المشرق والمغرب ، وفي المهجرين الشمالي والجنوبي من العالم الجديد ، أن يزودنا في هذه الموسوعة الجليلة بوفيات حديثة جدا لأمثال المغفور لهم محمد فريد أبي حديد ، وفخري أبي السعود ، وأحمد زكي أبي شادي ، وجورج أبيض ، وأحمد فؤاد الأهواني ، وأحمد الأسكندري ، ومحمد الأسمر ، وصلاح الأسير ، وعلي أحمد باكثير ، والبدوي الملثم يعقوب العودات ، ومحمد أحمد جاد المولى ، وعلي الجارم ، وحسين والي ، وخالد الجرنوسي ، ومصطفى جواد ، ومحمد أمين حسونة ، وساطع الحصري ، ودريني خشبة ، وعادل زعيتر ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد الزين ، وسلامة موسى ، وسليم حسن ، وعبد الرزاق السنهوري ، وجمال الدين الشيال ، وطاهر الطناحي ، وعبد الحميد العبادي ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ،

ومحمد سعيد العريان ، ومحمد هاشم عطية ، وعباس محمود العقاد ، وعلى العنانى ، ومحمد صادق عنبر ، ومحمد شفيق غربال ، ومحمود غنيم ، وإسماعيل القبانى ، وكامل كيلانى ، وزكى المحاسنى ، ومحمود مصطفى ، وعلى مصطفى مشرفة ، وعبد القادر المغربى ، ومنصور فهمى ، وإبراهيم ناجى ، وعبد اللطيف النشار ، ومحمد الهراوى وغيرهم ممن انتقلوا إلى رحاب الله ، وتركوا فى تراث العرب الفكرى المعاصر والحديث آثارا طيبة .

وعلى الرغم من هذه المتابعة الواعية لرصد وفيات أعلام علمائنا وأدبائنا ومفكرينا العرب فى العصر الحديث ، فقد فاتت المؤلف بضع عشرات من أمثال الشيخ محمد المهدى زيكو ، والشيخ عبد الخالق عمر ، وأحمد العوامرى ، والشاعر عثمان زناتى ، والشيخ أحمد زناتى ، والشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، وخليل ثابت ، ومحمد أحمد الغمراوى ، وعبد الحليم النجار ، ومحمد على النجار ، ومحمد سعيد الخلصى الشاعر التونسى ، والشيخ محمود حسن زناتى ناشر كتاب « الفصول والغايات » للمعرى ، وعلام سلامة صاحب « معراج البيان » ، والأثرى حسن عبد الوهاب ، والأثرى يوسف أحمد حجة الخط العربى والفنون الإسلامية ، ومصطفى السقا وغيرهم ممن نرجو أن يهيئ الله المؤلف الفاضل ليضمهم إلى مجموعة الأدباء الأحياء التى يعتزم إصدارها تتمة لهذه الموسوعة الحافلة ، حتى تكون أدنى إلى الاستيعاب والوفاء بأسماء الأعلام على قدر الإمكان .

والحق أنه فى مثل هذا النوع من كتب التراجم والوفيات والطبقات تتلاحق الأحداث وتستحدث الأمور بما قد لا يمكن معه المتابعة مهما حرص عليها المؤلف . ففى ترجمته للشيخ الخطيب اللغوى الشاعر « إبراهيم المنذر » عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، والمتوفى سنة ١٩٥٠ ، يذكر فى ص ١٢٩١ أن له (ديوان شعر فى جزءين بعنوان : ديوان المنذر سيصدر الأول منهما قريبا على ما بلغنا من أخباره) . ولم تلبث الأيام أن أظهرت لنا الجزء الأول والكتاب فى المطبعة ... فلم يستطع المؤلف أن يذكر لنا شيئا عنه أو عن تاريخ طبعه كما عودنا أن يفعل مع من يترجم لهم عادة .

وبهذه المناسبة نجيز للنفس أن نعرج قليلا على شعر الشيخ إبراهيم المنذر ، الذى كان فلتة من فلتات الدهر ، والذى تجلت فيه العبقرية العربية بأجلى مظاهرها . فقد كان الرجل كلفا بأمجاد أمته ، ولغته الشريفة ، مغرما بالخلق العربى الرفيع . وما أصدقه وهو يقول منوها باللغة الفصحى :

لعينيك يا أخت الكواكب فى السما
فدى كل من صلى ، و صام ، وسلما

لعينيك أبناء العروبة أيـــنما
أقاموا ، وما كانوا على الضيم نوماً

لعينيك شرق العرب طرا ، ولم يكن
قديما مسيحيا ، ولا كان مسلما

لك الله ياأم اللغات ، فأننـــى
أحبك حبا يملأ القلب والفما

وأهوى لسان العرب ؛ والفتية الألى
أحبوا لسان العرب حبا متيما

ولقد قال الشيخ المنذر الشعر الرصين المشرق الديباجة فى كل غرض كريم ، حتى فى الطبيعة وهو يلجأ إليها ليجد فيها الأنس والراحة ، ولنسمعه وهو يقول فى صفة الربيع :

هو ذا الماء فى الجداول يحكى
لمعان الندى ، وصفو الدموع

والنسيم العليل عند انبثاق الفجر
يُحيي النفوس بعد الهجوع

وهزار الرياض يشدو فيشفى
بأغانيه لوعـــة المفجـــوع

والفراشات فيه زرقا وبيضا
كصفوف من أنجم وشمـــوع

يتمصصن الأزهار مبتلّة من
شفــة النهر أو فم الينبــــوع

كل هذا يريك قدرة بارى الخلق
فاخشع لله كل الخشـــوع ...

لم يحاول الأستاذ داغر أن يقصر كتابه الضخم على عدد معين من دعائم النهضة العربية ورجالها البارزين ، ورأى بعين المنصف المقدر أن يدخل مع هذا الفريق الرائد كل من أسهم بجهد مشكور فى بناء هذه النهضة العربية الحديثة . ولهذا لم يجعل كتابه وقفا على القمم الشوامخ ، أو قاصرا على الأعلام البارزين ، بل جعله يتسع لكل من له فى النهضة أثر ولو قليل ، وأن شئت فقل أنه أراد أن يجعل كتابه صورة صادقة للعصر الحديث كله ، بما فيه من قمم وسفوح ، وبما فيه من مصلّين ومجلين ، وآتين فى آخر الحلبة ، وما فى ذلك بأس ولا فيه من غض لقيمة الرواد العباقرة ، أو نقص لأقدارهم ، فأن تسجيل الآثار لا يجوز أن يطغى فيه متقدم على متأخر ، أو يجور فيه أول على أخير . وما أصدق مؤلفنا وهو يقول فى هذا الصدد بنص عبارته : (بين هؤلاء الأدباء والمفكرين ، بالفعل ، من هم من دعائم النهضة الحديثة ، ومن روادها البارزين ، بينما انحصرت شهرة فريق منهم فى حيز ضيق ، أو نطاق محلى ، بالرغم من الإجادة التى بلغوها ، والإبداع الذى تميزوا به ، وبينهم فريق رفعه إلى هذا المصاف أوهام الناس المبنية على دعايات مغرضة ، لم نتمكن من الكشف عنها لبعدها عنا فى الزمان والمكان ، أو لضآلة

المراجع التي اعتمدناها . فعلى النقد الموضوعي أن يعيد تقييمهم على أسس علمية جديدة) صفحة ف من المقدمة .

وبمناسبة الحديث عن المراجع التي اعتمد المؤلف عليها في التعريف بهذا العدد الضخم من المترجم لهم ، فأنه — في الحق — لم يدع مرجعا أو مصدرا يُسعفه في قطر عربي أو مهجري إلا رجع إليه ، واعتمد عليه ، وأن كان قد فاتته من ذلك حفنة من الكتب المحلية الموزعة في أقطار العالم العربي ، والتي لم يستطع أن يصل إليها جُهده ، كما فاتته حفنة من المجلات العربية التي كانت ستزوده بأكثر مما حصل عليه من مادة . وإلا فأين مجلة « مجمع اللغة العربية بمصر » التي لم يذكرها في كتب مراجعه ، والتي يبدو أنه لم يطلع عليها ، ولم يسمع بها !! وأين مجلة « الفكر المعاصر » المصرية ، ومجلة « الكتاب العربي » المصرية التي أغفلها ، مع ذكره لمجلة « العرب » التي يصدرها ويرأس تحريرها الأستاذ البحاثة الجليل حمد الجاسر ، ومجلة « العربي » التي تصدر عن وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، ويرأس تحريرها الأستاذ العالم الدكتور أحمد زكي ؟ وهاتان لا تقلان عن هاتين ...

ويضم الجزء الثالث من هذه الموسوعة الضخمة بقسميه : الأول والثاني ، نحوا من ٥٤٠ ترجمة ، منها المائة ترجمة التي أسقطها — أو اضطر إلى أسقاطها — من الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي صدر سنة ١٩٥٦ ، وقد أضاف إليها اليوم نحوا من ٣٥٠ ترجمة ، وهو عدد مبارك ضخم كان في استطاعة المؤلف أن يضم إليه أو يزيد عليه ، لولا أنه لم يشأ أن يجعل الكتاب ميدانا واسعا يدخله كل داخل بغير حساب ، فضيق في الجمع ولم يوسع بغير حساب .

ويمثل هذا الكتاب معرضا للفكر العربي المعاصر والحديث من الخليج إلى المحيط ، وما وراء اللجج الخضر للمحيط ، حتى يصل إلى العالم الجديد . وهكذا تجد فيه الأردني ، والتونسي ، والجزائري ، والسعودي ، والسوري ، والسوداني ، والعراقي ، والعماني ، والفلسطيني ، والكويتي ، واللبناني ، والليبي ، والمصري ، والمغربي ، والمهجري .

ولقد تسلل إلى أبواب هذا المعرض الرحيب بعض أخواننا الأعاجم ممن كان لهم نشاط في حركات الفكر الإسلامي العربي ، كالشيخ شبلي النعمان المتوفى سنة ١٩١٤ ، والذي كان راصدا لجرجي زيدان ، والأسكندري ، والأب اويس شيخو اليسوعي ، ينقد آثارهم ، ويعقب على إنتاجهم ، وهو من كبار علماء المسلمين في الهند . وكالشيخ محمد حسن الشيرازي من علماء إيران ، والمتوفى سنة ١٨٩٤ م ، وهو الذي استعان به السيد جمال الدين الأفغاني في بعض قضاياه الإصلاحية . ولعل الذي شفع للشيخ الشيرازي بهذا التسلل أنه لجأ إلى العراق فأقام فيه معلما ومصلحا ، وظل بقية حياته بسامراء إلى أن توفي فيها ، فحمل نعشه إلى النجف ليدفن في ثراه ...

وليس هذا الاستثناء هو الوحيد في هذه الموسوعة . فأن زمان هذا المعرض الفكري

للنهضة العربية الحديثة قد حدده المؤلف تصريحا من بداية القرن التاسع عشر ، أى من سنة ١٨٠٠ م ، ولكنه أباح لنفسه أن يُدخل فيه واحداً - وواحدا لا غير - من رجال القرن الثامن عشر ، وهو المطران جرمانوس فرحات الذى توفى سنة ١٧٣٥ وبالطبع لم يكن له محل فى الترجمة له ، والتعريف به فى هذا الكتاب الذى حدد المؤلف معالم زمانه ، ولكنه يقول عنه فى المقدمة : (فهو - وإن توفى سنة ١٧٣٥ م من مؤسسى النهضة الأدبية ، وزارعى بذورها ، ومن كبار روادها . ولذا لم يكن بد من ذكره ، وخصه بترجمة إضافية بين هذه التراجم التى عقدناها لهذا الرهط الكريم من كبار الأدباء والمفكرين العرب ، وإن ندّ عن الحقيقة التاريخية). وهل نستطيع - بعد هذا الاعتراف الواضح ، والتعليل له - أن نلوم المؤلف الفاضل على هذا الاستثناء الذى أبدى له من جميل العذر ما جعله مقبولا غير مردود ؟ :

***

وإذا كان المؤلف الفاضل قد أعلن فى غير موضع منهجه فى التعريف بالمترجم لهم ، فأن ضخامة الكتاب كانت تجنح به إلى العدول والتعديل ... أما الخطة العامة للمنهج فباقية فيما يتصل بالعنصر الأول منها ، وهو : هُويّة المترجم له ، أى : من هو ؟ والعنصر الثانى ، وهو ذكر مؤلفاته وتناولها بالوصف البيليوجرافى الكامل - وإن كان ذلك لم يتم على مدار الكتاب كله - والعنصر الثالث ، وهو خاص بذكر المصادر والمراجع عن المترجم لهم ، سواء أكانت هذه المصادر كتبا خاصة بالشخصية المترجم لها ، أم كتبا عامة تناولتها بالبحث فى فصل من فصولها أو فى موضع منها ، أم مقالات فى المجلات العربية :

ولنأخذ على سبيل التمثيل للنقص فى الوصف البيليوجرافى الكامل للمترجم لهم ، مثالا واحدا فى ترجمة الشيخ حسين والى عضو مجمع اللغة العربية بمصر ، فقد ذكر من مؤلفاته : (الموجز فى علم أدب البحث والمناظرة) هكذا بدون وصف ببليوجرافى ، وكذلك فعل فى كتبه : (كتاب الاشتقاق) و (القصدة النومية) و(تاريخ آداب اللغة العربية) فأين ذكر الناشر ، ومكان النشر وتاريخه ، وعدد الصفحات ، وتعدد الطبعات للأثر الواحد وغير ذلك مما أسرف به المؤلف الوعد فى المقدمة ، وزعم أنه جرى فى الكتاب عليه ؟ ولم ينصف المؤلف من مؤلفات المرحوم الشيخ حسين والى إلا كتاب (التوحيد - مصر ، ١٩٠٩ ، فى علم الكلام) وكتاب (الإملاء الكبير - مصر ١٩٠٥ - نقده فى المقتطف ، ٣٠ (١٩٠٥) : ٤٠٨ ، ٥٥٩) ، وكتاب (تمرين الإملاء - فى الخلق والأدب واللغة والإنشاء - مصر ، ١٣٢٩) ، وهو إنصاف - كما ترى - لا يرتفع إلى المستوى الذى وعدنا به المؤلف فى صدر الكتاب .

أما المؤلفات المخطوطة التى تركها الشخص المترجم له ولم يُقدَّر لها الطبع بعد وفاته، فقد جهد الأستاذ داغر جهده ليدونها ، وأغلب الظن أنه حرص على أن لا يفوته

منها شيء ... ولكنها عمل شاق مضن . وإنى لأعجب من مؤلفينا الأوائل كيف استطاعوا أن ينهضوا بذلك العبء مع بعد الشقة بين قطر عربي وقطر آخر، ومع طول الطريق ، وقلة وسائل الاتصال، فلا مسرّة ولا برقيات ، ولا سيارات ، ولا قطارات ولا مواخر ، ولا طيارات . كما فى زماننا هذا ... ألا يرحم الله رجالنا من أمثال ابن خلكان فى الوفيات، والباخرزى فى الدمية ، والعماد فى الخريدة ، وياقوت الحموى فى معجم الأدباء ، وحاجى خليفة فى كشف الظنون .

لقد استطاع الأستاذ داغر أن يزودنا فى ترجمته للشاعر العراقى مفتى الموصل السيد « محمد حبيب العبيدى » بثبت لمؤلفاته المطبوعة ، رجع فيه فى الأغلب الأعم إلى (معجم المؤلفين العراقيين) لكوركيس عواد ، ولروفائيل بطى ، ولغالب الناهى ، ولمير بصرى ، ولكن فاته ثبت آخر من مخطوطات هذا الشاعر العالم الكبير أفدناه من بحث للأستاذ « عبد الرزاق الهلالى » بمجلة الأديب البيروتية ، وقد رجع فيه إلى ما أفاده به الأستاذ « حازم المفتى » الذى كان مصدراً من مصادر الترجمة الجليلة التى كتبها الأستاذ الهلالى عن الشاعر المفتى محمد حبيب العبيدى فى مجلة «الأديب » . ولعل من المناسب أن نذكر هنا أسماء هذه المخطوطات وهى : ١ – شفاء الغليل فى رحلة وادى النيل .

٢ – على مسرح الدهر ما رأيت ؟ وهى ملحمة تاريخية تعتبر من أروع ما نظم ، وتبلغ زهاء ألف بيت ، ومطلعها :

خلنى بالله من رجم الظنون
ومن الحمقى ومما يعرفون

٣ – المجادلات السياسية وأسباب الفشل الأساسية .

٤ – إيقاظ الوسنان فى حياة الأنسان .

٥ – حكم الشعب بين الديمقراطية والدكتاتورية .

٦ – مقالات وخطب سياسية ودينية واجتماعية .

٧ – الجرائم الثلاثة .

٨ – رسائل العبيدى « جزءان » .

أما المصادر والمراجع عن الشخصية المترجم لها ، فقد جهد المؤلف فى تدوينها ، ولكنه – مع تشعب الشخصيات ، وتعدد الدراسات ، وقلة الوسائل، وبعد التناول لم يستطع أن يوفيها حقها من الذكر ، فقد تفضل المؤلف – جزاه الله خيراً – فذكر مقالاتى ودراساتى فى المجلات العربية عن الأدباء الذين ترجم لهم ، وكتبتُ أنا عنهم ، ولكنه أغفل بعض دراساتى فى المجلات عن بعض هؤلاء الراحلين . وكذلك أغفل مقالات كثيرة لباحثين كثيرين . . . وما كنت أرجو من وراء هذه الملحوظة أن أشق عليه

بمزيد من التتبع ، لولا أننى أعلم مكانه فى البيليوغرافى والتوثيق العلمى ، وأعلم أنه يقدر من ذلك على ما لايقدر عليه غيره فى بلد عربى آخر ، فهو فرد فى هذا الموضوع .

أما طريقة كتابة الأعلام فى هذا الكتاب فلم يجر المؤلف فيها على منهج واحد ، ولا على سنن واضح . ولو أنه سار على خطة واحدة لقبلناها ورضينا بها ، ولكن الاضطراب فى الطريقة يبلبل الذهن ، ويضل الباحث ضلالا كبيراً . فقد جرى على الطريقة الأجنبية المتبعة فى لبنان اليوم ، وهى إيراد اسم الأسرة أو الجد قبل اسم المترجم له . فالأستاذ محمد مسعود يأتى تحت : مسعود ، محمد ؛ والدكتور محمد مندور يأتى تحت مندور ؛ والشيخ عبد الوهاب النجار يقع تحت : النجار ، عبد الوهاب ؛ والصحافى السياسى أحمد وفيق يأتى تحت : وفيق أحمد ؛ والصحافى أحمد حافظ عوض يأتى تحت اسم : عوض ، أحمد حافظ . ومن هنا تقع الأعلام فى غير مواطنها الأبجدية الواجبة المألوفة . فأحمد وفيق يقع فى حرف الواو ، وأحمد حافظ عوض يقع فى حرف العين ، وعبد الوهاب النجار يقع فى حرف النون لا العين وهكذا .

ولو أنه سار فى هذا النهج على طريق واحد ماكان لنا اعتراض عليه مادمنا عرفنا منهجه ، وعلمنا خطته . ولكنه يضع اسم على مبارك باشا على طريقتنا — أى فى حرف العين بتقديم « على » على « مبارك » ، ويضع اسم الدكتور على الناصر على طريقتنا ، ويضع اسم عمر اليافى على طريقتنا ، ويضع اسم على الغاياتى على طريقتنا ، ويضع اسم محب الدين الخطيب على طريقتنا ، وكذلك فعل فى أسماء محمد الأسمر ، ومحمد عوض إبراهيم ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد البشير الإبراهيمى ، ومصطفى نجيب ، ومعاوية محمد نور ، ومنصور فهمى . وبهذا الوضع الذى يجرى على الوضع السائد فى البلاد العربية كلها يخالف طريقته التى جرى عليها فى الأكثر الأغلب من كتابه . وبذا اختلف المنهج وطريقة كتابة الأعلام فى كتاب واحد . . .

ولعل هذا الخلط فى طريقة كتابة الأعلام هو الذى قاده إلى الخلط مثلا فى كتابة اسم الأديب المصرى الرائد : حسين أحمد المرصفى ، فقد كتبه — على طريقته — هكذا : المرصفى أحمد حسين ، مما يوهم أن اسمه هو : أحمد ، واسم أبيه : حسين ، مع أن العكس هو الصحيح ! !

وقد يخلط الأستاذ الفاضل بين اسم أحمد ومحمد ، ففى ص ١٥٥ يجعل اسم (أحمد خيرى سعيد) (محمد خيرى سعيد) ، ثم يعود فى ذيل ص ١١٥٥ فيعيده صحيحا على خلاف ماورد فى العنوان . كما يخلط بين اسم محمد ومحمود ، ففى ص ١١١١ يحيل اسم القاص المصرى محمود طاهر لاشين إلى : محمد طاهر لاشين ، وكذلك يعيده خطأ فى ص ١١٥٥ .

وفى بعض الأحيان يدخل (ال) التعريف على بعض الأسماء بلا مبرر ودون أن يكون ذلك واردا عليها فى أصل تسميتها ، كما فعل فى اسم المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش حيث يجعله : عبد العزيز الجاويش ، وإن كان أورده صحيحاً فى الجزء الثانى الصادر سنة ١٩٥٦ .

أما تحريفات الطبع فى الأعلام فقد وقع منها حفنة قليلة على مدار الكتاب كله ، فحسين فوزى يحرف إلى حنين ، ومحمد مسعود يحرف إلى محمد سعود ، وهكذا...

وما أكثر مايتصرف الأستاذ داغر فى الاسم الواحد إلى جملة صور ، بدلا من الثبات على شكل واحد وصورة واحدة لايتعداها ، فاسم الأستاذ عبد الله يوركى حلاق ، يرد تارة عبد الله حلاق ، وتارة عبد الله يوركى ، وثالثة يوركى حلاق . . . واسم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى يرد تارة عبد المنعم خفاجى ، وثانية عبد المنعم خفاجة ، وثالثة محمد عبد المنعم خفاجى ، ورابعة يورده هكذا : محمد عبد المنعم خفاجة ، كما فى ص ١٠٠٩[1] !! .

ولعل هذا الخطأ المطبعى الوارد فى بعض الأعلام تغفر له حفنات أخرى من الأخطاء المطبعية الواردة فى الكتاب كله ، كما فى ص ٩٩٢، حيث ورد اسم فهد العسكرى ، وصوابه : العسكر بدون ياء ؛ وكما فى ص ١٣٩٨ حيث ورد : المصحف المقسم — لفريد وجدى ، وصوابه : المفسر ؛ وكما فى ص ١٤٠١ حيث ورد تاريخ ١٩٣٦ ، وصوابه ١٨٣٦ ؛ وكما فى ص ١٠١٢ حيث ورد فى المراجع : معجم المؤلفين ، مجلد ٩ ص ٢٧٧ ، وصحته : ٢٨٧ ؛ وكما ورد فى ص ١١١٢ اسم كتاب (سخرية الناس) وصوابه : سخرية الناى ؛ وكما ورد فى ص ١٣٤٠ اسم (أبى حيات الأندلسى) وصوابه : أبى حيان ؛ وكما ورد فى ص ١٣٧٩ اسم بلدة (السنبلاوى) ، وصوابها : السنبلاوين ؛ وكما ورد فى ص ١٤٩٠ اسم محمد الخفيف ، وصوابه : محمود الخفيف ؛ وكما ورد فى ص١٤٩٦ اسم رواية (سجين زلدا) باللام ، وصوابها : زندا بالنون ... !

بقيت بعد هذا عدة من المآخذ والملاحظات نجد من تصحيح الوضع أن نشير إليها ، أو نصحح مافيها من وهم ، لاحبا منا فى التشهير وتكثير الأخطاء ، فأنا — والحمدلله — أبعد ما نكون عن ذلك ، ولكن حرصا على إحقاق الحق ، وتصحيح الوهم ، وإشاعة الصواب . وهانحن أولاء موردوها على ترتيب الصفحات :

* فى صفحة ٧٥٦ — ورد اسم المؤرخ المصرى عبدالحميد العبادى هكذا : عبدالحليم ، وهو خطأ ، وكذلك ورد فى ص ١٦٠١ :

* فى صفحة ٨٧١ ، السطر الأخير ، ورد

(١) وقد جاء محرفا فى موضع آخر هكذا : محمد عبد الغنى خفاجى !

كتاب (مصر الأسلامية وتاريخ الخطط) منسوبا إلى الأستاذ زكى محمد مجاهد صاحب كتاب (الأعلام الشرقية) ؛ وليس هو له ، وإنما مؤلفه الأستاذ محمد عبد الله عنان ، كما جاء فى ص ٨٧٢ .

* صفحة ٩٠٦ — السطر الخامس عشر ، وردت العبارة الآتية : (وأتيح للغاياتى أن يشهد ثورة ٢٢ يونيو فى بلاده . . .) وهى خطأ صوابه : ثورة ٢٣ يوليو .

* صفحة ٩٢٠ — السطر الأخير ذكر من مراجع ومصادر الشيخ كامل الغزى : مجلة المجمع . بدون تخصيص لأى المجامع العربية .

* صفحة ٩٣٣ — السطر الأخير ، ذكر المؤلف أن الدكتور بشر فارس (سافر إلى باريس حيث نال الدكتوراه ، وعاد إلى الجامعة المصرية أستاذاً) وهذا وهم لم يفطن له المؤلف ، فالذى نعلمه أن الدكتور بشر فارس لم يعين فى الجامعة المصرية ، ولم يكن أستاذاً فيها ، وإنما كان عضواً وكاتم سر للمجمع العلمى المصرى .

* صفحة ٩٦٨ — السطر الثالث عشر — جاء أن المرحوم محمد فريد أبوحديد كتب فى « السياسة الأسبوعية » ، وفى « الرسالة » ، والاقتصار على هاتين المجلتين لا يصور الحقيقة كاملة ، فقد كان رحمه الله يكتب فى مجلة « الثقافة » بوصفه عضواً فى لجنة التأليف والترجمة والنشر . كما فات المؤلف أن يذكر أن الأستاذ أباحديد كان عضواً فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

* صفحة ٩٨٨ — السطر السادس عشر — جاء أن كتاب « محمود حمدى الفلكى » الذى ألفه أحمد سعيد الدمرداش صدر فى (سلسلة أعلام الأسلام) ، والصواب أنه صدر فى (سلسلة أعلام العرب) التى تصدرها الآن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » .

* صفحة ١٠١٠ — السطر الثالث — ذكر أن شمس الدين قاوقجى ، العالم الفقيه الخطيب سند بلاد الشام فى عصره توفى سنة ١٩٠٥ م ، وهو خطأ ، والصواب أنه توفى سنة ١٨٨٨ م كما فى « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ، جزء ٨ ص ٢١٢ ، وجزء ٩ ص ٢٨٧ . واسم هذا العالم المحدث محمد بن خليل بن إبراهيم الحسنى الطرابلسى ، ولقبه شمس الدين ، وكنيته أبوالمحاسن .

* صفحة ١٠٥٤ — السطران التاسع والعاشر ، جاء أن كتاب « قرية ظالمة » وكتاب « متنوعات » هما للأديب الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصرى بجامعة القاهرة ، والمتخصص فى الدراسات الفاطمية وعقائد الأسماعيلية . وهما ليسا له على الأطلاق ، بل هما من تأليف الأستاذ الطبيب الجراح الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية بمصر — مد الله فى عمره ،

وقد جاءت الشبهة فى نسبة الكتابين من ناحية تشابه الاسمين تشابها تاما :

* صفحة ١١٤٣ – السطر السابع ، جاء فى التعريف بالمرحوم الأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية أنه تخرج فى دار العلوم سنة ١٩١٢ ، وهذا صواب ، وإن كان يتعارض مع ماذكر فى رأس الترجمة له بأنه ولد سنة ١٨٩٩ ، وليس هذا بمعقول ، لأنه يعنى أنه تخرج فى دار العلوم وسنه ثلاثة عشر عاما . فالوهم هنا فى تاريخ الميلاد . .

* صفحة ١١٥٩ – السطر الرابع – ذكر كتاب (من حديث الشرق والغرب) للمرحوم الدكتور محمد عوض محمد ، ولم يشر إلى النقد الذى نشره محمد عبد الغنى حسن لهذا الكتاب فى مجلة المقتطف سنة ١٩٣٧ . وقد كان المؤلف الفاضل الأستاذ يوسف أسعد داغر حريصاً على أن يلشر نقد مؤلفات المترجم لهم فى كتابه ، ولكنه لم يلتزم بهذا المنهج دائما ، لما فيه من توسع ينتهى إلى التضبييق ، فإن الإحاطة بذلك مطلب لا يسهل تحقيقه .

* صفحة ١١٧٤ – السطر الثالث – جاء فى التعريف بالدكتور يوسف مراد ، أنه اختصاصى بالفلسفة وعلم النفس . وهذا حكم ينقصه الدقة ، فالدكتور يوسف مراد كان من المختصين بدراسات علم النفس ، تشهد بذلك كتبه ومنها : (شفاء النفس) و(سيكولوجية الجنس) و(مبادئ علم النفس) و(دراسات فى التكامل النفسى) : ولم يعلم عنه تخصص فى الفلسفة :

* صفحة ١٢٨٣ – السطر الأخير ، ورد البيت الآتى من شعر السيدة الشاعرة سلمى الملائكة ، أم الشاعرة نازك الملائكة هكذا :

ورجحان فى عقلها لايضاهى
وسمو فى قولهـا والفعال

وهو مكسور ويستقيم وزنه بوضع كلمة رجوح ، بدلا من رجحان ، فيصير هكذا :

ورجوح فى عقلها لا يضاهى
وسمو فى قولهـا والفعال

* صفحة ١٢٩٧ – السطر الثانى . ورد اسم كتاب للدكتور منصور فهمى هكذا : (خطرات النفس) ، وصوابه : (خطرات نفس) ، وهو من مطبوعات دار المعارف سنة ١٩٣٠ ، وكان من حظى أن أستقبله – فى مطلع شبابى – بأبيات شعرية نشرتها صحيفة الأهرام فى ذلك الحين .

* صفحة ١٣٧٤ – السطر السادس . جاء فى التعريف بالشاعر المصرى محمد الهراوى صاحب « سمير الأطفال » ، ورائد الشعر السهل الخاص بأدب الطفولة ، أنه عين مديراً لدار الكتب المصرية . والذى نعلمه علم اليقين أن المرحوم الهراوى لم يكن فى يوم من أيام حياته مديراً لدار الكتب المصرية ،

وإنما كان مديراً لإحدى الإدارات فيها ، وشتان بين الوضعين . ولقد جاءت تواريخ ميلاد الهراوى ووفاته فى رأس ترجمته مضطربة بالتاريخين الهجرى والميلادى ، مما يقتضى التصحيح والانتباه من القارئ الكريم .

* صفحة ١٣٩٨ — السطر الثالث عشر .

جاء اسم « المصحف المفسر » للمرحوم محمد فريد وجدى هكذا : (المصحف المقسم) ، ولامجال هنا ولا محل للتقسيم . وإنما هو التفسير . على أن المصحف المفسر لمحمد فريد وجدى بين أيدينا وهو معروف ومشهور ، ولعل ذلك من أوهام الطبع وتحريفاته .

* صفحة ١٤٩٦ — السطر الخامس ، جاء فى الترجمة لعادل الغضبان أن من مؤلفاته (مجلة الكتاب الشهرية) . وهذا تساهل فى التعبير تنتفى معه الدقة الواجبة . فإن المجلة أو الصحيفة التى يصدرها المرء ليست من مؤلفاته ، ولكنها من أعماله وثمار جهوده .

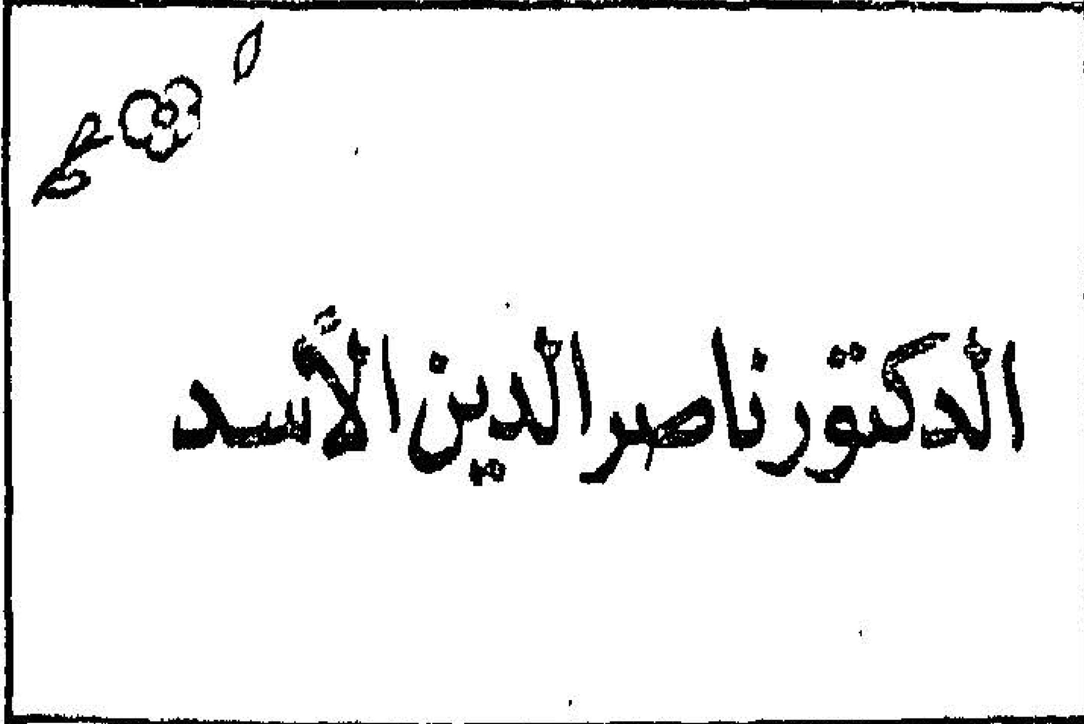
هذا على أن مجلة الكتاب هذه لم تكن من أعمال عادل الغضبان ، ولكنها من منشآت دار المعارف التى عهدت إلى الشاعر المترجم له برياسة تحريرها .

وبعد ! فإنا نرجو من الأستاذ الوثائقى الفاضل يوسف أسعد داغر أن لايضيق بهذه الملاحظات التى لاتنقص مقدار ذرة من جهده العظيم الذى أسدى به إلى المكتبة العربية كتابا نعده مرجعاً لاغنى عنه للتعريف بحركة الأدب والفكر والفن فى العالم العربى الحديث . ونسأل الله أن يمد فى عمره ، لينجز ماوعد به من إكمال هذه المجموعة بنشر سلسلة تتناول التعريف بالأدباء والمؤلفين الأحياء البارزين فى العالم العربى اليوم . فليس من السهل أن نجد باحثا منقبا دءوبا منظما مثل الأستاذ داغر ، ليجزئ فى هذا المقام الذى تندر فيه الأقلام . . . ويقل فيه الزحام .

محمد عبد الغنى حسن

في الساعة الخامسة من مساء الخميس ١٢ من المحرم سنة ١٣٩٣ هـ (الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٣ م) اقام المجمع حفل استقبال الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع الجديد من الأردن . وفيما يلي ما ألقي في الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور عبد الرزاق محيي الدين في استقبال :



● الدكتور عبد الرزاق محيي الدين :

باسم الله نفتتح الجلسة التي نستقبل فيها الأستاذ الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد ، وكان من أعز أماني أن أشهد هذا اليوم ، ولعل جميع العارفين بفضل الرجل كانوا يتطلعون في شوق إلى هذا اليوم . والدكتور ناصر وإن كان أردني مكان الولادة إلا أنه عربي منسوب إلى الأمة العربية على اتساعها أوطانا لا نسبة دم فحسب ، بل ونسبة ثقافة وأدب ، وله في البلاد العربيـة جهاد وطني وأساتذة وطلاب ، ومعارف وقراء ، وله قبل كل شيء هذه النخبة الصالحة من المصريين : أساتذة وطلابا .

باسم المجمع — مجمع اللغة العربية — أتقدم بتحية الزميل الكريم ، وأتشرف بتقديمه في هذه المناسبة ، والكلمة الآن للزميل الدكتور محمد مهدي علام .

كلمة الدكتور محمد مهدى علام ...

سيدي الرئيس ، سيداتي ، سادتي :

هذا يوم مشهود من أيام مجمعنا الموقر ، يوم يسعد فيه باستقبال عضو جديد يضم إلى كفاياته اللغوية والأدبية كفاية ممتازة ، ذات تاريخ وثيق في ميادين اللغة والأدب والثقافة ، وكل ما يتصل بالفكر العربي الرفيع .

وإذا كان الممتازون من رجال العلم والفكر يتطلعون إلى شرف العضوية في المجامع العلمية ، فإن هذه المجامع تتطلع كذلك إلى هؤلاء الأعلام لتملأ بهم ما يخلو فيها من الكراسي ، ليحل عالم جليل محل عالم جليل ، ولتظل الشعلة وهاجة تضيء السبيل أمام الأمة التي تنشئ هذه المجامع العلمية .

ومجمعنا هذا حريص على اختيار الأعلام الثقات الذين تتمثل فيهم أهدافه فى خدمة اللغة العربية وأدبها على أعلى مستوى . وفى سبيل ذلك يختار من صفوة أعلام البلاد العربية من يمثلون بلادهم ليكونوا مع زملائهم المصريين سدنة لهذه الكعبة العربية ، وحماة لهذا المعقل الحصين .

واليوم يشرفنى المجمع أن أنوب عنه فى عمل يسعدنى أن أقوم به لصديق كريم : أن أستقبل باسمه الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد .

ومهما يكن العضو الجديد الذى نستقبله معروفا لنا ولغيرنا ، فقد قضت التقاليد المجمعية أن يذكر مستقبِلُه شيئا عن حياته العلمية . ولولا ذلك لكان الدكتور ناصر الدين الأسد فى غنى عن أن أقول عنه أكثر من قولى : مرحبا بك أيها الزميل الجديد فى حرم المجمع عضوا نعتز بزمالته .

ولكننى متابعةً لهذه التقاليد، أقدم زميلنا الجديد بأنه من مواليد العقبة فى الأردن فى الرابع عشر من شهر ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٢ .

وقد درس فى الكلية العربية بالقدس ، وحصل منها على الشهادة الثانوية الإنجليزية (المتريكيوليشن) سنة ١٩٤١ ، وبعد سنتين حصل على دبلوم التربية والتعليم من نفس الكلية . ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وحصل منها على الليسانس الممتازة سنة ١٩٤٧

وتابع دراساته العليا فيها ، فحصل على الماجستير سنة ١٩٥١ بتقدير جيد جدا . وكانت رسالته لها عن « القيان والغناء فى العصر الجاهلى » .

ومع ما بذل من جهد، وأنفق من وقت ، وحقق من نتائج ، فى هذا الميدان ، فقد أحس — كما يقول — أنه يسير فى طريق لا يكاد يستبين فيه مواطئ قدميه، وأن عليه أن يعود أدراجه ، ليبدأ بداية جديدة ، لا يخطو فيها إلا بعد تثبت وتيقن ؟

يقول : « وعدت، وبدأت الطريق من أوله ، وقضيت أربع سنوات أخرى ، خرجت منها بهذا البحث لدرجة الدكتوراه ، وأنا مقتنع بأن هذا الموضوع الذى أبحثه هو الخطوة الأولى الصحيحة التى تسبق كل خطوة غيرها ، فى سبيل دراسة الشعر الجاهلى » .

وبذلك حصل ذلك الدارس الجاد على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز فى سنة ١٩٥٥ ، على بحثه عن « مصادر الشعر الجاهلى ، وقيمتها التاريخية » :

وإذا حدثت امرأ نفسه بأن هذا الدارس كان يسير فى أرض معبدة ، وأنه كان يبحث موضوعا مطروقا ، فليقرأ هذا السفر العظيم الذى يربو على سبعمائة صفحة من القطع الكبير ، ليرى أن الأناة العلمية ، وإسباغ الدقة على مكاره التنقيب ، يتمثلان فى عمل من أهم أعمال الدكتور ناصر الدين الأسد ،

إن لم يكن حقا أهمها ، ذلك هو بحثه فى مصادر الشعر الجاهلى .

فمع وفرة ما كتب فى هذا الميدان ، بأقلام الباحثين العرب والمستشرقين ، ومع انتشار عثير المعارك التى خاضها فيه العلماء والمؤرخون ، لم يتردد « الأسد » أن يقتحم العرين ، ليثبت أنه صاحبه حقا .

ولكننى لا أنصف الدكتور ناصر الدين الأسد إذا وقفت فى تقديره عند هذين العملين العظيمين . مهما بلغا فى دقة البحث وعمقه ، فإن له سلسلة من المؤلفات والبحوث المنشورة ، يقف القارىء أمامها فى دهشة وإعجاب ، لتنوعها فى إطار وحدتها .

ويتضح هذا التنوع فى إطار الوحدة من عبارة وردت فى بحث قدمه باسم « التراث والمجتمع الجديد » إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس فى بغداد سنة ١٩٦٥ .

فقد عرض فى هذا البحث الاتجاهين المتضادين فى العكوف على التراث وفى إهماله ، ثم أعلن رأيه فى اتجاه ثالث ارتضاه ، قائلا :

« وقامت مع هاتين الطائفتين ، واستمرت معهما تواكبهما ، طائفة ثالثة ، هى أقرب الثلاث إلى الفهم السليم ، وإلى طبيعة الحياة الصحيحة ، جمعت بين الحسنيين ، ورأت أن الحياة لا يمكن أن تجمد وتقف حيث كانت ، ولكنها فى الوقت نفسه لا يمكن أن تنطلق متحللة من كل نظام يربطها بخصائصها ومقوماتها التى تتمثل فى تراثها ؛ فأنزلت هذه الطائفة قديمها فى منزله الصحيح ، وعكفت عليه تدرسه وتحييه وتجدده ، وتستخرج كوامنه ، وتجلو روائعه ، ثم مضت فى حياتها على هدى من هذا التراث ، تستقبل الجديد ، وتحيا فيه حياة سليمة ، وتشارك فيه مشاركة أصيلة » .

وكذلك فعل ناصر الدين الأسد : ففى الوقت الذى يحقق فيه تحقيقا علميا دقيقا « ديوان قيس ابن الخطيم » ، و « ديوان شعر الحادرة » — يكتب عن « الاتجاهات الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن » وعن « الشعر الحديث فى فلسطين والأردن » ، وعن « خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين » ، وعن « محمد روحى الخالدى رائد البحث التاريخى الحديث فى فلسطين » .

وفى الوقت الذى قد نترقب فيه أن تفكيره العلمى قد استغرقه بحثاه الرائعان اللذان عبر بهما خمسة عشر قرنا إلى مجاهل الشعر الجاهلى ، نراه يكتب عن « قصص الكيلانى للأطفال » ، وعن « فلسفة الاستعمار » ، وعن « الثورة العربية الكبرى والأدب » ، ويشترك فى الترجمة عن الإنجليزية للكتاب العظيم الذى كتبه جورج أنطونيوس عن « يقظة العرب » ، ويراجع الترجمة العربية لكتاب « ليبيا الحديثة » .

وأعود فأكرر أن هذه الإشارات الخاطفة لا تنصف مؤلفها . فهذا الكتاب الذى ترجمه مع زميل فاضل ، كانت له ترجمة

سابقة لأستاذ فاضل آخر . وكان طبيعيا وقد قرأت الأصل الإنجليزى ، والترجمة الأولى ، وهذه الترجمة الجديدة ، أن تستوقفنى بعض الفقرات ، أختار منها هذه الفقرة التى تتصل بمشكلة اللغة العربية وصراعها مع اللغة الأجنبية فى سورية ، مرة مع التركية ، ومرة أخرى مع الفرنسية . يقول (ص ٤٩٧) :

« ومن أكبر أسباب ذلك الاستياء (الاستياء من الانتداب الفرنسى) تهديدهم لسيادة اللغة العربية . لقد كان من حسنات الثورة تصفية النزاع حول اللغة بين الأتراك والعرب . وحقق الدافع الثقافى الكامن وراء الثورة وجوده ، بعد النصر ، بتمليك اللغة العربية زمام الأمور ، أعنى بجعلها الواسطة الوحيدة للتعبير فى الحياة القومية ، وفى تحوير نظام التعليم تحويرا كاملا . (وعلينا أن نعلم أن العامل الثقافى كان أعمق الدوافع وأكثرها طاقة فى الثورة) — وكان رضى الشعب على أتمه عندما أصبحت اللغة العربية لغة المدارس والمحاكم بخاصة ، غير أن الانتداب الفرنسى — وهو ذو أغراض سياسية خاصة فى شئون اللغة والتعليم — أعاد مشكلة النزاع القديم جذعة ، فأصبحت مسألة اللغة فى المدارس والمحاكم محط نزاع جديد مثلما كانت الحال فى أيام الحكم التركى » .

والدكتور ناصر الدين الأسد رائد فى البحث ، كما اتضح لنا ، ولذلك اتجه فى كثير من نشاطه العلمى إلى البحث عن الرواد . فمن ذلك بحثه فى « الاتجاهات الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن » . وهو بحث رائد فى ميدان غير ذى معالم ، فوضع له الخطوط التى لا بد منها لتحديد الدراسة ، ومهد طريقا علميا لبحث الحركة الأدبية فى هذين القطرين العربيين . وقد استرعى إعجابى وأنا أقرأ هذا البحث أن مؤلفه بناه على الاطلاع على نحو ثلاثمائة كتاب أو صحيفة ، وعرّف فيه بنحو مائة وأربعين كاتبا و شاعراً .

وبعد ثلاث سنوات عاد الدكتور ناصر الدين الأسد لموضوعه ليفصل بعض ما أجمل فى كتابه السابق ، فكتب عن الشعر الحديث فى هذين القطرين ، وكان جهده هنا جهد الرائد كذلك فى تتبع هذا الشعر فى الصحف والمجلات ، والمجموعات الخاصة ، وأفواه الأصدقاء .

ومن دراساته الرائدة عن الرواد ، كذلك ، كتاباه عن « خليل بيدس : رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين » وعن ، « محمد روحى الخالدى : رائد البحث التاريخى الحديث فى فلسطين » . ويتمثل فى هذين الكتابين منهجه فى التنقيب عن الرواد وآثارهم فى القطر العربى السليب الذى خشى صديقنا ناصر الدين أن يندثر تاريخه الأدبى والثقافى فى غمرة المحنة التى أصابته ، فما ترك حجرا إلا قلبه للوصول إلى ما سجله ، فكان فى ذلك الرائد المؤرخ للرواد .

سيدى الرئيس ،

إن هذا الأستاذ العالم قد قام بما قام به من التأليف فى الوقت الذى كان يتولى فيه

كثيراً من المناصب العلمية والثقافية . فهو أستاذ جامعي مارس المحاضرة في عدد من الجامعات العربية ، كما شغل مناصب قيادية في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وهو الآن المدير المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وحسبي أن أذكر أنه مؤسس الجامعة الأردنية ، وكان عميدا لكلية الآداب بها ، كما كان رئيسا للجامعة نفسها .

إن الدكتور ناصر الدين الأسد يدخل مجمعنا الموقر تتقدمه إلى جانب ماذكرت من أعماله ، بحوث علمية ممتازة نشرتها له مجلة المجمع .

فباسم المجمع أتشرف بتقديم هذا العالم الثابت الجذور في أصول التراث ، الباسق الأغصان في الأدب الحديث ، الجامع بين عراقةالقديم ، وروعة الحديث .

سيدى الرئيس ،

لقد سبق أن دعى الدكتور ناصر الدين الأسد فلبى دعوة الجامعة العربية . واليوم يدعى فيلبى دعوة العربية الجامعة .

كلمة الدكتور ناصر الدين الأسد ...

سيدى الأستاذ الرئيس

الأساتذة العلماء أعضاء المجمع

سيداتى وسادتى :

هذا موقف هابه كل من وقفه قبلى ، وقد رجعت إلى كلمات أكثرهم فى هذه المناسبة ، فمنهم من صرّح ووضّح ، ومنهم من لمّح ولوّح ، غير أنهم جميعا فى الشعور بالهيبة من هذا الموقف سواء .

وبعضهم أساتذة لى أجلّاء ، جلست وما زلت أجلس منهم مجلس التلميذ ، وبعضهم علماء اعلام ضربوا بأوفر سهم فى ميادين المعرفة الإنسانية وبلغوا فيها شأوا بعيدا ، وبعضهم ملكوا ناصية البلاغة والفصاحة فى الكتابة والخطابة ، ودانت لبيانهم الأقلام والمنابر ، غير أنهم جميعا — مع ذلك — فى الشعور بالهيبة من هذا الموقف سواء .

ولكن ، مالى أكنى بغيرى ؟ هل أرانى ألتمس بذلك العذر لنفسى حين أجد كل كلام أعده لهذا الموقف أقل من أن يبلغ مشارفه ، وأدنى من أن يرتفع إلى ذراه ؟ أجل ، إن الأمر لكذلك وما علىّ فيه إن شاء الله من بأس .

فمجمعكم أيها العلماء الأجلاء ، أشمخ صرح تعلو إليه الأعناق ، وأمنع معقل تتطاول إليه الهمم وأعلى منارة ترنو إلى ضوئها الأبصار ، فلا عجب أن يتنافس فى الانضواء تحت لوائه المتنافسون ويتسابق المتسابقون ، ثم لا يجوز بعد ذلك حماه ، ولا يدخل ساحته إلا صفوة الصفوة وخيّرة الخيرة ممن توسّمتم فيهم القدرة على أن يكونوا حماة هذه اللغة وحراس تراثها ، وسدنة ثقافتها ، وما إن يؤذن لأحد منهم بالدخول ، وتفتح له الأبواب ، ويخطو خطوته الأولى ، حتّى تتملك الرهبة نفسه ، وتملأ الهيبة قلبه ، ويحس بالخشوع وهو يسير فى رحاب الخالدين. ثم لا يخف عنه بعض هذا إلا حين تأخذون بيده ، وتتعهدونه بالرعاية ، ويألف المكان والصحاب. وأعوذ بالله ، أيها العلماء الأجلاء من أن أبالغ فى القول وأشتط فى الوصف ، وأجلّكم وأجل مجمعكم عن أن أقول فيكم وفيه ما لا يوافق الحق . ولولا خشيتى من الظن أن ينالنى من الثناء نصيب ، بعد أن كرمتمونى وأذنتم لى فى دخول حماكم ، لقلت ما كان ينبغى أن يقال فى حقكم من أوصاف التعظيم والإكبار. ولوجب علىّ لمجمعكم ما قال أبو الطيب :

فساق إلىّ العُرْفَ غير مُكَدَّرٍ
وسُقْتُ إليه الشُّكْرَ غير مُجَمْجَمِ

غير أني لا أجد لمثل هذا الظن بي مكاناً في النفوس، فإذا كان من الصحيح أن بعض الذين يستحقون شرف العضوية بمجمعكم لم ينالوها لعلة ليست فيهم، فإن من الصحيح أيضا أنه ليس كل من اخترتموه ، مستحقا الاستحقاق كله لشرف العضوية حين الاختيار . وليس في الحالتين ما يقدح في المجمع ولا في الأشخاص، ولا ما يخالف سنة الحياة وطبائع الأشياء ، فالنفر الأول إنما حال بينهم وبين المجمع أن عدد الأعضاء محدود وأن المستحقين كثر فلابد من أن يؤذن لفريق وأن ينتظر آخرون . وأما النفر الثاني ، فإنما أدخلهم تشجيع العلماء لتلامذتهم ، ورعايتهم إياهم ، وحدبهم عليهم ورغبتهم في أن يتمرسوا بعملهم على أيديهم وفي ظلهم ، عسى أن يكون منهم في مقبل الأيام من يواصل الرسالة ويستمر في حمل الأمانة . وما أحسبني إلا أحد هؤلاء التلاميذ الذين نالوا شرف التشجيع والرعاية والتعهد ، وعلي أن أطيل الاستماع والتعلم ، وأن أفرغ أقصى الجهد في التلقي والاستفادة ، وأن أسير على هدى هؤلاء العلماء الأعلام، ولا أملك إلا أن أعدكم بذلك وأعاهدكم عليه ، وليس على الله ببعيد أن يحقق الأمل ويجعلني جديرا ببعض هذه الثقة الغالية .

من أجل هذا ، أساتذتي العلماء ، أكبرت الأستاذ الجليل الدكتور مهدي علام حين ندب نفسه ليستقبل أحد هؤلاء التلاميذ ، ولم يخالجني شك قط في أنه قادر بحدبه أن يغطي ضعفي، ومستطيع برعايته وجميل ثقته أن يرتفع بتقصيري ، فأظهرني بهذا المظهر الذي صوره لكم كريم خلقه ، وجاء حديثه كعادته أبدا :

إذا ما صافح الأسماع يوماً
تبسمت الضمائرُ والقلوبُ

فله أصدق الشكر وأخلصه كفاء ما أقال من عثرتي ، وجبر من كسري، وزين من أمري.

ومن أجل هذا أيضا أشفقت على نفسي الإشفاق كله أن أخلف في مجمعكم عضوا كان لاسمه من الدوي في أقطار وطننا العربي وفي بعض الهيئات العلمية الأجنبية ، ما يجعله أكبر من كلمة يقولها فيه مثلي . وهل في بلادنا العربية: بين مثقفيها وعلمائها وأدبائها، من لم يسمع باسم قدري حافظ طوقان ، ومن لم يقرأ له بعض نتاجه العلمي؟ غير أن الموقف يقتضي الخلف أن يذكر السلف ، ولو كان رحمه الله حيا يسمع ما أقول لتغمده بما عرف عنه من سماحة وسعة صدر ، وتجاوز عن تقصير الناس ، واغتفار لعجزهم وضعفهم .

أجمع من كتبوا عن آل طوقان بنابلس في فلسطين — رد الله غربتها وطهرها من دنس احتلالها —. أنهم من عشيرة الطوقان السورية، وأنهم فرع من عشائر كانت تسمى الموالي . وربما كانت موالاتهم للدولة العثمانية سببا لتسميتهم بهذا الاسم . وكانوا ينزلون سهل الغاب، في سورية . وقد قيل في أصول الموالي أقوال مختلفة لتشعب فروعهم وكثرة المنتسبين

إليهم وكان من أهم فروعهم عشيرتان : الطوقان وآل أبى ريشة .

وكان الطوقان من شيوخ الموالى ، ويرجح بعض الباحثين أنهم يرجعون فى أصولهم إلى طيِّىء من عرب اليمن، وقيل فى سبب تسميتهم أقوال مختلفة ، منها: أنهم كانوا يضعون فى أعناقهم طوقين تمييزا لهم من بقية الموالى ، ومنها : أن الطوقين كانا رتبة من الدولة العثمانية تدل على منزلة معينة .

والمعروف أن آل طوقان جاءوا بعد ذلك من الجولان — فرج الله كربها وكشف غمتها — ونزلوا نابلس فى نحو سنة ١٠٦٦ للهجرة . وبدأ نجمهم يتألق حين عين صالح (باشا) طوقان متصرفا على القدس ، ثم توالى حكام نابلس من آل طوقان حتى نهاية الحكم العثمانى ، وكانوا يسمون بالبيكات لأنهم أبناء صالح (باشا) وحفدته بعد ذلك .

ومن أشهر رجالهم مصطفى (باشا) حفيد صالح (باشا) ، وكان شيخا على عشائر بنى صعب ، ثم عين واليا على مصر ثم واليا على الحجاز ، وظل فيها إلى أن مات سنة ١١٩٧ للهجرة . وشارك بعض القادة العسكريين من آل طوقان مشاركة فعالة فى قتال ظاهر العمر الذى اتفق مع على بك الكبير وحليفته روسيا على إعلان العصيان والثورة على الدولة العثمانية ، فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ثم شاركوا كذلك فى قتال نابليون وهزيمته فى بلاد الشام .

وكما كان من آل طوقان الحكام والقواد كان منهم التجار والساسة والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء ، ومن منا لم يسمع بشاعر فلسطين غير منازع المرحوم إبراهيم طوقان وبأخته الشاعرة فدوى طوقان ، وهما ابنا عم قدرى لحا .

فى ظلال هذه الدوحة ولد فقيدنا فى مدينة نابلس فى نحو سنة ١٩١٠ للميلاد ، وتلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم تلقى دراسته العالية فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، ونال منها شهادة البكالوريوس فى الرياضيات سنة ١٩٢٩ . وأصبح بعد تخرجه مدرسا فى كلية النجاح الوطنية بنابلس ، ثم تولى إدارتها سنة ١٩٥٠ فعمل على تطويرها وأنشأ فيها معهدا للمعلمين . ومع كثرة أعبائه وتعدد أعماله بعد ذلك ، ظل متمسكا بإدارته لكلية النجاح حتى انتقل إلى جوار ربه فى بيروت فى ٢٦ من فبراير سنة ١٩٧١ .

انتخب نائبا عن مدينة نابلس فى المجلس النيابى الأردنى سنة ١٩٥٠ ، وتسلم منصب وزير الخارجية الأردنية سنة ١٩٦٤ فعمل على تحسين العلاقات بين الأردن ومصر والاعتراف باليمن الجمهورى .

ذاع ذكره فى مجال البحث العلمى وخاصة فى تاريخ العلوم عند العرب ، وزادت تآليفه على عشرين كتابا ، وكتب كثيرا من المقالات فى العلم والسياسة والأدب والأخلاق نشرتها

له المجلات فى مختلف أقطار الوطن العربى ، وأذاع عشرات الأحاديث من إذاعات البلاد العربية وبعض الإذاعات الأوربية ، وألقى كثيرا من المحاضرات العلمية والتوجيهية فى عدد من البلاد العربية والإسلامية وانتخب عضوا فى نحو عشرة مجامع ومجالس وجمعيات علمية عربية وأجنبية ، وشارك فى عدد كبير من المؤتمرات العلمية والثقافية . ومنحته جامعة البنجاب شهادة الدكتوراه الفخرية فى القوانين تقديرا لجهوده المتواصلة فى الفكر الإنسانى والتراث الحضارى والعلمى .

أيها العلماء الأجلاء

سيداتى وسادتى :

هذه نظرة عابرة على حياة عريضة عميقة لرجل نذر نفسه للدراسة والبحث ، وعاش لهما ، واستغنى بهما عن الزوجة والبنين ، وعرفه أبناء أمته مما كان ينشر فى الصحف والمجلات وخاصة المقتطف والرسالة والثقافة ، ثم من مؤلفاته وبحوثه التى أصبحت ركنا أساسيا فى ثقافة الجيل .

وإذا كان مثل هذا المقام لا يحتمل الإطالة ، ولا يتيح الفرصة للإحاطة بشخصية فقيدنا وتحليل نتاجه العلمى ، فإن من الإنصاف أن نقف وقفة فيها بعض التأمل لخصائص ثلاث ، أحسب أنها المحاور الأساسية التى كان يدور عليها جهده ونشاطه فى مجال البحث والدراسة .

فأولاها — عنايته المتصلة بالتعريف بتراث العرب العلمى فى شتى ميادينه ، وخاصة فى الرياضيات والفلك ، ودعوته الدائبة إلى وصل حاضرنا فى العلم بماضينا الزاهر فيه ، لإقامة هذا الحاضر على أسس متينة من شخصية الأمة ومقوماتها ، مع تنبيهه الدائم إلى عدم الاقتصار على ذلك وضرورة الأخذ بالعلم الحديث وتتبع تطوره والاستفادة من أساليبه ومناهجه ونتائجه .

كان هدفه من عنايته ببعث تراثنا العلمى ودعوته إلى إحيائه ومعرفته هدفا واضحا محددا نص عليه بعبارات كثيرة فى مناسبات شتى ، منها قوله :

« لقد أدرك الغرب وبعض أمم الشرق أن بعث الثقافة من أهم العوامل التى ترتكز عليها النهضات والحركات ، وأن الأمة التى تبغى مجدا عليها أن تخلق فى الأفراد روح الإيمان بقدرتهم على الابتداع ، وأن تنشئ فيهم الشعور بالعزة القومية ، وذلك بالاهتمام بماضيها ، وربطه بحاضرها ، وتعريف الناشئة بجهود أسلافهم ومآثرهم فى ميادين العلوم ، وما كان لها من أثر فى تقدم الحضارة » .

ومنها قوله أيضا :

« إن الأمة العربية من الأمم التى خلفت آثارا جليلة فى ميادين المعرفة عادت على الحضارة بالتقدم والارتقاء . وقد لا يكون هناك أمة لها ما للأمة العربية من تراث خالد وأثر بليغ فى سير العلوم ، فلولا نتاج القريحة العربية لتأخر سير المدنية بضعة قرون . ومما يؤسف له حقا أننا أهملنا تراثنا ولم نلتفت إليه ، وأنه بإهمالنا هذا وعدم التفاتنا إلى مآثر أسلافنا أصبح لدى الكثيرين منا اعتقاد

بعدم قابليتنا ، وأنه لم يكن لأجدادنا أى جهد فكرى عالمى ، وأنه لم ينشأ بين العرب من استطاع أن يبلغ فى ميدان العلم مبلغ علماء أوربا وعباقرتها . ومن أغرب ما نشاهده اليوم أن نجد كثيرين ينكرون على العرب مآثرهم فى مختلف العلوم و الفنون ، وقد يزيد استغراب القارىء الكريم إذا علم أن هذا الإنكار سائد ومسيطر على المثقفين وأصحاب الشهادات والألقاب العلمية . وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، حد الإنكار ، بل يتعداه إلى الاستخفاف بكل ما هو شرقى عامة وعربى خاصة ، وإلى التنقص من جهد السلف وفضلهم على المدنية ، فى حين أننا نجد فى الغرب من قام يدافع عن الحقيقة لأنها حقيقة ، ومن قام يظهر الحق لأنه حق ، وقد دفعهم الإخلاص للحقيقة أن ينصفوا الحضارة العربية بعض الإنصاف ، فاعترف غير واحد بما للمدنية العربية من فضل على مدنية أوربا التى ينعمون بها . وقد ثبت لهم أنه كلما تقدم العلماء فى البحث عن نتاج قرائح العرب تجلّى لهم فضل العرب على العلم والعمران بصورة أوضح ، وظهر لهم أن العرب سبقوا الغرب فى وضع النظريات الرياضية والفلكية والفلسفية ... إننا أولى من غيرنا بمعرفة عباقرتنا ونوابغنا . إنه لواجب مقدس علينا أن نهتم بتراثنا وبما أورثه أسلافنا إلى الأجيال » .

ومنها قوله أيضا :

« إن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج على منطق التاريخ ، فلم يكن بد من قيامها حين قامت . وقد قام أصحابها العرب بدورهم الكبير فى تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والفهم ، وهم لم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل إن فى نقلهم روحا وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكيا ، فهو أبعد ما يكون عن الجمود .

وقد خطوا فى العلوم خطوات فاصلات كان لها أبعد الأثر فى تقدمها ؛ فبعد أن اطلع العرب على ما أنتجته قرائح القدماء فى سائر ميادين المعرفة نقّحوه وشرحوه وأضافوا إليه إضافات هامة أساسية تدل على الفهم الصحيح وقوة الابتكار » .

بمثل هذه العبارات الواضحة حدّد عالمنا هدفه وأبرز قيمة موضوعه . ومن أجل هذا كان من أوائل ما نشر من مقالات مقالة عنوانها « حول التراث العربى » وأخرى عنوانها « حاجتنا إلى ما يحيى الخصائص العربية » وثالثة عنوانها « حول محاضرات ابن الهيثم التذكارية » ورابعة عنوانها « الملاحة عند العرب » وخامسة عن « ابن ماجد : أسد البحر الهائج » ، وغيرها كثير .

ومن أجل هذا أيضا كان من أوائل ما صدر له من بحوث مطولة بحثه الذى أعده سنة ١٩٣٦ ، وعنوانه « الأثر العلمى للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها » نشر فى كتاب « نواح مجيدة من الثقافة العربية » ، وهو هدية المقتطف السنوية ، وفيه بحوث لثلاثة علماء آخرين .

ثم صدر فى سنة ١٩٤١ كتابه الذائع الصيت « تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك» طبع ثلاث طبعات كانت الثالثة سنة ١٩٦٣ . وأصبح هذا الكتاب عمدة المثقفين والدارسين فى موضوعه ، وأثنى عليه كثير من العلماء العرب كالمرحوم الدكتور على مشرفة والأجانب كالدكتور سارتون، وقرظته المجلات العلمية والأدبية .

وتوالت بعد ذلك كتبه وبحوثه فى هذا الباب : فصدر له فى سنة ١٩٤٦ « الأسلوب العلمى عند العرب » ، وفى سنة ١٩٥٤ « الخالدون العرب»، وفى سنة ١٩٥٦ «العلوم عند العرب »، وفى سنة ١٩٥٨ « ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات »، وفى سنة ١٩٦٠ « مقام العقل عند العرب » وفى سنة ١٩٦١ « أثر العرب فى تقدم علم الفلك » ، وفى السنة نفسها « العلوم عند العرب والمسلمين » ، وفى سنة ١٩٦٢ « الروح العلمية عند العرب والمسلمين » ، وفى سنة ١٩٦٦ « حيوية العقل العربى فى نقد الفكر اليونانى » ، وفى السنة نفسها « أبو الريحان البيرونى » .

ونشرت هذه الكتب والبحوث فى القدس وعمان والقاهرة وبيروت، وبعضها طبع عدة مرات .

أما ثانية خصائصه : فتتمثل فى السعى إلى تبسيط المعرفة العلمية وتقريبها إلى عقول الناشئة وجمهرة المتعلمين والمثقفين ، وكان هذا دأبه فى كثير مما كان ينشر من مقالات فى المجلات والصحف السيارة التى كان يقرأها جمهور متفاوت الثقافة ، مختلف المشارب ، متعدد التخصص .

ومما ذكره فى هذا المجال فى مقالة نشرها فى المقتطف سنة ١٩٣٤ عنوانها « غرائب الأعداد وعجائب المعادلات » قوله :

« ومن البديهى أننى فى هذا المقال لا أستطيع أن آتى على جميع غرائب الأعداد وعجائب المعادلات ، فغرائب الأعداد لا تدخل تحت حصر عدا كون بعضها يحتاج إلى استعمال مما قد يدخل السأم والملل إلى النفوس .

وأما عجائب المعادلات فسنأتى على ذكرها تنويها ، إذ تحتاج إلى استعمال الصعب من القوانين الرياضية والمعادلات العويصة ، وهذا ما سنحاول تجنبه فى مقالنا هذا ، ولكننا سنأتى على بعض أمثلة بسيطة من غرائب الأعداد وعجائب المعادلات من التى لا تحتاج إلا إلى إلمام بسيط بقواعد الحساب ومبادىء الجبر » .

ومما قاله فى هذا أيضا :

« لا يستطيع أحد من الذين يُعْنَوْن بالعلوم الطبيعية والفلكية تبسيط بحوثها إلا إذا كان مالكا لناصيتها ، ضليعا فى اللغة، واقفا على أسرارها . فليس من السهل تقديم الموضوعات العويصة فى قالب خال من التعقيد والغموض، كما أنه ليس من السهل أيضا وضع النظريات والقوانين الكونية وما يتصل بها من ظواهر وحركات فى أسلوب يستسيغه أصحاب الثقافة

العامة وجمهور المتعلمين . . . ولهذا فقليلون هم الذين يوفقون فى عرض بحوث العلم الدقيقة والعويصة ، كالفلك والرياضيات والطبيعيات ، فى لغة سلسة سهلة المأخذ ، بعيدة عن الغموض والإبهام » .

وفى هذا الباب صدرت له ثلاثة كتب فى سلسلة « اقرأ » بدار المعارف بمصر . الأول سنة ١٩٤٣ وعنوانه « الكون العجيب » ، والثانى سنة ١٩٤٩ وعنوانه « العيون فى العلم » والثالث سنة ١٩٥٥ وعنوانه « البقاء والفناء » فى الطاقة الذرية . ونالت هذه الكتب رواجا لدى القراء فطبعت مرات كثيرة .

وأما ثالثة خصائصه فقد كانت حرصه على إشاعة المعرفة العلمية وجعلها جزءا من ثقافة المرء العامة ومن تكوينه العقلى والخلقى وأسلوبه فى التفكير .

فكان يؤكد فى كل مناسبة ربط العلم بالعمل فى جميع ميادين الحياة ، ويكشف عن الصلة الوثيقة بين العلم والخلق ، وأن المرء كلما زادت معرفته العلمية زاد معرفة بكثرة مايجهل ، وذلك يكسبه تواضعا وسمو خلق ، وأن العلم يقود لا محالة إلى الإيمان . وكان يحرص على أن ينفى عن العرب والمسلمين التشبث بالخرافات ، ويبرز جوانب عقليتهم العلمية التى تعلل الظواهر الكونية ، وتردها إلى قواعد وقوانين فى نظام علوى وناموس إلهى تتجلى فيهما قدرة الله وحكمته فى أفعاله وأعماله .

وربما كان أشهر ما صدر له فى هذا الباب كتابه « بين العلم والأدب » سنة ١٩٤٦ ، وقد جمع فيه بعض مقالاته التى نشرها فى المجلات والصحف وبعض محاضراته العامة ، وفيها بسط لآرائه فى ضرورة التزود بالمعرفة العلمية لتكتمل للمرء ثقافته .

وبعد :

فما أحسبنى — مع هذا التطواف كله — قد وفيت فقيدنا بعض حقه ، وقد بقيت فى النفس أشياء كنت أتمنى أن أتحدث عنها ، وخاصة مايتصل منها بمواقفه وكتاباته القومية التوجيهية ، وقد صدر له كتابان : الأول سنة ١٩٥٠ وعنوانه : «بعد النكبة» والثانى سنة ١٩٥٣ وعنوانه : « وعى المستقبل » ، وهما كتابان لا يغنى عرض مجملهما عن قراءتهما .

أيها العلماء الأجلاء .

سيداتى وسادتى :

كنت من الذين سعدوا بمعرفة عالمنا الراحل حقبة زادت على العشرين عاما ، والتقيت به مرارا فى نابلس فى منزله وفى كلية النجاح الوطنية ، ثم كنت ألتقى به كل أسبوع حين شرفت سنة ١٩٦٢ بتأسيس الجامعة الأردنية فى عمان ثم توليت رئاستها ست سنوات ، وكان رحمه الله عضوا فى مجلس أمنائها ، وكان حديثنا لا يكاد ينقطع عن المصطلحات العلمية ، واستعمال العربية لغة للتدريس فى الكليات العلمية ولغة للبحث العلمى . وكانت صلتى بموضوع المصطلحات بدأت منذ سنة ١٩٥٥ حين عقد المؤتمر العلمى العربى الثانى فى القاهرة بدعوة من الإدارة

الثقافية بجامعة الدول العربية ، وكنت حينئذ عضوا فى وفدها إلى المؤتمر ، وبدأت من هذا المؤتمر عناية الإدارة الثقافية بتوحيد المصطلحات العلمية فى مراحل التعليم العام حتى نهاية الدراسة الثانوية : فى الرياضيات . والطبيعة ، والكيمياء والنبات ، والحيوان والجيولوجيا . فأعدت نماذج من الكراسات اشتملت كل صفحة من صفحاتها على عدة أعمدة ، تضمن العمود الأول مصطلحات علم من هذه العلوم باللغة الإنجليزية ، وعلى رأس كل عمود من الأعمدة الباقية اسم إحدى الدول العربية لتضع فى العمود المخصص لها اللفظة العربية التى تستعملها فى كتبها المدرسية مقابل المصطلح الأجنبى . وبذلت الإدارة الثقافية جهودا متصلة لجمع إجابات الدول العربية وتنسيقها ، واستغرق ذلك سنوات إلى أن ضم المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرّباط إلى جامعة الدول العربية ، وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأصبح المكتب من أجهزتها ، فأحيل الموضوع عليه ، فسعى إلى استكماله من إجابات الدول العربية ومن جهود خبرائه فى استخراج النقص من الكتب المدرسية نفسها بعد أن جمع المكتب هذه الكتب من البلاد العربية ، وأثبت المصطلحات باللغتين الإنجليزية والفرنسية . وسيعرضها على المؤتمر الثانى للتعريب الذى سيجتمع فى الجزائر فى الشهر الأخير من هذا العام . هذه قصة واحدة من قصص كثيرة عن محاولات تنسيق المصطلحات وتوحيدها ، استهلكت هذا الجهد الكبير

واستغرقت هذا الوقت الطويل . أما وضع المصطلحات : تعريبا أو ترجمة أو إحياء لكلمة قديمة ، فله قصص كثيرة عند العلماء والاتحادات العلمية والمجامع ، وحسبنا أن نقتصر على مجمعنا هذا وحده ونذكر الزمن الطويل الذى قضاه ، والجهد المضنى الذى بذله فى تقديم ثروة من المصطلحات فى مختلف فروع العلم والمعرفة وجوانب الحياة ، مما أسماه « المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة » بلغت عشرات الألوف من المصطلحات والألفاظ ، مع الشروح المعرّفة بمعانيها ، المقرّبة لدلالاتها ، نشرها فى مجلدات كبيرة تضم كل مجلدة مجموعة من هذه المصطلحات العملية والفنية حشدت لها جهود خبراء المجمع ولجانه ، وعقد لها مجلسه ومؤتمره جلسات طوالا استغرقت سنوات متواصلة .

وأستأذن أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام للمجمع فى أن أستشهد ببعض ما كتب فى مقدماته لهذه المجموعات ، قال :

« ولغة العلم وليدة المصنع والمعمل ، وثمرة من ثمار قاعة الدرس والبحث . وقد تختلف من باحث إلى باحث ، ومن بلد إلى آخر . ويحرص المجمع الحرص كله على أن يلاقى بين هذه الأطراف ويوحد الكلمة ، ويجمع الباحثين والدارسين على لغة علمية عربية سواء . ولا يزعم مطلقا أنه بلغ فى ذلك الغاية ، فخبراؤه قد يتعددون فى الموضوع

الواحد ويختلفون ، وأعضاؤه قد يُغَلِّبون استعمال قطر عربي على آخر . ولبعض المصطلحات التي أقرها لفظان مختلفان أو أكثر، ولا يزال الأمر يتطلب مزيدا من الصقل والتقويم. ويقيننا أن متابعة نشر مجموعة المصطلحات العلمية والفنية كل عام من أنجع الوسائل لتدارك بعض هذا النقص » .

وقال فى مقدمة مجموعة أخرى :

« والمجمع يؤمن إيمانا جازما بأن قيمة المصطلح فى نشره واستعماله ، وينادى دائما بتوحيد المصطلحات العلمية بين العامة والخاصة فى العالم العربى بأسره ، ويأمل فى أن يعين نشر مجموعة منها كل عام على ذلك » .

ويقول فى مقدمة ثالثة :

« وليست اللغات مما يفرض فرضا . . . وإنما هى استعمال سَرَى واستقر ، وعُرِف هُذِّب ونُقِّح على مرِّ الزمن ، وحياة المصطلح العلمى فى تداوله ، وتوحيده فى أن يتفق عليه المشتغلون به » .

وكما استأذنته فى الاستشهاد بكلامه والاقتباس منه ، أستأذنه فى أن أفهم كلامه — وإن جاء ظاهره فى صيغة خبرية تقريرية — إنه فى حقيقته إنشائى دعائى ، أكاد أسمع من خلال ألفاظه صيحته المدوّية مهيبا بعلمائنا وجامعاتنا ومعاهدنا أن ينشروا هذه المصطلحات فيما بينهم وفيما بين تلامذتهم ،وأن يستعملوها فى بحوثهم العلمية وكتبهم ، وقبل ذلك ومعه وبعده، فى تدريسهم باللغة العربية؛ ذلك أن اللغات كما قال : « استعمال سَرَى واستقر، وعرف هذب ونقح على مر الزمن . وحياة المصطلح العلمى فى تداوله ، وتوحيده فى أن يتفق عليه المشتغلون به » . فأين هم أساتذتنا فى جامعاتنا ومعاهدنا الذين يستعملون هذه المصطلحات لتسرى وتستقر، ويتداولونها لتحيا ، ويشتغلون بها لتتوحد ؟ إن المجمع قد أدى الأمانة ونهض بالرسالة ، وهو فى طريقه إلى استكمالها ، وبقى أن يقوم من يعمل المجمع من أجلهم بواجبهم .

وعلى ما للمصطلح من قيمة وخطر ، وعلى جلال عمل المجمع وجهده فيه ، فإن هذا ينقلنا إلى القضية الكلية ، إلى القضية الأم إلى قضية اللغة العربية من حيث هى . ماذا فعلنا بأنفسنا وبلغتنا ؟ بدأنا بأن جعلنا لغتنا مادّة، مجرد مادّة دراسية،لها دقائق معدودات فى جدول الساعات الأسبوعى فى المدرسة ، وعزلناها عن بقية المواد ، وأصبح التلميذ لا يسمع لغته إلاّ فى هذه الدقائق ،كما يسمع اللغة الأجنبية المقررة ، أما فى بقية المواد فتغيب عن أذنيه ونفسه هذه اللغة ، بل قد يسمع من بعض مدرسى هذه المواد الاستهانة باللغة العربية والحكم عليها بالعجز عن الوفاء بمعانى تلك المواد . ومع تراخى الزمن وانهزام النفوس ، أصبحت هذه اللغة ، فى أثناء الدقائق المخصصة لها ، تُدَرَّس بالعامية ؛ يستعملها مدرس اللغة العربية فى درسه وشرحه وحديثه فى حجرة الدراسة ، وما أشبه ذلك ؛

مما كان يحدث فى أواخر العهد التركى فى بعض بلادنا العربية من تدريس اللغة العربية باللغة التركية . واستطال الأمر وتفاقم حتى أصبحت العامية هى لغة التدريس والمحاضرة فى أقسام اللغة العربية نفسها فى الحرم الجامعى ولم تعد آ ان ناشئتنا تسمع أنغام الفصحى ، حيل بينهم وبينها ، فى المدرسة وفى الجامعة وفى المسرح والسينما والإذاعتين المسموعة والمرئية . كما حيل دون أن تكون هذه اللغة لغة العلم النظرى والتطبيقى ولغة البحث العامى .

فإذا كانت اللغة هى أداة التفكير كما أنها أداة التعبير، فإن من الطبيعى أن يكون تفكير المرء فى مستوى لغته، أفيكون استعمالنا العامية وغلبتها علينا السبب فيما يتصف به أكثر تفكيرنا الآن من عامية وسطحية وتخلف ؟ إننا لا نعرف أمة فعلت بنفسها وبلغتها مافعلنا. إننا أمة لا تتكلم لغتها، وكل أمة سوانا تتكلم لغتها، على تفاوت بين أبنائها فى قدرتهم على البيان بها بحكم تفاوت حظهم من التعليم والثقافة. فالإنجليزى يتكلم الإنجليزية، والفرنسى يتكلم الفرنسية ، والألمانى يتكلم الألمانية ، وكل فرد فى كل أمة يُنَشَّأ من الطفولة المبكرة على سماع لغته والتحدث بها فى كل مادة من مواد الدراسة فى مراحل تعلمه جميعها، وفى المسرح والسينما والإذاعة وغيرها . ومع ذلك فنحن نزعم — ونحن على حق — أننا أمة واحدة ؛ وأن أهم مقوم من مقومات الأمة الواحدة هو اللغة ، ثم نحطم هذا المقوم تحطيما بأيدينا .

معذرة ، أيها العلماء الأجلاء، فإنى لم أقل سوى بعض مما تعرفون، ومن أين لمثلى أن يأتى بجديد عليكم ! ، ولكنها نفثة مصدور لم يطق كتمانها بعد أن طال وجعه منها، فلم يجد من يبثه شكواه أجل منكم وأعون على البلوى . ولن نيأس ، فعملكم الدائب ، وذودكم عن لغتنا ومنافحتكم دون حماها، كل ذلك كفيل إن شاء الله ببلوغ الغاية .

أساتذتى العلماء ، أعضاء مجمع الخالدين :

سأظل ما حييت أذكر لكم صنيعكم ، وأشكر لكم فضلكم ، حتى إنى :

لقد خِفْتُ أنْ لا تقنع النفس بعدها
بشىء من الدنيا وإن كان مقنعا

ورحم الله أبا العلاء ، فكأنه كان ينظر إلى ما فى نفسى لكم بعين بصيرته حين قال :

فإنَّ مُنَايَ أنْ يُبْرَى حَصَاكُم
وتَقْصُر عن زُهائكم الرِّمالُ
وأنْ تُعْطَوْا خُلُوداً فى سعُود
كما خَلَدَتْ على الأرض الجبالُ

وأضرع إلى الله العلى القدير أن يكتب الشفاء لشيخنا الجليل رئيس مجمعنا الأستاذ الدكتور طه حسين ، وأن يسبغ عليه ثياب الصحة ، ويرزقه طول العمر؛ ليواصل رعايته للعلماء والأدباء ، وأهل الفكر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ هـ (الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٧٣ م) أقام المجمع حفل استقبال أعضائه الجدد : الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر ، والدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش . وفيما يلي ما ألقي في الحفل :

كلمة الافتتاح للأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع :

بسم الله الرحمن الرحيم

زملائي :

سيداتي :

سادتي :

لقد كان السيد رئيس المجمع الدكتور طه حسين يود أن يشاركنا في هذا الحفل ، ولكن حالته الصحية قد اضطرته إلى الاعتكاف والاعتذار .

فباسم المجمع بل باسمكم جميعا أبعث بتحياتكم مع أمانينا له بالشفاء العاجل ، وإنه ليسر المجمع أن يجتمع اليوم لاستقبال ثلاثة من أعضائه الجدد وهم :

الدكتور أحمد محمد الحوفي .

الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر .

الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش .

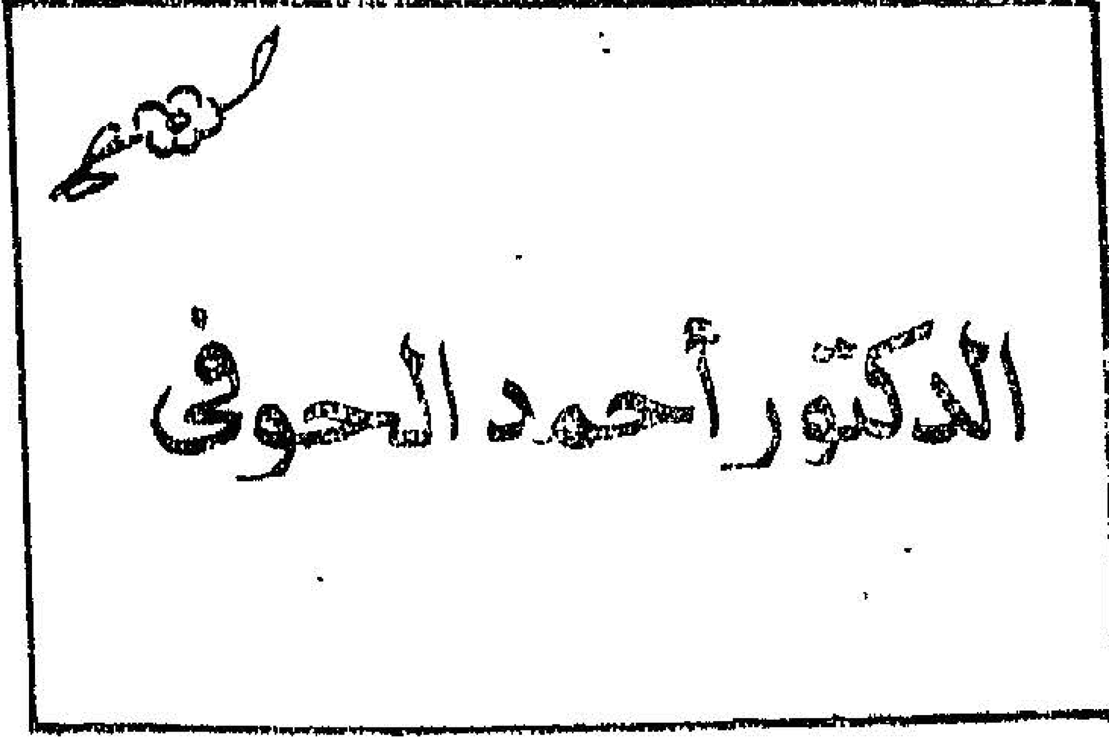
وهناك زميل جديد رابع عزيز علينا جميعا هو الأستاذ الجليل مصطفى مرعي ، قد رأى لأسباب طارئة أن يؤجل استقباله إلى الدورة القادمة والمجمع ، إذ يسعده أن يهنئ زملاءنا الجدد بما نالوه من ثقة وتقدير ، ليسعده كذلك أن يرى كفايات عظيمة تضاف اليوم إلى كفايته ، وأن يرى نشاطا علميا جديدا سيلتقي بنشاطه . وإننا لعلى ثقة أن زملاءنا الجدد سيسهمون بعلمهم وكفايتهم في تحقيق رسالة المجمع وإنهم لفاعلون إن شاء الله .

مرحبا بكم أيها الفرسان الثلاثة في المجمع الخالد .

أما الآن . . أيها السادة فسيتولى الزملاء : الدكتور إبراهيم أنيس ، والدكتور عبد الحليم منتصر ، والأستاذ إبراهيم اللبان استقبال زملائنا الجدد . سيلقي كل منهم كلمته بعد العضو الذي يستقبله .

وليتفضل الدكتور إبراهيم أنيس .

كلمة الدكتـور ابراهيم أنيـس فى استقبال :



بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس ، السادة الزملاء أعضاء المجمع ، سيداتى ، وسادتى :

كان من حظى ، بل مما أسعدنى حقا أن أشترك فى ترشيح صديقى الدكتور أحمد الحوفى لعضوية المجمع . ولبثت أواظب على الاشتراك فى هذا الترشيح ، وأنا سعيد بذلك ، إلى أن أتم مجلسنا الموقر اختياره ؛ لصبر العضو الجديد وجلده !! ذلك لأن للمجمع تقليدا لا يكاد يحيد عنه إلا فى حالات نادرة لها ظروفها ، هو أن يدع القاصد إلى محرابه واقفا ببابه ينتظر فترة قد تطول سنوات ، حتى يبرهن لنا أنه يتحلى بصبر أيوب ، وإذا بالأبواب الموصدة تفتح ، وإذا بالمرشح يصبح عضواً بين الخالدين !!

وحينما تخلف صديقى الدكتور الحوفى لا عن جدارة واستحقاق سعيت إليه على استحياء لأقص عليه ما كان . وأشهد أنى لم أصادف منه إلا الابتسامة السماحة والرضا ، التى كانت تعيد إلى الثقة بحتمية القدر ، والإيمان بأن كل أمر مرهون بلحظة محددة .

واليوم أيها السادة أشعر بالسعادة غامرة لفوز صديقى الدكتور الحوفى ، وأنى انتدبت لاستقباله والترحيب به .

وفى حديثى عن الدكتور الحوفى أود لضيق المقام أن أمر مرورا سريعا بتلك الناحية من حياته التى أشبهها بالسجل المدنى أو البطاقة الشخصية فأقول :

ولد فى قرية بالقرب من دمنهور سنة ١٩١٠ وبدأ تعلمه فى القرية وفى دمنهور ، ثم انتقل إلى القاهرة ليلتحق بتجهيزية دار العلوم ويستكمل فيها المرحلة الثانوية من تعلمه ، ثم التحق بدار العلوم العليا كما كانت تسمى آنذاك ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٦ وكان أول دفعته . ولعله كان يتطلع إلى بعثة فى الخارج ، ولكن الظروف حينئذ لم تهيأ لذلك . فقنع صاحبنا بالتدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية بنين

وبنات ، وكان يعلم بإخلاص إلى أن كان فى المدرسة السعيدية حين ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، ورأى مجلس الكلية أن يختار بعض النابهين من المتخرجين فى الدار ليكونوا معيدين أو مدرسين مساعدين ، وجاء الحوفى إلى دار العلوم الجامعية مدرسا مساعدا سنة ١٩٤٨ ، وهنا كانت فرصته ، أو كأنما وجد نفسه ، فحصل على الماجستير سنة ١٩٥٠ بتقدير ممتاز ، والدكتوراه سنة ١٩٥٢ ، بتقدير ممتاز . ثم تدرج فى وظائف هيئة التدريس إلى أن أصبح رئيسا لقسم الدراسات الأدبية ، ولما بلغ الستين عين أستاذا متفرغا :

وعكف الدكتور الحوفى خلال حياته الجامعية على التأليف ، فأنتج كتبا كثيرة فى الأدب العربى قديمه وحديثه :

فاستوحى من الأدب الجاهلى أربعة كتب هى الغزل فى العصر الجاهلى ، والمرأة فى الشعر الجاهلى ، وأغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى ، والحياة العربية من الشعر الجاهلى . وألف كذلك كتابا عن أدب السياسة فى العصر الأموى :

كما ألف كتبا خمسة عن بعض القدماء من أئمة العلم والأدب كالجاحظ ، والطبرى ، وأبى حيان التوحيدى ، والزمخشرى ، وابن الأثير ، وكتبا أربعة عن الإسلام هى : من أخلاق النبى ، وسماحة الإسلام ، وتحت راية الإسلام ، ومع القرآن الكريم .

وأخيرا ألف كتبا ثلاثة عن أمير الشعراء شوقي هي : وطنية شوقى ، والإسلام فى شعر شوقى والنسيب فى شعر شوقى . . . إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى : وكلها مطبوعة منشورة متداولة فى صورة كتب أحصيت فى المذكرة التى قدمت لنا فبلغت خمسة وعشرين كتابا ، قرأتها كلها والحمد لله !! فقد كان يقررها على حين يهديها إلى ، وكنا نستأنس بها فى ندوات علمية أو خلوات علمية حرصنا فى السنين الأخيرة على أن نعقدها معا بانتظام ، يعلمنى فيها ما لم أكن أعلم ويتعلم منى ما لم يكن يعلم ، فلا تكاد تنتهى الندوة أو الخلوة حتى نكون قد اهتدينا إلى رأى سديد ، أو فكرة جديدة فى مسألة علمية .

هذا إلى بحوثه ومقالاته الكثيرة التى نشرت فى المجلات العلمية والأدبية بالعالم العربى ، وإلى إشرافه على عدد موفور من الرسائل العلمية الجامعية .

والدكتور الحوفى أوجه أخرى من النشاط ، لا مانع فى الإعلان عن بعضها ، ولكنه يصر على إخفاء البعض الآخر . فأما الذى لا يرى مانعا من الإعلان عنه فمثل اشتراكه فى مؤتمرين إسلاميين بمكة وطرابلس ، وفى ثلاثة مؤتمرات أدبية اثنين منها ببغداد ، وواحد فى غزة ومثل أنه رئيس لجنة التعريف بالإسلام ، وعضو لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وأما الذى يحرص على إخفائه لأنه لم يقم به إلا ابتغاء وجه الله ، فمنه أنه يرأس جمعية صغيرة للتوعية الدينية والروحية بين أهالى الحى الذى يسكن فيه .

ويكفى أن تعلم أن من الآثار المجيدة لهذه الجمعية أنها بنت مسجدا جميلا فى ذلك الحى.

إلى هنا أيها السادة وأنتهى مما يشبه السجل المدنى أو البطاقة الشخصية للدكتور الحوفى، لأقفز إلى ما أوثره من حديث آخر عنه أستوحيه من دراستى للغة فى شتى نواحيها، وأتخذ لهذا الحديث عناوين ثلاثة:

(١) باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى.

(٢) باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوفى.

(٣) باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوفى.

أما باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى فمع أنى استطعت فى بعض بحوثى تأصيل كثير من الكلمات العويصة، لعل أشهرها فى ذلك البحث الذى ألقيته فى أحد مؤتمرات المجمع تحت عنوان (تأصيل كلمة السماء)، ومع هذا أعترف أمامكم أنى عجزت عن تأصيل كلمة «الحوفى» !!

وقد سألته فى ذلك فقال إن «الحوفى» أصلها «الحوْفى» نسبه إلى الحوْف، وهو كما تقول المعاجم القديمة حرف الوادى وجانبه!

ثم ذهب صديقى وجاءنى بنصوص تاريخية قديمة تقرر أن قوما من قبيلة قيس نزلوا بالحوف الشرقى من مصر، أى فى صحراء الشرقية، وكان ذلك فى عهد هشام بن عبد الملك، ثم وفدت إليهم بعد ذلك جموع من إخوانهم على دفعات، ومازالوا يتكاثرون حتى صاروا خطرا على ولاة مصر، فقد ثاروا على الولاة عدة مرات كان آخرها أيام المأمون، فجاء إلى مصر بنفسه وأدبهم وقضى على ثوراتهم.

ويرى المؤرخون أنهم جاءوا من نجد، ويحب الدكتور الحوفى أن يتصور هذا، بدليل أنه حين أعير لجامعة الرياض كان يحن حنينا عجيبا إلى صحراء نجد، ويخرج للتجوال فيها !! ويذكر أنه فى إحدى المرات سأل الرائد النجدى عن نبت اشتهر بيننا جميعا منذ صبانا فى بيت من الشعر مشهور هو:

تمتع من شميم عرار نجــــد
فما بعــــد العشية من عرار

فقال للرائد النجدى، وقد بلغ به الحنين مبلغه إلى أجداده القدامى: ناشدتك الله يا أخى فى العروبة إلاّ دللتنى على العرار الذى اشتهرت به صحراء نجد !!

فنظر إليه الرائد النجدى دهشا متحيرا وقال: العرار؟ إيش هذا؟ لا أعرفه وما سمعت به من قبل !!

وهكذا نرى أن صديقى ينتسب إلى عرب الحوف الذين ورد ذكرهم فى تلك النصوص التاريخية، وانتشروا بعد ذلك فى الدلتا والبحيرة مسقط رأسه !!

ولكنى أخالفه فى هذا التأصيل، وأضن به، بل أسمو به عن أن ينتسب إلى هؤلاء

القوم المشاغبين المشاكسين الذين يقول فيهم القرآن الكريم : « الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا » !

وفوق ذلك هناك أمر يزعجني في هذا التأصيل المزعوم هو أن تطور « الحوْفى » كما يرى صاحبنا إلى « الحُوفى» تطور عرفناه فعلا فى بعض الكلمات العربية مثل « نوْم » التى أصبحت فى ألسنتنا« نُوم»، وعرفناه أيضا فى لغات قديمة كاليونانية واللاتينية ، ولكنا عرفنا بعد طورا ثالثا للصوت المركب (أوْ) ، وتمّ ذلك الطور الثالث فى اليونانية ، واللاتينية فى أوائل العصر المسيحى . فأطوار الصوت المركب (أوْ) هى أن يصبح أولا أ (ؤو) ثم يصبح (آ) . وأخوف ما أخافه أن (الحوْفى) الذى تطور إلى (الحُوفى) يتجه إلى الطور الثالث وهو (آ) فتكون الكارثة !!

لذلك أنصح صديقى العلامة البحاثة أن يلتمس لنفسه تأصيلا آخر يكون أليق به ، وإلا تطورا لاسم إلى مالا تحمد عقباه ! !

وأما من حيث باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوفى ، فهناك حقيقة يعرفها المشتغلون بعلم الدلالة هى أن كثيرا من الكلمات ذات الدلالة المجردة يفهمها معظم الناس فهما تقريبيا ، ويتعاملون بها فيما بينهم تعاملا تقريبيا . ويكفى أن نتذكر ماقرأناه فى الصحف منذ أيام من أن هيئة الأمم المتحدة ظلت جيلا من الزمن ودون جدوى تحاول أن تعرف كلمة العدوان تعريفا جامعا مانعا ، كما يقول المناطقة !!

ولما ألفت منذ مايقرب من عشرين عاما كتابا فى دلالة الألفاظ كان علىّ أن أتصل بأمثال الدكتور الحوفى ، وأن أوثق صلتى بهم حتى أستطيع تحديد المعنى تحديدا دقيقا لبعض الكلمات ذات الدلالة المجردة من مثل : (السماحة ، الكياسة ، العفة ، النزاهة ، الإخلاص ، الوفاء) فأوشكت دلالتها بعد ذلك أن تصبح فى ذهنى دلالة حسّية ، لأنها تمثلت أمامى فى صورة حية بين السجايا التى يتحلىّ بها أمثال الدكتور الحوفى ! !

وأخيرا باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوفى ، فنحن أبها السادة فى دراستنا الحديثة ، لأصوات اللغة نقسمها من حيث صلتها بطريق التنفس إلى أنواع ثلاثة . ولست أدرى لماذا أحب دائما أن أربط بينها وبين أنواع ثلاثة من الناس :

فهناك أصوات لغوية عند النطق بها نسمع شيئا من الدوى أو الانفجار ، لأن الطريق معها تعترضه سدود واختناقات ، وهذه الأصوات تصوّر لى نوعا من الناس هم أصحاب الجلبة والضوضاء الذين يتصايحون دون هدف فينطبق عليهم المثل المشهور : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ، وليس فى صاحبنا شئ من ذلك ، فليطمئن المجمع !!

وهناك أصوات أخرى مجهدة مرهقة ، وعند النطق بها ينفذ الهواء من ممرات ضيقة جدا ، فنسمع لها صفيرا أو فحيحا كفحيح الأفاعي .. وهي تصور لى نوعا من الناس

هم المعقدون ، الجدلون ، الخصمون ، الذين يبذلون جهد المستميت فى الإعلان عن أنفسهم ، وليس فى صاحبنا شيء من ذلك ، فليطمئن المجمع !!

أما النوع الثالث من الأصوات وهو الذى أراه أشبه بصديقنا الدكتور الحوفى ، فهو تلك الأصوات اللغوية التى حين النطق بها لا يصادف طريق التنفس أى حوائل أو موانع ، فينساب النفس معها انسيابا هادئا مريحا ، وهى مع ذلك أوضح فى السمع وأبين هى الأصوات الموسيقية التى يتغنى بها ، أو التى هى أقبل للتغنى بها ، وذلك لجمال وقعها فى الأسماع ، وحسن جرسها فى الآذان . وجهاز النطق معها أشبه بجدول من الماء الصافى النقى البرّاق الذى يتحدر دون أن يكون لجريانه هدير أو خرير !!

وكذلك صديقنا الدكتور الحوفى يمضى فى حياته فى هدوء وسكون وسلام ، وهو فى نفس الوقت واضح ، جلىّ ، لا التواء عنده ولا مواربة . يجيد الصمت كما يجيد الكلام ، فيحسن الاستماع إلى الناس ، ويستمتع الناس بحلو حديثه ، ثم لا يغريه ذلك أبداً بالصمت عن كلمة الحق ولا إلى أن يبتلى بشهوة الكلام !!

ومن الغريب أن هذه الأصوات الموسيقية هى أكثر الأصوات شيوعا فى لغتنا العربية ، كما برهنت على ذلك إحصاءات الحاسب الإلكترونى ، وربما كان شيوعها فى لغتنا أكثر من أى لغة أخرى ، ولكن مع الأسف الشديد ، من يشبهها من الناس بين أبناء العربية فى هذه الأيام قليل أو نادر !!

أما بعد : فإذا سئلت أن أعبّر عن أحب تعريف بالدكتور الحوفى إلى نفسى قلت : هو التقى النقى ، الطاهر ، ثم أصبح علما من الأعلام الخالدين فى مجمعنا الموقر ، فأهلا به ومرحباً !!

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

كلمة الدكتور أحمد الحوفى :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس

السادة الأعضاء

حضرات السادة والسيدات

منذ أذن لى أن أقوم هذا المقام تخالجت فى نفسى ألوان من الشكران ، وتسابقت إلى البوح بها والإلسان عنها ، وأنا أشعر بالمعجزة عن إيفاء كل منها مايرضيه من بيان . و ليس فى الجهر بهذا العجز تزيد أو تخيل ، بل إنه الصدق المحض المبرأ من شوائب التحايل والادعاء ، فكثيراً ماتكون العواطف أسمى من الشعر ، وأقوى من النثر ، وأعصى على التبيان .

وقد كنت أحسب أننى حينما أمسك بالقلم لأعد كلمة لهذا المقام يسهل على ما أبتغى من طواعية التعبير ، ومواتاة التصوير ، وإرضاء الضمير ، فإذا بى حينما جد الجد ألفى قلمى مرضوضاً ، وأحس لسانى معقوداً ، وأجد بيانى ضنيناً .

وأنى لى أن أستطيع شكران الله سبحانه وتعالى على جليل نعمائه ، وعظيم آلائه ، إذ قيض لى أن أكون من سدنة اللغة العربية الفصحى التى اصطفاها لينزل بها قرآنه الكريم ، واختار سيد بلغائها عليه الصلاة والسلام خاتماً لرسله ، ثم شاء لى سبحانه وتعالى بعد حقبة فى سدانة هذا المحراب أن يكافئنى أعظم مكافأة ، فيسر لى أن أكون عضواً بمجمعكم الموقر العظيم .

وكيف لى أن أوفى أخى الكريم وصديقى الحميم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس حقه من شكرى لما طوق به عنقى من ثنائه ، ولما أضفاه على شخصى الضعيف من فضله ، ولما نوه به من ثمرات حبه؟ وإنه لأجدر منى بما وصف ، وأحق بما أشاد ، وأغلب ظنى أن علماء المجمع قد صافى بعضهم بعضاً ، فاستنوا فيما بينهم سنة الإيثار ، فيقدم كل منهم أخاه على نفسه ، ويخلع مزاياه على غيره ، ويكسو رصفاءه حللا من سماحته ودماثته ونبل مشاعره ، تحقيقاً لقول أمير الشعر شوقى :

وما أدبى لما أسدوه أهــل
ولكن من أحب الشىء حابى

وكقوله :

رب سامى البيان نوه شأنى
أنا أسمو إلى نباهة شانه

ومن أين لى أن أقتنص البيان اللائق بشكر السادة أعضاء المجمع لانتخابى عضواً فى مجمع الخالدين، لأنال شرفاً طالما هفت إليه قلوب واشرأبت آمال ، ولأكون معهم كالفنن المأمول الثمر فى دوحة فينانة هانية الجنى، مرموقة القطوف منذ زمان بعيد ؟

والحق أنه شرف عظيم لى أن أنضم إلى المجمع الأمثل الذى يكتنز صفوة من عُلاَّم اللغة وخُلْصانها، وأصفياء العلوم وخُدْانها، لينمّوا اللغة ويطوّروها ويطوّعوها للتعبير عن كل علم وفن وشأن من شئون الحياة ، وليصونوها من الجمود والتخلف ، وليرتفعوا بها عن مضايق العامية وفقرها ، وعن مزالق الفهاهة وضيرها ، فإنه من اليسير على من يشدّون الناس إلى أسفل ليؤثروا العامية فى خطبهم وفى شعرهم ونثرهم أن يدفعوهم إلى أعلى ليصطنعوا الفصحى لسانا مبيناً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ولعل خير فكاهة تصور حال هؤلاء وأولئك هى قول الجاحظ : رأيت امرأة طويلة القامة وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها ، فقلت لها : انزلى كلى معنا ، فقالت : بل اصعد أنت حتى ترى الدنيا . فليصعد أنصار العامية إلى سماء الفصحى ليروا الثراء والجمال والبلاغة والافتنان .

عاشت الفصحى بياناً للعرب وعزة ، ودامت أوثق آصرة للأخوة والوحدة ، وعاش المجمع اللغوى حدِبا عليها ، دءوبا على رعايتها ، محققاً ما يأمله العرب لها من نماء وثراء وحيوية وازدهار .

* * *

أيها السادة الأجلاء والسيدات الفضليات

من سنن المجمع الحميدة أن يعرف العضو الخالف بالعضو السالف الذى خلفه على كرسيه :

وقد كان سلفى هو المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف .

١ – أما موجز حياته فإنه ولد بالإسكندرية فى ١٢ من يناير سنة ١٨٩٣ ، وبعد أن حصل على الثانوية العامة أوفد فى بعثة إلى إنجلترة ، فدرس فى جامعة برستول ، وتخصص فى الطبيعة والرياضيات ونال الدرجة سنة ١٩٢٠ ، وعاد من البعثة فعين مدرساً للطبيعة بمدرسة المعلمين العليا حتى سنة ١٩٣٠ ، وكان يدرس هذا العلم فى الوقت نفسه لطلاب مدرسة الطب ومدرسة طب الأسنان ، ثم عمل مفتشاً بوزارة المعارف وناظراً لمدرسة الفنون والصنائع ، ثم اختير سنة ١٩٣٢ أستاذاً مساعداً لعلم الطبيعة بمدرسة الهندسة ، ثم أستاذاً بها حينما ضمت إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٣٥ وتولى رياسة القسم ، إلى أن عين سنة ١٩٥٠ وكيلا لجامعة عين شمس .

ولما بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥٣ استبقته الدولة وعينته مديراً لجامعة عين شمس سنة

١٩٥٤ وبقى فى هذا المنصب إلى سنة ١٩٥٦ إذ طلب إعفاءه من العمل .

وكان رحمه الله يساهم فى مجامع وجماعات شتى ، فهو عضو بالمجمع اللغوى منذ سنة ١٩٤٦ وعضو مراسل بالمجمع العلمى العراقى ، وعضو بالمجمع العلمى المصرى ورئيس سابق له ، وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم ورئيس سابق لها ، وعضو بالمجلس الأعلى للعلوم ، وعضو بلجنة الطاقة الذرية ، ورئيس الجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، ورئيس الاتحاد العلمى العربى ، والشعبة القومية للاتحاد الدولى لعلوم الطبيعة . وأول نقيب للمهن العلمية .

وقد نال تقدير الدولة مرات ، فحصل على جائزة الدولة فى الطبيعة سنة ١٩٤٧ ، وعلى وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٥٥ ونال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم سنة ١٩٥٨ وهو أول من حصل عليها ، واستحق وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى سنة ١٩٥٩.

٢ ــ وأما أخلاقه فقد كان رحمه الله مثالا رائعاً فى المواءمة بين الشغف بالعلم والكلف بمكارم الأخلاق .

كان كما رآه تلاميذه وخلطاؤه أبى النفس ، نقى القلب ، متأبياً على الصغائر ، متعالياً على متاع الحياة الزائل ، دمث الطبع ، حلو العشرة ، أنيس المجلس ، جم التواضع . وكان كما اعتامه خلصانه زاخر العلم ، عميق الفكر ، دقيق المعرفة ، مفخرة للعلم وللعلماء ، أعاد إلى الأذهان مواقف السلف العظيم الذين كانوا يعتزون بعلمهم فى كل مقام ، فقد عقد المؤتمر العلمى العربى الأول سنة ١٩٥٣ بالإسكندرية ، وانتخبه الأعضاء بالإجماع رئيسا ، فلما أقبل السيد رئيس الجمهورية ليشهد جلسة الافتتاح ، ابتدأ الأستاذ مصطفى نظيف خطبته فى المؤتمر بقوله : « لقد مضى الزمن الذى يسعى فيه العلماء إلى الحكام ، وجاء الزمن الذى يسعى فيه الحكام إلى العلماء ».

وكان رحمه الله مضرب المثل فى نهوضه بأعماله ، وفى حرصه على مواعيد عمله ، وفى كلفه بالإنتاج ، فلم يتخلف عن جلسة ، ولم يحضر جلسة إلا وهو دارس ما سيعرض فيها دراسة أمينة بصيرة ، فإذا المشكلات التى غمت وأعضلت تسفر وتستبين ، ويحصحص الحق ويبتهج الأعضاء . وكان غيوراً على الفصحى ، ومن أول الدعاة إلى تدريس العلوم بها فى الجامعات ، وقد ابتدأ هو بالتنفيذ العملى ، فدرّس علم الطبيعة باللغة العربية فى مدرسة المعلمين العليا منذ العقد الثالث من هذا القرن ، ودرس بها فى كليتى الهندسة والعلوم ، وساهم فى هذا المجال بمؤلفاته ومحاضراته ومشاركته فى لجنة العلوم الرياضية والهندسية والطبيعة وعلم النفس بالمجمع اللغوى ، وكان علمه بالعربية يسعفه بالمصطلحات التى يراها كفيلة بتأدية المعانى .

٣ ــ وأما إنتاجه فإنه إنتاج عالم جهبذ ، يعرض الموضوع فى كتاب أو بحث أو محاضرة عرضاً شائقا فى لغة فصيحة ، وأسلوب بارع ، ودقة فى الفكرة ، وأمانة على العلم ، لا يتسهل

ولا يتهرب سواء أكان الموضوع فى مجال تخصصه أم فى غيره .

وحسبنا أن نذكر ثلاثة من كتبه :

(١) الحسن بن الهيثم

بحوثه وكشوفه البصرية

نشرته جامعة القاهرة فى سنة ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ فى مجلدين تقارب صفحاتها ألف صفحة .

درس فى هذا الكتاب ابن الهيثم دراسة مستوعبة كشف فيها عن عبقريته وعن بحوثه المبتكرة فى علم الضوء ، وبين آثارها فى نهضة علم الضوء الحديث ، ونوه بفضله فى إبطال ما سجله أو قليدس وبطليموس وغيرهما من أن الإبصار يتحقق بخروج شعاع من العين إلى الشىء المرئى ، وأثبت أن للضوء حقيقة ذاتية إذ يدخل الضوء إلى الشبكية ومنها إلى المخ فيحدث انطباع الأشكال .

ووضح أن ابن الهيثم هو صاحب الرأى الصحيح فى الأضواء الذاتيـة والعرضية والمنعكسة وفى الفجر والشفق والكسوف وقوس قزح ... إلخ ، وأنه السابق إلى الطريقة العلمية التى يزعم بعض الدارسين أنها من ابتكار علماء الغرب ، إذ كان يعتمد على الاستقراء ، وعلى القياس ، وعلى التمثيل ، وبهذا سبق « فرنسيس بيكون » وتفوق عليه :

وكان الأستاذ مصطفى نظيف يحض على إحياء مابقى من تراث ابن الهيثم وأضرابه من العلماء العرب ، ويلح فى أن نبصر به أبناءنا الدارسين وننوه به ، ولا يقتصر تنويهنا على بطليموس وأوقليدس وروجربيكون ودافنشى وكبلر وغيرهم .

ويقتضينى الإنصاف أن أجهر بأن الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر قد أعلن مرات — وهو عالم كبير لرأيه قيمته — أنه إذا كان ابن الهيثم قد تهدّى إلى حقائق عظيمة فى علم الضوء فإن الأستاذ مصطفى نظيف هو الذى جلّى هذا العلم فى العالم العربى بعد ابن الهيثم .

(٢) علم الطبيعة

نشأته ورقيه وتقدمه الحديث

طبع سنة ١٩٢٧ فى نحو أربع مئة وخمسين صفحة .

ألمّ فى هذا الكتاب بالمسائل الأولى فى تاريخ علم الطبيعة منذ نشأته فى العصور القديمة إلى أحدث نظريات العلماء المعاصرين .

وأولى عناية خاصة النهضة العلمية العربية الإسلامية وعلم الفلك عند العرب ، وآراء فلاسفتهم فى الطبيعة والميكانيكا وعلم الصوت والحرارة والمغناطيسية والضوء .

(٣) البصريات الهندسية والطبيعية

نشره سنة ١٩٣٠ فى نحو ثمان مئة صفحة

هذا الكتاب أول كتاب باللغة العربية نهض بدراسة علم الضوء إلى مستوى الدراسات الجامعية عالج حقائق علمية متصلة بالضوء مثل الانعكاس والانكسار والعدسات والحركة الاهتزازية والحركة الموْجيَّة ووصف العين والتشتت والألوان والتحليل الطيفى .. إلخ .

أما بعد

فقدكان الأستاذمصطفى نظيف مفخرة للعلماء ولأعضاء المجمع اللغوى تفكيراً وإنتاجاً وسلوكاً وسدانة للعربية الفصحى ، فَحُقّ للشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة أن يقول فى رثائه :

وجد الهيثم ذهناً صافيـا
كشف الأستار عنه والسُّدولا

أيها الباحث عن تاريخنـا
إن فى تاريخنا مجدا أثيلا

من يكن بالعلم غذى معهدا
فنظيف وحده علّم جيلا

يا نظيف العرض والنفس لقد
حمد الشرق لك الجهد الجليلا

والسلام عليكم ورحمة الله .

●●● كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر فى استقبال :

الدكتور حامد جوهر

عشق البحر وعرائسه فتبتل إليه أربعين عاماً ، سكن إلى شواطئه ، يطالع أمواجه إذا أصبح ، ويتطلع إليها إذا أمسى ، يركب أمواهه سائحاً جائلا ، ويغوص فى لجته باحثاً منقباً ، ذلكم هو زميلنا الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الذى نستقبله اليوم عضواً عاملا بمجمع اللغة العربية ؛ لنفيد من علمه وخبرته الطويلة بالبحار وعلومها .

ولد الدكتور جوهر سنة سبع وتسعمائة وألف ، والتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية ، وحفظ جانباً من القرآن الكريم ، ثم تتلمذ على الأستاذ عبدالله عفيفى بالثانوية الملكية فتأثر به فى حب اللغة العربية ، وبخاصة الشعر ، الذى حفظ منه الكثير ، بل حاوله فى صدر شبابه . إنه من الجيل الذى تتلمذ على أعلام الشعر واللغة والأدب فى العصر الحديث : شوقى ، وحافظ ، ومطران ، والمنفلوطى ، والعقاد ، والزيات ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، إنه الجيل الذى كان يحرص على قراءة إنتاجهم الفكرى والشعرى والأدبى مااستطاع إلى ذلك سبيلا .

التحق أول الأمر بكلية الطب ، ومع نجاحه بتفوق فى السنة الإعدادية ، فإنه آثر أن يتحول إلى كلية العلوم ، وكانت جديدة على مصر بل على الشرق العربى كله . فقد كنا نعرف مدارس الطب والهندسة والمعلمين وما إليها ، وكنا نعرف الطبيب ، والمهندس ، ومدرس الكيمياء ، أو الطبيعة ، أما الكيميائى أو الطبيعى أو الحيولوجى أو النباتى ، فلم يكن لنا به عهد ، بل لم يكن لمصر به عهد ، حتى قال أحد المسئولين لأحد أفراد الدفعة الأولى ، ومن بينهم زميلنا الكريم — وقد سأل عن الشهادة التى حصل عليها — عندما قيل له « بكالوريوس علوم » : ولم لا تقول « بكالوريا علمى » أحسن ؟

وكذلك تخرج صاحبنا فى كلية العلوم وعمل معيداً بها لتفوقه ، واختاره أستاذه ليبحث فى فسيولوجيا الحيوان فحصل على درجة الماجستير فى هذا الفرع من العلم بعد عامين من تخرجه .

ولكنه ما كاد يرى البحر الأحمر فى محطة الأحياء البحرية بالغردقة ، حتى شغفه حبًا ، ولاعتبارات علمية ووطنية آثر المقام على شطآنه ليعمل مساعداً للرئيس الأجنبى ، فقد لاحظ أن العينات البحرية الثمينة من كائناته وزخوياته ومرجانياته يبعث بها إلى المتاحف العلمية الأجنبية ، فآثر أن يمضى زهرة شبابه ليكون حارساً أميناً على ثرواتنا العلمية من البحر ، وكأنما فتنته عرائسه فاتخذ من البحث العلمى فى كائناته وأسماكه ذريعة وتعلّة ، ليبقى بجوارها متبتلا فى محرابها ، خبيراً عالمًا من خبراء البحر المرموقين .

إنه صاحب الرأى القائل بأننا يجب أن نعيش عصر البحار قبل أن نحاول عصر الفضاء . وإن أعالى البحار حق مشاع للجميع ، فمالنا نتطلع إلى الفضاء الواسع العريض قبل أن نرتاد البحار ونغوص فى أعماقها ، ونستخرج مافيها من كنوز ونستنفد مابها من ثروات . إن ثلاثة أخماس سطح الكرة الأرضية ، إنما هى بحار ومحيطات ، بها من الكنوز المعدنية والغذائية والبروتينية مايكفى مئات الملايين من البشر غذاء وكساء وصناعة .

إن نفقات البحوث البحرية محدودة وعائدها مضمون ، أما نفقات بحوث الفضاء فباهظة ، وعائدها غير مضمون . إن أهم مشكلات العصر هى الانفجار السكانى مع ازدياد الطلب على الموارد الأولية المحدودة ، فمالنا نقصر هذا التقصير الشديد فى استغلال البحار الواسعة العريضة .

وكذلك تابع البحث العلمى المنظم فى كائنات البحر الأحمر ، حتى حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم فى هذا الفرع من المعرفة ، ولعله أول من حصل عليها فى مصر . ومع ذلك فلم تفتنه الدرجات العلمية التى حصل عليها ، ولا البحوث العالمية التى نشرت باسمه فى أرقى المجلات العلمية والتى نوهت بها المحافل العلمية الدولية . لم يفتنه ذلك كله عن البحر وعرائسه ، ولم يدفعه إلى التطلع إلى المناصب التى تشرف بها ، ولا إلى سكنى المدينة بدلا من الغردقة ، حيث زرقة السماء والماء وحيث الجو الدافىء شتاء والمعتدل صيفاً ، وحيث الكائنات البحرية من رخويات ومرجانيات يسعى إليها فى زورقه الناضورى ، ذى القاع البلورى ، يزورها كل صباح ، ولايعود إلى معامله ومختبراته ، إلا بعد أن يسجل مشاهداته وملاحظاته ، وبعد أن يأخذ عيناته يجرى عليها تجاربه بعد فحصها بعدساته ومجاهره .

وكذلك أمضى الدكتور جوهر زهرة شبابه ، بل وسنى كهولته باحثاً دارساً للبحر ، حتى غدا خبيراً عالميًا مرموقاً من خبرائه ، فخرج على الناس بعشرات البحوث المنشورة فى أرقى المجلات العلمية والعالمية .

يبقى الأستاذ فى صومعته ، وإن طلابه ومريديه ليحجون إليه ، يتتلمذون عليه ردحاً طويلا أو قصيراً ، إلا أنهم لايلبثون أن يدفعهم الحنين إلى المدينة ، مغانيها ومرابعها فيتركوا الغردقة بعد عامين أو ثلاثة ، ويقطعوها فترات كيلا يبتعدوا طويلا عن حياة المدينة . أما صاحبنا فإنه قائم

بالبحر لايبرح ولا يريم ، وبتتابع الأعوام يتأستذ طلابه فيعودون سراعاً إلى مناصبهم ومعاملهم وكلياتهم فى هذه الجامعة أو تلك وفى هذا المعهد أو ذاك، ويبقى صاحبنا فى مهجره الذى ارتضاه لنفسه طائعاً مختاراً ، فقد كرس حياته لدراسة علوم البحار ، وليكوّن مدرسة من الباحثين ، يوجه طلابها ، كلًّا لدراسة فرع من فروع البحث المتشعبة، وإنما هدفه من ذلك خلق جيل يستطيع الاضطلاع بشتى نواحى البحث فى البحار المصرية ، ويستطيع بفهمه الأكاديمى حل المشاكل المختلفة الخاصة باستغلال الثروة المائية لهذه البحار استغلالاً حسناً :

على أنه وجه جانباً من اهتماماته بأحياء المياه العذبة، وبخاصة القواقع ناقلة الأمراض الطفيلية للإنسان والحيوان وكذلك أسماك النيل ذات القيمة الاقتصادية . وتمتاز بحوثه ودراسته بأنها متكاملة ، لاينتقل من بحث لآخر ، إلا بعدأن يحيط بجوانبه المختلفة .

ولعلى لا أغالى إذا قلت إنه أول مصرى فى العصر الحديث يشتغل بعلوم البحار على البحر الأحمر ، كرس حياته لها منذ أكثر من أربعين عاماً ، حين تسلم محطة الأحياء البحرية بالغردقة جنينا أووليدا ، فنهض بها حتى يفعت على يديه ، وغدت معهداً له مكانته الدولية يفد إليه للدراسة العلماء والطلاب من كل رجا من أرجاء العالم :

إنه ابن ماجد العصر الحديث ، فإذا كان ابن ماجد قد قاد رحلة فاسكودى جاما فى أعالى البحار منذ قرون فإن الدكتور جوهر يقود البحث العلمى البحرى فى الوطن العربى فى القرن العشرين .

لقد كان الربان الماهر لسفينة البحث العلمى فى البحار المصرية ، فشارك ، وأشرف على تنسيق بحوث الثروة المائية فى مصر منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ، فليس ثمة معهد ينشأ ، أوبحث بحرى، أوبعثة توفد ، إلا وهو صاحب الرأى الأول فى الإنشاء أو الإجراء أو الإيفاد وكذلك تتلمذ على يديه عشرات ممن حصلوا بإشرافه على درجات الماجستير والدكتوراه .

لقد أنشأ متحفاً بحريا رائعاً، به مجموعات تحتوى على الغالبية العظمى من حيوان البحر الأحمر ونباته ، بحيث تعد مرجعاً لدراسة هذا البحر ، كما أنشأ مكتبة تضم أغلب المراجع الأساسية لدراسة البحر الأحمر ، تجمع معظمها عن طريق التبادل مع المعاهد العلمية البحرية العالمية. كما أنشأ معهدالأحياء المائية بعتاقة بالسويس ، وأقام به متحفاً آخر لأحياء البحر الأحمر ، نسقها تنسيقاً تصنيفيًّا وبيئيا على أحدث النظم والأصول العلمية . وأنشأ كثيراً من المماهات أو معامل البحث المائية التى تزود بماء البحر الجارى ، وهى فى الوقت نفسه مَرْبى مائى خاضع للبحث والتجريب ، وبخاصة ما يسمى بالتجارب الضابطة . وكم شهدنا القروش والحيتان وعرائس البحر فى مماهات الدكتور جوهر

بالغردقة ، تسبح وتغتذى وتتكاثر وهى تظن أنها بمنأى من أعين الرقباء والدارسين وخاصة عينى زميلنا «جاحظ» العصر، الذى أعاد تجارب زميله التى أجراها منذ نحو من ألف عام على الطير والحيوان والحيات فراقب سلوكها ، وسقى بعضها خمراً ليرى أثرها عليها ، فكذلك فعل زميلنا ، ولكن بأسلوب العصر وأجهزته وأدواته ، وعلى الحيوانات المائية خاصة ، وإنما تجمعهما الدقة العلمية والأناة والصبر والمثابرة — وإذاقلنا : إن أبا عثمان كان أستاذاً فى علم الحيوان التجريبى وفى سلوك الحيوان ، وفى علم الشكل ، فإن زميلنا الكريم أستاذ بمقاييس العصر العالمية ، وبكل ماتحمله الكلمة من معنى فى علوم البحار بعامة ، ورخوياته ومرجانياته وأسماكه بخاصة.

ولقد نشر الدكتور جوهر بحوث محطة الأحياء البحرية ، وأشرف على طبعها ، وتبادلها مع مايزيد على ثلاثمائة معهد فى الخارج ، وظل يشرف على نشرها بانتظام مايزيد على ربع قرن من الزمان .

ولقد كسب الدكتور جوهر ببحوثه ودراساته شهرة عالمية ، فشارك فى عشرات المؤتمرات الدولية فى علم الحيوان ، وعلوم البحار والمصائد والبيولوجيا الإشعاعية فى الأحياء البحرية ، وأسهم فيها جميعاً ببحوثه المبتكرة الأصيلة ، كما زار عدداً كبيراً جداً من الجامعات والمعاهد الخاصة بعلوم البحار والمصايد ومحطات الأحياء البحرية ومتاحف التاريخ الطبيعى والمياهات فى مختلف أنحاء العالم . وإنه ليقوم ببعض هذه الزيارات على نفقته الخاصة ، ولايبخل عليها بوقت أومال لأنها من أجل العلم ، ومن أجل الوطن ورفعة شأنه وسمعته العلمية .

ولعل من مظاهر تقديره العلمى فى الخارج أو فى الوطن العربى ، أن دعته جامعة كمبردج لمتابعة بحوثه التى بدأها فى الخارج ، ولعلها كانت أول دعوة من نوعها بالنسبة لمصر والمصريين ، كما انتخبته أكاديمية العلوم فى واشنطن للعمل عضواً رسمياً فى المؤتمر الدولى لمعاهد الأحياء البحرية سنة خمس وخمسين ، علما بأن مجموع الأعضاء اثنا عشر فقط ، وكذلك اختارته هذه الأكاديمية عام ثلاثة وستين للاجتماع الذى عقد بمدينة كوموبإيطاليا لدراسة تنشيط معاهد الأحياء البحرية ، وخاصة بمنطقة البحر المتوسط .

واختارته هيئة الأمم المتحدة سنة سبع وخمسين مستشاراً للسكرتير العام فى علوم البحار ضمن هيئة من عشرة مستشارين ، ثمانية منهم خبراء فى القانون الدولى ، وواحد فى شئون المصايد البحرية ، وذلك لتنظيم المؤتمر الدولى لقانون البحار ، وكذلك اختارته الوكالة الدولية للطاقة الذرية سنة تسع وخمسين فى المؤتمر الدولى للتخلص من مخلفات المواد المشعة . وكان رئيساً للجنة التخلص من مخلفات المواد المشعة فى البحر ، وكانت هذه اللجنة واحدة من اثنتين رئيسيتين تكون منها المؤتمر .

وقد أبرمت معه الوكالة الدولية للطاقة الذرية عقوداً لإجراء بحوث للكشف عن التلوث الذرى بماء البحر باستعمال الأحياء البحرية ، أشرف فيها على مجموعة من هيئة البحث بالمؤسسة المصرية للطاقة الذرية .

وانتخبه المجمع الهندى للأحياء البحرية عضواً مراسلا علما بأن عدد الأعضاء المراسلين لا يزيد على عشرة لأن العضوية فخرية . كما اختارته منظمة الأغذية والزراعة بهيئة الأمم المتحدة عضوا بلجنتها الاستشارية. وأوفد متحف التاريخ الطبيعى بنيويورك الدكتورة يوجينى كلارك للعمل تحت إشرافه على الأسماك السامة لمدة عام ، وأتبع ذلك بإرسال سبعة من البحارة لنفس الغرض .

كما اختارته المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية عضواً فى مفاوضات الحكومة السوفيتية للتعاون فى مجال الصيد فى سنة ثلاث وستين . ثم عضواً فى اللجنة الثنائية العربية السوفيتية المشتركة لتنفيذ الاتفاقية العربية السوفيتية فى مجال الصيد . واختاره المجلس الأعلى للبحث العلمى بالعراق لدراسة موضوع إنشاء محطة للأحياء المائية والبت فى تقارير سبق أن وضعها خبراء فى هذا الموضوع .

وزميلنا هو رئيس جمعية علم الحيوان بجمهورية مصر العربية منذ إنشائها سنة ثمان وخمسين ، ورئيس للجمعية المصرية لعلوم البحار ، وزميل بالأكاديمية المصرية للعلوم ، وعضو مجلس إدارة الاتحاد العلمى المصرى ، وأمين صندوقه ، ونائب رئيس المجمع المصرى للثقافة العلمية ، وزميل أكاديمية علم الحيوان الدولية بالهند ، وزميل الأكاديمية الدولية لعلماء المصايد بروما ، وعضو مراسل فى المجمع الهندى للأحياء البحرية ، وعضو المجلس الأعلى للمصايد منذ إنشائه ، وبلجان تنسيق بحوث الثروة المائية ، وعضو مجلس كلية العلوم بجامعة القاهرة ، وعضو اللجنة الدائمة لفحص الإنتاج العلمى للمتقدمين لوظائف الأستاذية بالجامعات فى علوم الحيوان والحشرات وعلوم البحار . وقد نال جائزة الدولة سنة ١٩٥٣ .

أيها السادة الزملاء

يطول بنا الحديث إذا أنا حاولت استقصاء أعمال زميلنا الكريم ، وقد آثرت أن ألوذ باتفاقنا على الاختصار ، عجزاً منى عن ملاحقة هذا الربان العالمى الماهر ، أحد علماء العالم المعدودين فى علوم البحار ، أقدمه فخوراً به أن يكون أحد أعضاء مجمعنا الموقر ، فعضويته كسب للمجمع الذى يضمه ، وزمالته شرف للهيئة التى إليها ينسب ، والسلام .

كلمة الدكتور حامد جوهر

سيدى الأستاذ الكبير الرئيس :

سادتى أعضاء المجمع الموقرين :

سيداتى وسادتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ؛ فنى هذا المقام وأمام هذا الجمع الموقر من الجهابذة العظام ، أرباب البلاغة والإبداع ، وقادة الفكر والعلم والبيان ، ليس أحكم من القصد فى القول، وبخاصة وقد وسع كرمكم ورحابة صدركم أربعة من الأعضاء الجدد دفعة واحدة ، وكان عليكم أن تستمعوا فى هذا الاجتماع إلى ست كلمات[1] .

ولما لم أكن فارس هذا المضمار فلا ينبغى لى إلا أن أفسح الميدان لزملائى الذين حباهم الله طلاقة فى اللسان ، وطلاوة فى الحديث، وكلهم كذلكم والحمد لله .

ولكن الأمر الذى لامفر منه ، وهو من أحب الأشياء إلى القلب ، أن أبدأ بإزجاء الشكر لكم جميعا ،إذ تفضلتم فحبوتمونى بهذا الشرف الذى لم أكن لأتوق إليه، أوتشرئب إليه نفسى ، أو يصبو إليه مثلى . ولكن سماحتكم كانت فوق ماتصورت وتصور لذاتى.

ولا مرية فى أن أهم ما يفعم النفس من مشاعر فى مثل هذا الموقف إنما هو الشعور بالاعتزاز بالانتساب إلى مجمعكم الموقر الذى يسجل له الزمن كل يوم من الخدمات فى سبيل إعلاء لغة القرآن ، وإبراز طاقاتها الخلاقة والذود عنها من مفتريات أعدائها الكثيرين ، ما يجعل الانتساب إليه شرفا لايدانيه شرف ، وأمنية يحلم بها أعلام العلماء وأرباء الأدباء :

وإنى إذ أعتز بهذا الشرف الذى أوليتمونيه ليشاركنى فى ذلكم زملائى من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، إذ لامراء أن فى ذلكم لتقديرا للدور الخطير الذى تلعبه العلوم الطبيعية فى عصرنا الحاضر . ليس هذا فحسب ، ولكنه أيضا تقدير لما ظلت بلادنا العربية فى أمس الحاجة إليه ؛ من نشر الوعى العلمى والحياة بالعلم بين شعوبها . وتعريب التعليم العلمى فى جميع مراحله . تلكم الأمور التى يزداد الإحساس بها والحاجة إليها يوما بعد يوم ، والتى تتطلب منا جهودا مضاعفة للحاق بالتقدم الخيالى الذى تحرزه العلوم فى كل لحظة فى سائر بقاع العالم ، ولنكون أقوى عدة وأكمل عتادا لما يجابهنا وسيجابهنا من معضلات .

---

(١) كان من المقرر أن يستقبل الأستاذ مصطفى مرعى فى هذا الحفل ، مع زملائه الجدد ، ولكنه اعتذر لسفره إلى الخارج ، فتأجل استقباله للدورة الأربعين .

سادتى :

إنى ، وإن عجب بعض الناس ، لأجد ميادين مشتركة بين عمل مجمعكم الموقر وعمل المشتغلين بالعلوم الطبيعية والتجريبية . ولأضرب مثلا لهذا : ميدان « الكلمة » . إن أهم ما يميز العلوم الطبيعية أو على الأصح أهم مقوماتها هو الدقة ، بل إن المعرفة فى المجالات الطبيعية لا تصبح علما إلا إذا خضعت للوصف المدقق والتعبير السليم والقياس المحكم . وهل بدون الكلمة السليمة الصحيحة المختارة يمكن أن نسجل معرفة ما ، أو أن ننقلها من شخص لآخر أو من جيل لما بعده من أجيال ؟

لذلك فالمشتغلون بالعلوم الطبيعية حريصون الحرص كله على وزن اللفظ بأحكم الموازين وتعريف الأشياء والأفعال بأوضح التعاريف ، فلا يطلق اللفظ إلا على معنى واحد أو شىء واحد ، فلا تلتبس المعانى الواحد فى الآخر ، ولا تندغم المفاهيم أو تتداخل . وهذا أيضا هو سبيلكم فى عملكم الذى يسعدنا أن نسير معكم فيه على هديكم .

وتلكم العلوم الطبيعية الجامدة ، التى تقوم فى كثير من الأحيان على القياس والتركيب والاستنتاج والتعقيب والتعقيد ، بحيث تكاد تنطمس فيها معالم الجمال ، من أشد المشتغلين بها حاجة إلى شىء من الجمال يرفهون به عن النفس المكدودة ! ولأنهم لواجدوه فى البحث عن اللفظ السليم يطابق المعنى المنشود ، فإذا وفقوا إليه طربوا له طربهم للقطعة الموسيقية أو الصورة الجميلة .

سادتى :

ليس بى ولا بكم من حاجة للقول : إنى لست متفقها فى اللغة ولا ما لكا لناصيتها ، ولكنى أراكم وقد بلغتم الأوج فى اللغة والقمة من بيانها وبديعها ، وغصتم فى أعماق تاريخها وألممتم بكل أبعادها ، أضفتم علوما متعددة منوعة . ومنذ سنوات كثيرة أدركتم بثاقب فكركم وبعد نظركم دور العلوم الطبيعية والتجريبية فى الحياة العصرية ، فأضفتم تخصصات جديدة وها أنتم الآن تضيفون فضلا جديدا وتخصصات أخرى مما نرجو أن يكون فيه إثراء للغتنا العتيدة الجميلة ، وإثبات لقدرتها على مجاراة التقدم السريع . فإذا كانت اللغة هى الروح فمختلف العلوم والفنون أجسادها ، وإذا كان لا بقاء للجسد بلا روح ، فلا كيان لروح بلا جسد .

سادتى أعضاء المجمع الموقرين :

لقد شئتم أن أشغل الكرسى الذى كان يشغله المرحوم الأستاذ الجليل عبد الفتاح الصعيدى ، وتقتضى تقاليد المجمع المبادرة بالحديث عن السلف الذى دعيت إلى خلافته وفى ذلكم ظلم للراحل الكريم عظيم ، فلقد

كنت أوثر أن يحمل عبء هذا عنى من هو أبلغ منى لسانا وأقوى بيانا ، ليفى ذلكم الرجل الجليل حقه . ولكنه كان سمحا متواضعا فى حياته، ولا أعتقد إلا أن السماحة والتواضع ما برحا روحه فى مماته .

وإنى لأستأذنكم أيها السادة أن أقف هنيهة أترحم فيها على روح شيخنا الفاضل، وأبكى فيها زمالته المؤنسة، وأخلاقه القويمة، وعلمه الغزير، وفضله الوفير ، وأتجه إلى الله تعالى أن يسكنه فسيح جناته ويجزيه الجزاء الأوفى :

لم تطل معرفتى بالزميل الكريم بقدر ما كنت أتمنى ، فلم تزد على نيف وعشر سنوات . وقد اختطفته يد المنون وهو أكمل مايكون صحة ، وأوفر مايرجى نشاطا ، وأحرص ما يكون على أداء واجبه كاملا .

لقد كان رحمه الله وفيا للمجمع أعظم ما عرف الوفاء ، وكان مخلصا له أكمل ماينبغى الإخلاص ، وكان المجمع ملء قلبه وبصره وسمعه ، لايقتسم قلبه مع المجمع مقتسم . كان كذلكم حتى آخر لحظة فى حياته . لفظ أنفاسه الأخيرة وهو فى طريقه إلى المجمع ليؤدى واجبا نحو زميل مثله عظيم سبقه إلى لقاء ربه . فكانت صدمته صدمة قاسية أصابت كل عارفيه، وعارفى علمه وفضله ووفائه وإخلاصه .

كنا فى لجنة علوم الأحياء والزراعة نغوص فى بحر لغة القرآن ؛ سعيا إلى إخراج لآلئه ودره وجواهره وكنوزه الوفيرة ، فكانت تتلاقفنا لجج معجماتها ، وتتجاذبنا تياراته ، وكانت عملية شاقة مضنية . فكان لابد لنا من ربان ماهر خبير بسبل هذا الخضم العظيم ، ومسالكه ، فكان من المآثر الغر لمجمعنا الموقر أن أهدانا فى لجنتنا زمالة هذا العالم المبرز الذى وهب نفسه خالصة للمجمع ورسالته ، وكان له اهتمام خاص أصيل بتعريب المصطلحات العلمية والفنية . يدافع عن المصطلحات العربية السليمة ، وعن الألفاظ التى تحل محل الدخيل منها ، دائب البحث والتنقيب عن مفردات اللغة فى شتى النواحى ، ودلالاتها ، مؤمنا بسعة اللغة ووفائها بمطالب التقدم العلمى والفنى :

وجد فيه أعضاء لجنتنا العالم المتواضع جليل الشمائل ، صافى الود ، رضى الخلق، متوقد النشاط ، دائب العمل ، محبا للبحث ، فما لبثوا أن أنسوا إليه واتخذوا منه صديقا حميا وزميلا كريما مكرما ، لم نجد أسعد ولا أحب إلى النفس من زمالته وصحبته .

لست أريد أن أستغرق وقتكم فى سرد تاريخ حياته ، وقد وفى ذلكم زميله الجليل الأستاذ عبد الحميد حسن حين رثاه إلى المجمع : وكل ما أحب أن أخص بالذكر هنا أنه كان عضوا فى أربع لجان علمية بالمجمع ، كما راجع دستور الأدوية من الناحية اللغوية بتكليف من وزارة الصحة، وهو أول دستور رسمى يظهر باللغة العربية ، كما نشر بحثا عن « مصطلحات العلوم فى اللغة العربية ودور المجمع فيها » :

سادتى :

إذا ذكر المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى ، فلا شك فى أن أول مايطرق أذهاننا ذلكم العمل الفذ والأثر المفيد الخالد الذى أنجزه سنة ١٩٢٩ هو وزميل كريم له ، ألا وهو معجم « الإفصاح فى فقه اللغة » فقد جمعا فيه مفردات اللغة طبقا لما تنتمى إليه من فصائل المعانى ، كالرياح والسحب الأشجار والثمار والملبس والمسكن وغير ذلكم . وفى سنة ١٩٦٤ نشرا طبعة ثانية منه موسعة ، وصلت إلى ضعفى الأولى . ولقد كان هذا المعجم العظيم خير رفيق ومعين لنا فى البحث عن كلمات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية .

والله أدعو أن يتعهد الفقيد الكريم بفيض رحمته ، وأن يجزيه بما عمل خير الجزاء .

والآن أرجو أن تأذنوا لى بكلمة واحدة أتوجه بها إلى الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر لأسأله : كيف جاز له أن يقول فى كل ما قال ؟ وهو منى الأخ والزميل وصديق العمر .

إننى فى الواقع لا إخال إلا أن منتصر (اسما ووصفا بأمر الله مستديما) لا إخال إلا أنه يتقمص شخصية أخرى ليشحذ قريحته ويرسل بيانه ليمتدح إخوانه .

إننى لم أوت من البلاغة بعض ما أوتى ، ولن أتمكن من الرد عليه بمثل ما قال . وإنما يحق لى أن أقول : إننى أعتز كل الاعتزاز بما أنتم خير من يعرفون فيه ويقدرون له ، إلى جانب امتيازه العلمى ، من رسوخ قدمه وعلو كعبه فى شئون اللغة ، فلا قبل لى بأن أتبارى معه فى هذا المضمار . وكل ما يمكننى أن أفعله هو أن أزجى إليه الشكر خالصا عطرا .

وأخيرا أكرر لكم جميعا شكرى وعرفانى بعظيم جميلكم ، وأدعو الله تعالى أن يجعلنى أهلا لثقتكم الغالية ، وأن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير أمتنا ولغة القرآن الكريم ، وأن يهدينا سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

●●● كلمة الأستاذ ابراهيم اللبان فى استقبال :



الدكتور إبراهيم الدمرداش

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش بالقاهرة فى ٧ من أكتوبر سنة ١٩٠٦ وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فالعالية بنجاح وامتياز ، حتى حصل على دبلوم مدرسة الهندسة الملكية فى سنة ١٩٢٥ وكان أول الناجحين ، ثم سافر إلى سويسرا ، وهناك حصل من جامعة زيوريخ فى سنة ١٩٢٨ على دبلوم الهندسة المدنية ، ثم مضى قدما فى دراسته حتى نال منها فى سنة ١٩٣٠ درجة الدكتوراه فى العلوم الهندسية . وفى ذلك الحين كان التعيين فى تلك الجامعة مقصورا على السويسريين ولكن الأستاذ Karner الذى كان قد لمح فيه مخايل التفوق العقلى والعلمى استطاع أن يتخطى هذا الوضع الجامعى العام ويعينه مساعداً له .

هذا بإيجاز هو تاريخ دراسته العلمية ، ولكنه جمع فى دراسته بين العلم والعمل ، ففى السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ نال تدريبا عمليا واسعا فى أربعة مصانع كبرى هى :

١ — مصنع M.A.N بجوستا فسبرج
M.A.N. Gustavsburg

٢ — مصنع G.H.H. بأوبرهاوزن
G.H.H. Oberhausen

٣ — مصنع كروب براينهاوزن
Krupp., Rheinhausen

٤ — مصنع دورمان لونج بلندن
Dorman Long & Co., London

ثم درب بعد ذلك فى سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٩ فى شركتين كبيرتين هما :

١ — شركة Buss والسكك الحديدية السويسرية .

٢ — وشركة De Havilland لصناعة الطائرات بانجلترا .

ولما عاد إلى مصر استقبل حياته العملية بعزيمة قوية وثابة ، وقام لأمته وبلاده بعدد

من الخدمات الجليلة فى داخل كلية الهندسة وخارجها وفى خارج الجمهورية أيضا . ونبدأ من ذلك بحياته فى الكلية :

ففى سنة ١٩٣٥ عين مدرسا بمدرسة الهندسة ثم توالت بعد ذلك خطوات الترقية المعروفة فرقى فى سنة ١٩٣٩ أستاذا مساعدا، ثم عين فى سنة ١٩٤٤ أستاذا فى كلية الهندسة بجامعة القاهرة حيث شغل على التوالى ثلاثة كراسى مختلفة الاختصاص هى :

١ - كرسى حساب الإنشاءات :

٢ - وكرسى الكبارى والإنشاءات المعدنية .

٣ - ثم كرسى تصميم هياكل الطائرات ، وهنا عين رئيسا لقسم هندسة الطيران .

وقد أتيح للكلية أن توضع تحت إدارته أكثر من مرة :

١ - فقد انتخب عميدا لها فى سنة ١٩٥٢ :

٢ - وتحت نظام التعيين عين عميدا لها فى سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٢ .

هذه صورة موجزة لحياته داخل الكلية، ولكن نشاطه امتد إلى خارج الكلية كما قلنا من قبل :

١ - فقد انتخب عضوا فى اللجنة الدائمة للجمعية الدولية للكبارى والإنشاءات فى سنة ١٩٥٢

٢ - واختاره زملاؤه المهندسون نقيبا لهم فى سنة ١٩٥٥ .

أما أعماله خارج الجمهورية فتشمل :

١ - عدة محاضرات ألقاها فى سنة ١٩٥٩ فى أكاديمية العلوم ببودابست بالمجر وجامعة فينا بالنمسا .

٢ - والاشتراك المثمر فى عدة مؤتمرات دولية أهمها المؤتمر الدولى للكبارى والمنشآت بزيورخ سنة ١٩٢٨ ثم بباريس وبرلين ولييج وكمبردج واستكهلم فى ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ على التوالى :

كما دعى إلى المؤتمر الدولى لأساتذة الجامعات بفينا سنة ١٩٥٤ وميونخ سنة ١٩٥٦ :

وقد نال جائزة الدولة التقديرية للعلوم سنة ١٩٦٨ .

وفى مجال الخدمات القومية أحب أن أنوه ببعض نشاطه فهو :

١ - عضو مجلس إدارة معهد أبحاث البناء :

٢ - وعضو مجلس إدارة المؤسسة العامة للطيران .

٣ - وعضو اللجنة العليا لأبحاث الفضاء الخارجى .

٤ - وعضو المجلس الأعلى للجامعات :

٥ - وعضو مجلس إدارة جامعة الأزهر :

٦ - وعضو ومقرر لجان فحص جوائز الدولة التشجيعية .

كما اشترك فى عضوية لجان تطوير التعليم الجامعى وكانت آراؤه ومقترحاته فى دستور

الجامعات ونظمها ولوائحها مرجعا فى كثير من التعديلات والإصلاحات .

والتتمة الطبيعية لما سبق هى الإشارة إلى مكانته العلمية العالية وسأتحدث عنها فى إيجاز :

للأستاذ الدكتور الدمرداش مدرسة خاصة فى بحوث الإجهادات الناشئة عن العزوم فى الشبكات الإطارية وفى الأعتاب الإطارية ، كما عالجت بحوثه المنشورة فى الداخل والخارج حساب العقود المشدودة ، والأعتاب المقواة ، والإطارات المقفلة ، والإجهادات فى أركان الإطارات والهياكل الإنشائية وحساب الكبارى المتحركة والانبعاج وغير ذلك من البحوث العلمية :

وقد تخطت شهرته العلمية حدود بلاده فورد اسمه فى بعض المراجع العلمية العالمية كالمرجع الذى أصدره الدكتور شليخر Prof. Dr. Schleicher مع نخبة من كبار الأساتذة فى يوليو سنة ١٩٥٥ كما نوه به الدكتور شتوسى Prof. Dr. F. Stüssi رئيس الجمعية الدولية للكبارى والمنشئات فى كتابه عن الإنشاءات المعدنية الذى صدر فى زيورخ : وذكره كذلك ريجنالد رينولدز : Reginald Reynolds فى كتابه Beware of Africans الذى طبع فى لندن فى سنة ١٩٥٥ :

وهو يجيد اللغة الألمانية إجادة تامة وبها كتب أكثر بحوثه كما يجيد الإنجليزية والفرنسية :

ومع هذا قائمة تحتوى على واحد وثلاثين من بحوثه العلمية الضخمة التى أصدرها باللغات الأوربية المختلفة :

وتبقى بعد ذلك كله شخصية الدكتور الدمرداش وسأمس بعض جوانبها التى تكشفت لى فى أثناء عملى معه كعميدين فى جامعة القاهرة لعدة سنين .

كان أول ما لفت نظرى أن الدكتور الذى نشأ هذه النشأة لم يخضع لإغراء ظواهر المدنية الحديثة بل ظل محتفظا فى قرارة نفسه بالروح الدينية العالية ، فكان فى جميع ظروفه محافظا على الشعائر الإسلامية محافظة صادرة عن إيمان عميق راسخ ، وكان بوجه خاص مواظبا على أداء الصلاة فى أوقاتها مهما كانت الظروف المحيطة به ، ولم يرعنى بالإضافة إلى هذا إلا سعة اطلاعه على الدين وعمق إدراكه لأصوله والكثير من فروعه :

أما الأمر الذى أثار دهشتى فهو مكانته الأدبية فإنه مع تذوقه للأدب العربى ودقة إحساسه بالجمال الأدبى حتى فى أخفى صوره ، قد جمع إلى ذلك موهبة خاصة نادرة فيمن كان فى مثل ظروفه فالدكتور الدمرداش شاعر ، وأحب أن أنوه هنا بمستواه الشعرى :

فإذا كان أسلوبه فى صحته ورقته وسموه يثير الدهشة ، فإن معالجته للموضوع الذى ينظم فيه الشعر تكشف للناظر عن براعة فنية قليلة النظير ، فهو حينما ينحدر إلى أعماق النفس البشرية يرى أدق حركاتها العاطفية

وأخفاها بوضوح تام ، ثم يكسوها من بيانه حلة سندسية تنم عن أدق معالمها وأعمق تطوراتها :

وقليل منا من يعلم أنه أودع الأوراق مجموعة صالحة من هذا الشعر الفريد ، أرجو أن يتاح له نشرها فى المستقبل القريب إن شاء الله :

أما إذا ذكر الوفاء ورعاية الحقوق فإنه نقدم فى كل ذلك أمثلة رائعة تركت فى نفوس إخوانه وزملائه آثاراً عميقة باقية ، وقد كان أروع ما رأيته منه أنه فى العهد الجديد كان يحرص أشد الحرص على أن يتقدم لمجلس الجامعة فى كل انعقاد تقريبا بثبت طويل من أسماء الخريجين الممتازين يطلب تعيينهم معيدين فى الكلية . وقد حملتنى دهشتى من كثرة العدد وأنه يفوق لامحالة حاجة الكلية على أن سألته : ماذا تقصد بهذا ؟ فكان جوابه : إننا مقبلون على عصر إنشاء فى جميع ميادين الحياة الصناعية والهندسية وسنحتاج لامحالة إلى عدد كبير من المهندسين ، للقيام بهذه الأعباء الكثيرة المتنوعة ، فمن الخير أن نسبق الحوادث ، ونعد العدد الكافى من المهندسين الأكفاء الضروريين ، للقيام بهذه النهضة العمرانية الواسعة :

هكذا كانت غيرته على المصلحة العامة فى مجال المهمة الموكولة إليه ، ومساهمته المخلصة المثابرة فى تقديم أوسع الخدمات الفنية لأمته وبلاده ، فى ساعة نهضتها ووقت حاجتها :

كلمة الدكتور ابراهيم الدمرداش

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الأجلاء

أحمد الله على آلائه وأصلي على أنبيائه ، ثم أذكر من ذكرني بالخير ، وأشكر له أن زكاني لدى الغير ، كما أذكر وأشكر لمن تبع نصحه وتوصيته وأولاني صوته وثقته، حتى وقفت ببابكم طالباً ومريداً ، ودلفت إلى محرابكم عضواً جديداً . يسّركم الله تعالى لليسرى،وآتاكم من فضله الحسنى ، وحفظ العربية ذكراً ، والعروبة فخراً ، والعرب ذخراً ودهراً . آمين

أيها السادة الأجلاء

لو كانت لي الخبرة ، لما تردّيت في الحيرة، ولأشرت بالبنان إلى إبراهيم اللبّان ، ليكون لي رائداً في مجمعكم ، ودليلا في حلبتكم ، فهو مثال الرجل الكامل ، والعالم الفاضل ، ولقد حقق الله تعالى رجائي ، واستجاب لدعائي . وهاهو بالأمس يزكّيني ، ويقوم اليوم بتقديمي . جزاه الله تعالى عني كل خير ، ورضي عنه وأرضاه . آمين .

أيها السادة العلماء

الرسم لغة المهندس ، فهو يؤثر الأشكال على الأقوال ، ويرصد وحي الخيال بالمنظور والظلال ، ثم يعطي فكره للناس ، هندسة في قرطاس : وأنّى له أن يصف آلة أو مبنى ، دون مسقط أفقيّ ، ومنظر جانبيّ ، بل قطاع ثمّ قطاع ، في شتى الأوضاع .

والرسم في الحقيقة تعبير مباشر ، صامت في ذاته ، ناطق بصفاته ، يدل على نفسه بنفسه ، فلا يحتاج إلى ترجمان ، وإن أردت تفسيره بالبيان ، اختلف اللسان ، باختلاف الزمان والمكان . فللشيء الواحد في كل بلد اسم ، وفي كل لغة رسم . فإذا سمعت الناس يتحدثون عنه اختلط الحابل بالنابل ، كأنك في برج بابل .

من ثمّ تتضح فائدة الرسم كمختصر مفيد، لماله من ميزة الإيضاح والتوحيد . والقول مع بلاغته ، والكلام على فصاحته ، لاغنى لهما عن الصور والأشكال ، في أغلب الأحوال. لذلك تجد المعجمات تستعين بالمبنى في تفسير المعنى ، وتأتي بالرسم لتعيين المسمىّ .

والفكرة والوحي والخيال ، هي مصدر الرسم والكتابة والكلام : إلا أن طريقها إلى الرسم أقصر ، وإلى الكلام أطول ، وإلى الكتابة أطول وأطول . ذلك أن اللفظ ترجمة للمشاهدة ، حسّية كانت أو معنوية ،والكتابة

ترجمة لهذه الترجمة . ومن ثم تتضح صعوبة النقل من لغة إلى لغة .

فإنك تصيد الفكرة بإدراكك ، وتسعى جاهداً فى التعبير عنها بحركات لسانك ، ثم تقيّدها بتسطير بنانك ، وكلاهما عرف عند بنى قومك . والدليل على ذلك ، أن كلامك لا يفقهه غيرهم ، وكتابتك لايفهمها من ليس منهم . فهى مجموعة من الأصوات والرموز ، لاتدل دلالة مباشرة على المقصود منها . فإذا جاء غيرك وقرأها ، وبطريقته فهمها ، ثم حاول نقلها إلى لغة أخرى لفظاً وخطاً ، وليس اللفظ كاللفظ ، ولا الخطّ كالخطّ ، فهل تعتقد أن من قرأها بعد ذلك ، يدرك ما أردت ، ناهيك عمّا أدركت ؟ هذه هى الترجمة ، وتلك خطواتها ، ومايكتنفها من عقبات .

وأود فى معرض الحديث عن اللفظ والخطّ ، أن أشير إلى تلك المحاولات العقيمة ، التى تدعو إلى كتابة الفصحى بالأحرف اللاتينية ، كما فعل غيرنا بلغتهم الشرقية ، والفارق بين الحالتين كبير . فالعربية لغة أصيلة ، ذات تاريخ قديم ، وتراث جمّ ، من نثر وشعر وسحر بيان . فهل يحقّ لبنيها ، أن يتنكروا لماضيها ، ويجعلوا من الحرة العربية ، جارية أعجمية ؟ كلا ! وهل تعدل الحروف اللاتينية حلاوة الخطّ العربى ؟ ياقوم ! ما أجمل النسخ وأحلى الثلث ، وهل نعد الرقعة من اختزال ؟

ثم من يقول بأن الحروف الأعجمية تحكى النطق العربى الصحيح ؟ وتفصح كحفص ، فتحسن تلاوة القرآن الكريم ؟ إنى على يقين من أن هذا الاتجاه السقيم ، سيبعدنا جيلا بعد جيل ، عن لغتنا العربية ، والذكر الحكيم .

ومن هذا القبيل ، قول بعضهم : إن العربية الفصحى صعبة المراس ، ومن ثم فإنهم يؤثرون النزول بها إلى مستوى اللهجات الدارجة ، التى تختلف زماناً ومكاناً ، والتى من شأنها ، أن تباعد بين الشقيقين العربيين ، فوق أنها لاتكتب ، ولاتكفى لدقة التعبير . والأحرى بنا أن نصوّب هاتيك شيئاً فشيئاً ، حتى ترتفع إلى الفصحى ، فنجمع بذلك الشمل على سواء .

ومن المشاهد أن أكثر الدول تقدماً ، هى التى تكتب كما تتكلم ، ولا تختلف لهجاتها إلا قليلا . ومن شأن مجمعكم الموقّر أن يعمل على تيسير العسير ، والنهوض بالدارجة رويداً إلى الفصحى وتقارب اللهجات ، توثيقا للصلات . وعلى الله قصد السبيل .

إننا لاننادى بلزوم ما لايلزم ، ولكننا نقول بوجوب الاهتمام بتعليم الفصحى ، والعمل على استخدامها . فوحدة اللسان ، هى السبيل إلى وحدة القلب : وإذا جمع القرآن الكريم بين أفئدتنا ، فلتجمع الفصحى بين ألسنتنا ، والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، أى إيمانه وفصاحته .

وعندما نودى بالتعريب ، رأيت كثيراً من الناس يشرحون بالعامية ، ويبقون على المصطلحات الأعجمية ، حتى أسقط فى يد السامعين ، واقتصروا على السمع دون التدوين . والتعريب الصحيح هو أن تنطق بالفصحى شرحاً ومتناً ، وأن تكتب بها كذلك . وهنا تبرز للعيان ، حاجتنا إلى التوحيد . وتلك مهمة المجمع التى هو بالغها بإذن الله تعالى .

أيها السادة العلماء :

يركن المهندس إلى الأعداد والأرقام ، لتحديد الأبعاد والأحجام . والأرقام عشرة ، وهى أقل من حروف الهجاء ، ولكن تباديلها وتوافيقها لا تحصر ، وتتعدى جموع الحروف والكلمات . إذ أن الأخيرة ترتبط بالمعنى فلا تتعداه ، أما الأولى فهى طليقة ، تصغر إلى النهاية ، وتكبر إلى مالا نهاية .

ومن عجب أن الصفر ، وهو لا شىء ، إذا كان من أهل الشمال ، أدركه الإهمال ، أما إن كان من أصحاب اليمين ، فهو حسنة تضاعف إلى عشرة أمثال . ومن تواضع العرب ، أنهم ينعتون الأرقام العربية ، بقولهم إنها هندية . وقد أجمع العالم كله على أنها عربية ، خلافا للرومانية . ولولا تلك الطريقة العربية المثلى ، لما قامت للعلوم نهضة . فالطريقة الرومانية لكتابة الأعداد سقيمة عقيمة ، تحدّ ولا تنطلق ، ولا تصلح لعمليات الحساب البسيطة ، ناهيك بالرياضة الحديثة .

ومن المأثور عن العرب ، أنهم أول من استخدم الجبر ، وكانوا يسمّون المجهول الذى يراد تعيينه « الشىء » ، ويرمزون إليه بحرف « الشين » . فلما فتحوا الأندلس ، ونقلوا علومهم إليها ، لم يجد الإسبان فى هجائهم ، مايقرب نطقا من « الشين العربية ، إلا الحرف اللاتينى « X » . ومن ثم انتقل هذا العرف إلى كافة الغرب ، ومازال إلى اليوم ، رمز الشىء المجهول فى علم الجبر .

أيها الأدباء العلماء :

إن الأدب حرفة الأدباء ، ولكنه متعة غيرهم من العلماء ، وهو أكبر من أن يكون صنعة فحسب ، فهو متعة رُوحية ، وغاية ثقافية . وإن فى اختيار مجمعكم الموقر ، غيرَ اللغويين لعضويته ، معنى ساميا رفيعا . فهو يدل على إيمانكم الحق ، بألا غنى للأدب عن العلم ، كما أنه لاغنى للعلم عن الأدب ، وأن الثقافة الكاملة تجمع بين الأخوين .

أيها السادة الأجلاء :

ولد عبد الرزاق السنهورى ، مع من ولد ، بالإسكندرية عام ١٨٩٥ م ، وتوفى مع من مات بالقاهرة عام ١٩٧١م . ولكنه لم يعش كما عاشوا ، ولم يمت كما ماتوا . فمن منهم بلغ مابلغه ، فى علمه وفقهه ، حتى أصبح علما من أعلام القانون ، وحجة يرجع إليه وإلى مؤلفاته ؟ ثم من منهم وصل إلى ما وصل إليه ، من مناصب الدولة الرفيعة ، وسكن فى قلوب تلامذته ، وعارفى فضله ؟

إن مثله لم يمت ، فهو قائم بيننا بكتبه ، وأحكامه وحججه ، وخالد بذكره العاطر على الألسنة ، وسيرته الحافلة بجليل الأعمال ؛ ومازال أستاذا لمن يقرأ له ، ومرجعا يستشهد به .

أجل . لقد كان عبد الرزاق السنهورى طالبا نابها ، ينم حاضره عن مستقبله . وبعد أن حصل على إجازة الحقوق بمصر ، سافر فى بعثة إلى فرنسا ، حيث حصل على الدكتوراه فى العلوم القانونية ، ثم على الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية والسياسية ، فملك بهما الناصيتين .

وبعد عودته من بعثته ، التحق بهيئة التدريس بكلية الحقوق ، وتدرج فى السلم الجامعى إلى أن أصبح عميدا لها عام ١٩٣٦ ؛ ثم تقلد منصب القضاء بالمحاكم المختلطة ، حتى عين مستشارا مساعدا بقضايا الحكومة ، فوكيلا لوزارة المعارف ، ثم العدل ، فوزيرا للمعارف عام ١٩٤٥ ، ثم وزيرا للدولة ، فوزيراً للمعارف مرة أخرى من ١٩٤٦ إلى ١٩٤٩ . وعين بعدها رئيسا لمجلس الدولة ، وظل هكذا حتى ١٩٥٤ . وقد اختير عضواً بالمجمع عام ١٩٤٦ .

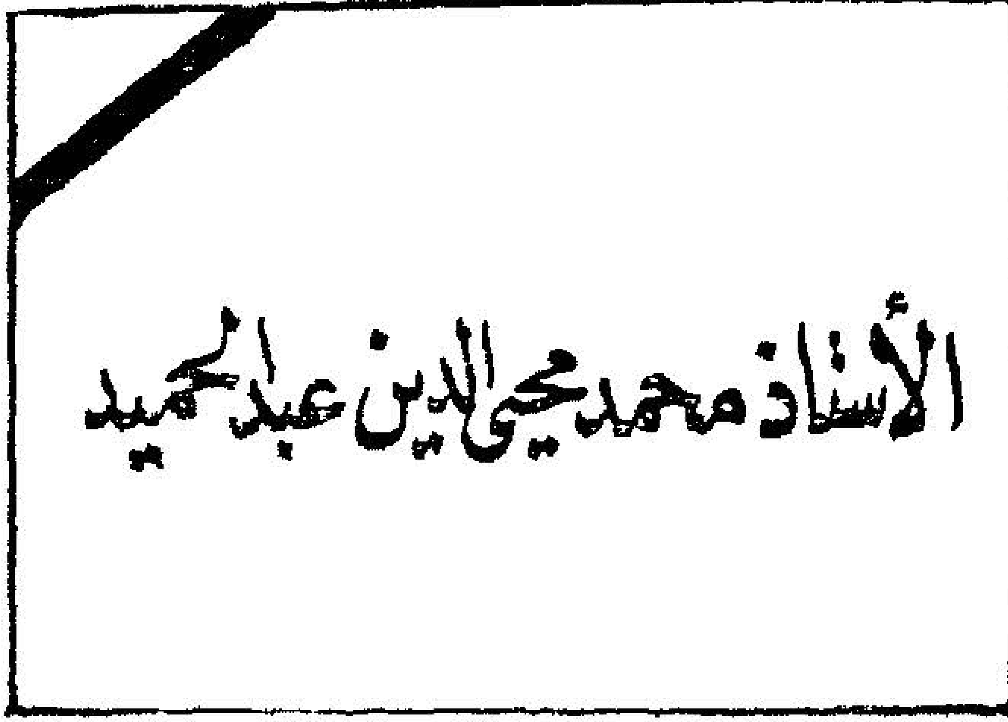
وكانت له اليد الطولى فى وضع كثير من قوانين مصر ، والدول العربية الشقيقة . وله من المؤلفات القانونية مايجل عن الحصر ، من مراجع العصر . هذا وقد رأس وفد مصر فى كثير من المؤتمرات العالمية ، وهيئة الأمم . كما كان رئيسا للجنة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية .

ذلك عبد الرزاق السنهورى الذى فقده المجمع بالأمس ، وهو يفتقر إليه اليوم ، والذى أردتم أن أتبوأ مكانه بينكم ، فحق لى أن أذكره وأشكر لكم ، فقد بر بى بعد موته ، وأضاف لنفسه حسنة فى آخرته . فسلام عليه فى الآخرين .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ؛

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢١ من صفر سنة ١٣٩٣ هـ
(الموافق ٢٦ من مارس سنة ١٩٧٣ م) أقام المجمع حفل تأبين للمغفور له
الأستاذ الشيخ محمد محيى عبد الحميد عضو المجمع ، وفيما يلى ما ألقى :

كلمة الأستاذ عبد السلام هارون فى تأبين المغفور له :



سيادة الرئيس :
زملائى الأجلاء :
سيداتى وسادتى :

فى غربة عن الدار والوطن تلقيت نعيه فبدا علىّ الجزع وكأنى لم أسمع بهالك من قبل، ونسيت فى غمرة المفاجأة وهول الصدمة سنة الحياة منذ خلق الله الدنيا .

وقلت لعبد الله إذ حن باكيا :

تعز وماء العين منهمر يجرى
تعز فإن كان البكا رد هالكا
على أحد فاجهد بكاك على عمرو

وتلقيت فيما بعد كتاب المجمع يدعونى إلى أن تكون لى كلمة فى تأبين الفقيد ، وأشهد لكأنى قد تلقيت فيما تلقيت نعيا جديداً للفقيد نكأ الجرح ، وأثار كامن الحزن ودفين الأسى .

ويشهد الله ما ترددت فى قبول الدعوة ، حرصا منى على الوفاء لرجل صاحبته أطول ما تكون المصاحبة ، وعرفته أبين ما تكون المعرفة وجمعت بينى وبينه رابطة من روابط المصاهرة منذ زمان بعيد، كان بها لى اعتزاز ؛ لأنها صلة برجل فاضل وإمام عالم نبيل :

كان مولد الفقيد بين نهاية القرن التاسع عشر ومشارف القرن العشرين فى قرية كفر الحمام من إقليم الشرقية، ونشأه والده الأزهرى تنشئة دينية، فحفظ القرآن الكريم أول ما حفظ ودرس الدراسة الأولية فى قريته الصغيرة ، ثم التحق بمعهد دمياط الدينى يطلب العلم حين كان والده قاضيا بفارسكور ودمياط ، ثم انتقل إلى معهد القاهرة بانتقال والده إليها ، لتقلد منصب المفتى لوزارة الأوقاف . وحصل على شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة نظامية فى سنة ١٩٢٥ فانتظمت به مع زملائه هذه الباقة الأولى من النظام الجديد للأزهر، وكان هو الزهرة الأولى فى تلك الباقة السعيدة .

وهنا يكمن السر فى أن فقيدنا العالم الجليل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد كان من طراز هيئت له الأسباب ليبرز فى تكامل متناسق ، وكان — غفر الله له — ينوه بذلك ويفخر ، ويعتز به اعتزازاً .

كما كان لنشأته فى بيئة علمية ، تغمرها الثقافة الإسلامية ، ذلك الأثر فى إمامته العلمية التى ظلت ردحا طويلا من الزمان تؤتى ثمارها فى أرجاء الجامع الأزهر ، وتخط السطور تلو السطور فى تاريخ نهضته الحديثة .

فنحن نرى الفقيد إثر تخرجه يتلقفه معهد القاهرة مدرسا به ، فإذا ما أنشئت كليات الجامع الأزهر فى سنة ١٩٣١ نجده على رأس المختارين للتدريس فى كلية اللغة العربية ، وهو امتياز لم يحصل عليه بعض أساتذته وشيوخه .

فإذا أطلت سنة ١٩٣٥ وهى السنة التى أنشىء فيها قسم الدراسات العليا بالجامعة الأزهرية كان من الصفوة المختارة للأستاذية فيه واستطاع فى خمس سنوات قضاها فيه أن ينشىء جيلا من أساتذة اللغة العربية يعتز بهم الجامع الأزهر ، ويذكرون له ذلك الأثر البارع فى الإرشاد والتوجيه .

وعندما فكرت حكومة السودان فى إنشاء دراسة فى الحقوق فى كلية غوردون ، وذلك فى سنة ١٩٤٠ اختارت الفقيد بعد تمنع منه وإباء ، ليشترك فى وضع مناهج العلوم الشرعية فقام بوضعها على أساس وطيد ، موشارك فى تدريس هذه المناهج زهاء أربع سنوات ، وألف فى ذلك كتبا لاتزال إلى يومنا هذا مرجع طلاب كلية الحقوق .

وفى تلك الفترة التى قضاها سفيراً علميا ناجحا موفقا فى السودان سعى إليه عارفو فضله ، وأكب على حضور مجالسه كثير من تلاميذه الذين وثبوا فيما بعد إلى أعلى المناصب ، وظلوا محتفظين له بالتبجيل والإعزاز والصلة الوثيقة والعرفان بالفضل إلى يوم لقائه ربه . فقد كان من خصائص فقيدنا أن يحسن استمالة الفضلاء إلى مجلسه ، وكان يحسن احترام الناس فيحسن الناس احترامه ، ويجيد توثيق الصلة والمودة بينه وبين من يعرفه حين يلمس فيه الفضل ، أو يلمح منه بارقة نبوغ ، فإذا الصلة قرابة ، وإذا المودة وشيجة من وشائج النسب . . ولقد حفظ هناك كرامة بلده ، وهيبة منصبه ، وكان له نفوذ العلماء المبجلين الذين تسمو بهم أقدارهم فوق كل أقدار .

وفى سنة ١٩٤٣ عاد من وفادته العلمية فى القطر الشقيق إلى كلية اللغة العربية حيث عين وكيلا لها ، وكان له أثر واضح فى تطويرها ، وإعلاء شأنها ، حتى إذا كانت سنة ١٩٤٦ عين مفتشا بالمعاهد الدينية ، وظل فى هذا العمل إلى سنة ١٩٤٨ إذ عين أستاذا بكلية أصول الدين ، فمكث بها زهاء أربع سنوات حتى اختير مديرا لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية . وبعد انقضاء سنتين على هذا عين فى سنة ١٩٥٤ عميدا لكلية اللغة العربية ، وظل شاغلا

لهذا المنصب العلمى خمس سنوات، كانت أزهى عهود هذه الكلية وأضوأها . . . فالمعروف عن الفقيد أنه كان نصيرا للتجديد فى حدوده المعقولة ، كما كان من أعداء الجمود الذى لايقوم على ساق . كان حركة ونشاطا ، وكان انطلاقا وتوثبا .

وعاد بعد هذه السنوات إلى الأستاذية بكلية أصول الدين خمس سنوات، رجع بعدها مرة أخرى عميداً لكلية اللغة العربية من سنة ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥ حين بلغ سن التقاعد . وفى أواخر سنة ١٩٦٤ اختير عضواً بمجمعنا هذا، وكان حفل استقباله فى الثانى والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٦٥. ولتنوع خبراته وتعدد نشاطه كانت له مشاركة فى عدة لجان : لجنة المعجم الكبير ، ولجنة الأصول ، ولجنة إحياء التراث القديم ، ولجنة الأدب ، فكان بادى النشاط والدءوب غير مبال باعتلال صحته أو حقوق بدنه ، حفيًّا بعمله سخيًّا بوقته إلى اليوم الأخير من حياته الحافلة .

وإخوانه فى هذا المجمع يعرفون فيه ما كان له من سماحة شيمة ونبل خلق ، ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا فى الحق ، وتستمسك بالاتزان والوقار الذى لاتشوبه شائبة من شوائب التكلف أو التصنع . وإذا ماعنت قضية مشكلة تدبرها فى تواضع العالم ، وتكلم فكان قوله الفصل فى كثير من مشكلات اللغة والعلم .

لقد طبع الفقيد منذ نشأته على التحقيق والتبحر فى العلم ، وحسن الفهم لما يعالجه من أمور : ومما لايعرفه من لم يمت إليه بسبب وثيق أنه قام فى مقتبل شبابه أزمان طلبه العلم بالأزهر بعمل أدبى جليل ، هو شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى ؛ وهو شرح مسهب مستفيض ، مشحون بغرر الفوائد وتفسير الإشارات الأدبية والتاريخية بما ينمّ عن مقدرة بارعة ، ورعة متدرة فى تلك السن التى قلما أن ينضج فيها علم عالم ، وهى سن الحادية والعشرين .

وقد صدّر هذا الشرح بإهداء إلى والده المغفور له الشيخ عبد الحميد إبراهيم مفتى الأوقاف العمومية إذ ذاك ، وقال فى هذا الإهداء :

« سيدى الوالد :

إلى نفسك الطاهرة وحكمتك العالية ، وأدبك الجم وفضلك الغزير ، أقدم كتابى هذا . . لقد ربيتنى على الفضيلة ، وحببت إلى العمل ، وزهدتنى فى الدعة والونى ، وعند الله فى ذلك جزاؤك، فليس بيدى شيء منه ، ولا فى استطاعتى أن أناله ولو رقيت أسباب السماء . ولكنى أتقدم إليك بكتابى هذا برهانا على أنك غرست فأثمرت وبذرت فأنميت ، ودليلا على أن غراسك سيزداد نموا بمر الأيام ، إلى أن يؤتى أكله مرتين بإذن الله » .

صورة من صور الوفاء ، ونموذج من نماذج بر الأبناء بآبائهم ، واحتفائهم بالتنويه بفضلهم عليهم فى حسن تكوينهم وتقويمهم :

وقد حقق الشيخ مأمول والده فيه ، كما حقق أمل نفسه بنمو غراسه ، نموا يعدنادراً فريداً فيما ألف الناس من إنتاج العلماء المثابرين ، فبين يدى زهاء ثمانين عنوانا لكتب يربو عدد صفحاتها على عشرات الألوف . أقولها غير مبالغ ولا متزيد : وهذا خلاف ماغاب عنى حصره ، ومالم أستطع تقصيه وتتبعه . . ومما يخرج عن نطاق هذا الحصر ماصنعه من العناية بنشر شرح ابن يعيش على المفصل فى عشرة أجزاء لم يرقم عليها اسمه ، ولم يدخلها فى حساب ما قام على نشره من أمهات الأصول . لقد كان الولوع والشغف بإحياء التراث العربى يسرى فى عروقه كما تسرى دماء الفداء فى شرايين أجناد الكفاح ، وفى ذلك يقول طيب الله ثراه :

« وكان الذى دفعنى إلى أن أختار هذا الطريق : أن عملى الأصيل فى الجامع ثم جامعة الأزهر كان أعظم عناية بعبارة هذه المؤلفات ، وأننى أردت أن أضع بين نابتة البلاد العربية هذه المؤلفات فى صورة دقيقة الإخراج ، ومعها شروح قريبة المنال ، ليقبلوا على هذا التراث الذى كان يبعدهم عنه سوء الإخراج واستغلاق عبارة الشروح » .

ويكفيه فخرا فى النحو ويكفى النحو فخرا به أنه عالج معظم كتبه المتداولة ، لتيسير دراستها وتذليل القراءة والبحث فيها ، بدءا من الأجرومية وانتهاء بشرح الأشمونى للألفية ، وشرح ابن يعيش للمفصل : ولايزال كثير منا نحن أعضاء هذا المجمع الموقر ، يرجع إلى كتاباته وتعليقاته ، وإلى هذا المدد الزاخر من المكتبة النحوية التى نقلها من ظلام القدم إلى نور الجدة والشباب :

لم يكن الفقيد العزيز نحويا فحسب ، بل كان مشاركا فى مختلف العلوم الإسلامية الدينية منها وغير الدينية ، ففى مجال الفقه الإسلامى نجده يؤلف فى الأحوال الشخصية ، وكتابه فيها يعد مرجعا من المراجع الجليلة ؛ ويؤلف فى أحكام المواريث كتابا يعد مرجعا ممتازا ويؤلف (سبيل الفلاح فى شرح نور الإيضاح) ، وينشر اللباب للميدانى فى شرح الكتاب : كتاب القدورى . بل نجده يؤلف فى غير مذهبه الفقهى (الدروس الفقهية على مذهب السادة الشافعية) و (الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع) .

وفى أصول الفقة يحقق الموافقات فى أصول الأحكام للشاطبى ، ومنهاج الوصول فى معرفة علم الأصول ، والمسودة فى أصول الفقه ، التى تتابع على تأليفها ثلاثة من أئمة آل تيمية . وفى الفتاوى : الحاوى للفتاوى للسيوطى :

وفى الحديث يحقق سنن أبى داود ، والترغيب والترهيب للمنذرى . وفى مصطلح الحديث يشرح ألفية السيوطى . وفى التوحيد يشرح جوهرة التوحيد للشيخ اللقانى ،

ويكتب تعليقا علميا على رسالة التوحيد للإمام محمد عبده . وفى علم الكلام يحقق مقالات الإسلاميين للأشعرى ، والفرق بين الفرق للبغدادى . وألف مختصرا فى أدب البحث والمناظرة يعد بحق أجمع وأيسر ماكتب فى هذا العلم .

وفى علوم البلاغة يبعث معاهد التنصيص للعباسى ، وكذلك المثل السائر لابن الأثير ، ويؤلف تهذيبا لشرح السعد .

وفى اللغة : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وجواهر الألفاظ لقدامة ، وهو أكبر موسوعة فى معاجم الأساليب . وفى مراجع الأدب القديم : يتيمة الدهر للثعالبى ، وزهر الآداب للحصرى ، ومجمع الأمثال للميدانى ، والعمدة لابن رشيق .

وفى دواوين الشعر : شرح ديوان عمر ابن أبى ربيعة ، وشرح ديوان الشريف الرضى ، وشرح حماسة أبى تمام للتبريزى . ويعلق على شرح المعلقات للزوزنى ، وشرح القصائد العشر للتبريزى .

وفى التاريخ الإسلامى : سيرة ابن هشام ، ونفح الطيب للمقرى فى عشرة أجزاء ، ومروج الذهب للمسعودى فى أربعة أجزاء ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى .

وفى الجغرافيا العربية ينشر : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى ، وغير ذلك . فالأمر كما قلت يخرج عن حد الإحصاء الكامل ، هو صورة حياة مجاهدة مصابرة مرابطة ، مشغوفة بالعلم أينما وجد ، وبالمعرفة حيث يلمع نورها أو يسطع ضوؤها . وفى هذا شاهد صدق على التكامل العلمى الذى قل أن يتاح لعالم واحد .

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

ولقد رأيته رحمه الله مع هذا كله يواظب على قراءة كثير من الكتب الحديثة قصارها وطوالها فلايكاد يفوته جزء من أجزاء سلسلة اقرأ وأخواتها ، من منشورات دار المعارف ، أو منشورات دار الهلال ونحوها .

جلد صارم وشغف عارم واستنارة دائمة واستفادة دائبة ، فليس لى فى هذا المقام إلا أن أردد ماقاله فيه من قبل زميل لنا كريم اختاره الله إلى جواره هو العلامة المغفور له الشيخ محمد على النجار :

« لقد قيل فى الطبرى : إنه كان كالقارئ الذى لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذى لايعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذى لايعرف إلا الفقه ، وكالنحوى الذى لا يعرف إلا النحو وكالحاسب الذى لايعرف إلا الحساب . . وكذلك يقال فى الشيخ محيى الدين : إنه كالنحوى الذى لايعرف إلا النحو ، وكالفقيه الذى لايعرف إلا الفقه ، وكالمحدث الذى لا يعرف إلا الحديث ، وكالمتكلم الذى لا يعرف إلا الكلام » .

وقد نال — رحمه الله — الحظوة فى معظم ماألفه أو قام على نشره من أمهات الكتب ، فقد كان يفهم مايقول حق الفهم فيؤديه إلى أناس أحسن مايكون الأداء . . ورزقه الله من حسن البيان ومعرفة التبيين ماجعل الدارسين يهرعون إلى الاستقاء من معينه ، والارتشاف من منهله .

كان الفقيد حركة دائبة عرفها الناس ولم يستطيعوا إغفالها فى الهيئات العلمية والدينية والأدبية. فنجده رئيسا للجنة الفتوى ، ونلقاه رئيسا للجنة إحياء أمهات كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ثم نجده متوجا بتاج العضوية لهذا المجمع الموقر ، الذى منحه من صحته وجهده وإخلاصه ماجعل فقده خسارة فادحة ورزءا جليلا .

إنى — وأنا من أقرب الناس إليه ، ومن أعرف الناس بقدره — لا أستطيع الآن أستعلن عجزى عن تأبينه وعن تبيان فضله ومآثره ، إلا أن أصنع فى ذلك كتابا أظل أنمقه دهرا . ولكنى أرانى قد ألقيت شيئا من الضوء على حياته الحافلة المباركة المفعمة بالتوفيق ، الهادفة إلى خدمة وإسعاد بنى وطنه المصرى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى ووطنه الإنسانى .

إن مجمع اللغة العربية ، إذ يودع عضوا جليلا من أعضائه المخلصين ، ليستمطر شآبيب رحمة الله على جدثه الطاهر ، ويدعو له بمغفرة الغفور ورضوانه ، وأن يجعله الله فى زمرة الشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

كلمة الدكتور ابراهيم محمد نجا

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ الجيل الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية وعميد الأدب العربي .

أساتذتنا الأجلاء، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ، فإنه ليشرفني أن أنوب عن كلية اللغة العربية للوفاء ببعض الحق الذي يجب على أبناء المرحوم المغفور له أستاذنا الفاضل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

وإن خير ما أبدأ به قول أبي فراس الحمداني :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

أبي وأستاذي :

يقتضي الوفاء أن أمجد ذكرك وأن أخلد أثرك، فالذكر للإنسان عمر ثان، ولقد أوليت تلك الكلية الفتية رعايتك وحبوتها عطفك وعنايتك ، ولذلك كان الخطب جسيما والمصاب أليما، ولولا إيمان اعتصم به أبناؤها ويقين راسخ اعتصم به علماؤها لما احتملوا هول الفاجعة . ولا اقتدروا على مواجهة المصاب .

أيتها النفس أجملي جزعــا
إن الذي تحذرين قد وقعا
إن الذي جمـــع المروءة (م)
والنجدة والحزم والندى جمعا
الألمعي الذي يظن بك الظن (م)
كأن قد رأى وقد سمعا

حقاً إن العروبة فجعت في ابن من أعز بنيها، فقدت قلباً نابضاً التاعت لفقده القلوب وارتاعت لفقده النفوس، ولولا إيمان بالله لكان الموقف شاقاً على جميع بنيها .

أبي وأستاذي :

إن اللوعة التي خلفها فقدك والمصيبة التي تركها فراقك جعلت المآقي تذرف الدمع المدرار ، والقلوب يعتصرها الألم كأنه سيف بتار ، ولكننا وقد عشنا في رحاب الأزهر رحاب الدين لاينبغي أن ننساق وراء تلك العواطف الحزينة التي تلهب النفوس، ولكننا نرسل بعض الأنات الخافتة الحزينة التي تضم بعض الذكر لأستاذ كرس حياته لخدمة تلك الكلية ، وإنني وقد سمعت من أستاذنا الجليل الأستاذ عبد السلام هارون كثيراً من جهوده وجهاده أحب أن أضم إليها أمورا تخفى على الكثير تتعلق بكرامته، فإنه عاش أبيّ النفس عزيزا لايمكن أن يمكّن من نفسه أي إنسان مهما كانت منزلته ؛ دعاه إلى ذلك حفاظه على كرامته ، حفاظه على رجولته ، حفاظه على خلقه . وإن في اختياره أستاذاً لكلية اللغة العربية ولمّا يبلغ الثلاثين بعد كان ذلك مؤذناً بأن ذلك الرجل الألمعي جدير بأن يكون

موطن التقدير والإعجاب . وما كاد عام ١٩٣٥ يبدأ ، وكانت الأمور السياسية فى مصر مضطربة ، وكان الأزهر آنذاك معرضاً لبعض الاضطرابات الخطيرة ، قام الأزهر بثورة قوية ناصرنا فيها أستاذنا الجليل وعالمنا الفذ الدكتور طه حسين ، فكتب مقالات قوية بعنوان « صبريات » ؛ لأنه كان يراد إقصاء الجمهرة الغفيرة من أبناء الأزهر وصدهم عن التعليم .

قامت الثورة وكانت ثورة قوية ، ثورة هادفة تهدف إلى تخليص الأزهر من براثن الرجعية ، وإلى النهوض به نهضة قوية ، وكان عماد تلك النهضة أساتذة أجلاء على رأسهم المغفور له الأستاذ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

إنه آنذاك عرضت عليه العروض لكى يمتنع عن مناصرة تلك الثورة ، ولكى يبتعد عن الوقوف بجانب أبنائه ، ولكنه لم تلن له قناة ولم يخضع لتهديد ولم يأبه لوعيد ، وذلك خلق قوى فى تلك الفترة العصيبة التى يدركها الجميع .

ظل أستاذنا على هذا الوضع إلى أن صدر قرار بنقله مدرساً إلى معهد الإسكندرية انتقاماً لموقفه المشرف ، فلم يزده ذلك إلا إصراراً على مناصرة الحق ، وإلا إصرارا على السير فى ركاب الحرية ، وإلا إصرارا على الوقوف فى وجه أولئك الطغاة الذين لا هم لهم إلا أن يكبتوا الأنفاس ، ويخمدوا الأرواح الطاهرة البريئة . وقد أراد الله للأزهر أن ينتصر ، وأراد الله أن تعود الدراسة بعد تعطيلها وأن يعود أستاذنا إلى كليته ، موفور الكرامة مرفوع الهامة ، مظلا لأبنائه بظله الوارف القوى لا يأخذه زهو العلم ، ولكنه كان الأب الحنون العطوف على أبنائه ، بيته بيت الأبناء ، مكتبته مكتبة الأبناء . فكنا نفد إليه نستطلع رأيه ونستفيد من خبرته ونستفيد من تجاربه ، فلم يضن على إنسان يوماً ما بأى ناحية من تلك النواحى المتعلقة بدراسته . وعندما أنشئت الدراسة العليا كان الرائد الأول لنا والموجه لنفعنا ، ولم نقف جامدين فى تلك الدراسة بل إنه وجهنا وجهة لغوية سديدة . كان يأتى إلينا بالموضوعات التى تحتاج إلى معالجة قوية ، كدراسة النحو البغدادى الذى لم يكتب فيه أحد ، ويريد منا أن نخرج تلك الأبحاث لتكون نبراساً لتلك الكلية ، يستفيد منها الأبناء ويستفيد منها الجميع ، ولكنه كما قلت — حفاظاً على كرامته — عندما عين وكيلا لكلية اللغة العربية ، وكانت الكلية آنذاك فى حرب ضروس ومعاناة قوية من الداخل والخارج ، إلا أنه ما كاد يتولى أمرها ويسوس شأنها حتى رأيناه يقود السفينة بحكمة

الربان الماهر الحكيم ، فينهى المآزق القوية ويقضى على الفتن التى كادت تقضى على تلك الكلية. وإن أستاذنا الجليل الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، وكان وقت ذاك وزيراً للمعارف ، رأى بثاقب فكره أن ذلك الرجل جدير بأن يتولى عمادة الكلية ، لتفتح ذهنه وتوقد فكره وإمكانه التفاهم مع كل الناس ، ولكنه لم يتمكن من إقناع المسئولين لما عرف عن فقيدنا الراحل من جرأة فى الحق لا ترضى بعض الناس آنذاك ، فانتقل إلى التفتيش ونقل من التفتيش إلى أصول الدين ظنا منهم أن ذلك الرجل الذى كرس حياته فى علوم العربية لا يمكن أن يجلى فى أى ميدان آخر ، ولكنه بحمد الله - وهو الحصيف الرأى القوى البيان المتين الحجة - أمكنه أن يكون رائداً فى علوم الدين كما كان رائداً فى علوم اللغة ، وأن يكون قويًّا بين أساتذته مما جعل الجميع يشيدون بفضله ويعترفون بنبله ، ويرجعونه إلى عمادة تلك الكلية التى أرسى فيها قواعد العدل ، والتى هيأ فيها للجميع حياة مستقرة ، والتى أمكنه بفضل تفتح ذهنه أن يوجد فيها الأقسام المختلفة ، لتتمكن تلك الكلية من متابعة الدرس ومن السير فى الدراسة اللغوية والأدبية ، فأنشأ فيها قسما لأصول اللغة كان هو النواة الأولى فيها والمرجع الأوفى فيها .

إن أستاذنا الجليل ووالدنا الراحل كرس حياته معتزًّا بكرامته معتزًّا بفضله معتزا بعلمه ، لم يتمكن أحد من أن ينال منه إطلاقاً ؛ عرضت عليه المناصب وقيل له إنه يطلب منك أن تقابل بعض المسئولين ، فأبت عليه عزة نفسه أن تخضع لتلك الرغبة قائلا أمامنا جميعاً والله يشهد على ما أقول إننى صادق فيه : « إن المنصب إن كانت الدولة تعترف أننى فى حاجة إليه فلتسنده إلىَّ ، وإن لم تكن معترفة بى فلا حاجة بى إلى مقابلة أى مسئول مطلقاً » .

لم يقلها رحمه الله غرورا أو تأبيا ، بل حفاظاً على كرامة العلماء ، وعلى كرامة الرجال الذين أثبتوا فى شتى العهود السابقة أن رجال الأزهر يجب أن يثبتوا للملأ أن الأخلاق الفاضلة وأن الرجولة الحقة هى التى يجب أن تسيطر عليهم ، وألا تغريهم المناصب ، وألا يبعدهم زهو الحياة وبريق المال إلى الانحراف عن الجادة القوية ، التى سار عليها أستاذنا ، والتى دربنا عليها تدريباً قويًّا .

إن أستاذنا الراحل لم يقف عند اللغة وعند الدين ، بل كانت جهوده رغم اعتلال صحته رئيساً للجنة الفتوى فى الجامع الأزهر ، وفتاواه قوية ظاهرة ، وحججه واضحة باهرة ، ورياسته للجنة السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وعضويته لمجمع البحوث الإسلامية - كل تلك الجهود يظن من لا يعرف تلك الشخصية أنه رجل بعيد عن المجتمع ، ولكنك إذا جلست إليه وتحدثت معه رأيت منه اللغوى الناضج ، رأيت منه الفقهى البارع ، رأيت منه المحدث اللبق ، رأيت منه السياسى المتفتح ، رأيت منه

الاجتماعى الذى يستحق كل تقدير .

فإن بكيناه اليوم ، فإنما نبكى رجلا فاضلا وعالما فذا ، وأستاذا جايلا يندر أن يجود الزمان بمثله ، إن الزمان بمثله لبخيل .

أستاذى وأبى :

إننى فى هذا المقام أذكر لك بعض مالك علينا من حقوق ، وأرجو الله أن يوفق أبناءك الذين شملتهم بعطفك والذين أوليتهم رعايتك أن يسيروا على نهجك ، وأن ينهضوا بتلك الكلية القوية التى نأمل أن تكون راعية للغة القرآن حارسة لها ، والله المسئول أن ينزلك منازل الأبرار والصديقين ، طيب الله ثراك ، وجعل الجنة مثواك ، وجزى الله المجمع ورجاله والمقدرين لفضلك خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله .

.. كلمة الأسرة للأستاذ أحمد نبيل محيي الدين

سيادة الرئيس

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع الخالدين :

يطيب لى إذ أقف فى هذا الحشد الحافل برجالات العلم وشيوخ الأدب وصفوة الصفوة من قادة هذه الأمة أن أنقل إليكم عرفانى وشكرى وعرفان أسرة محيي الدين لما أبديتموه من كريم المشاعر وما أجزلتموه من وفاء وإخلاص نحو راحل كريم جمعه بكم حبه للعربية ، والتقى وإياكم على مائدتها فأعطى ماشاء الله له أن يعطى ، وكان يحفظ لكم دائما أن منحتموه ثقتكم واخترتموه ليسهم معكم فى إحياء العربية وبعث أمجادها . . . .
وعسى الله أن يكون قد وفقكم إلى حسن الاختيار . . ولست بسبيل الإطناب فى امتداح أفضالكم فإن من تنزه صنيعه عن العلائق أزهد الناس فى المدح . . ولئن كان رفقاء والدى وإخوانه وتلاميذه قد كرموه وأظهروا من آيات الوفاء وصوره ما كان تواضعه الجم وحساسيته الشديدة يمنعانه من إظهاره فهى فرصة أنى كرمكم الوفير إلا أن يجعلكم تمنحونيها وهى أن أعبر عن بعض فضله علىّ . . فوالدى رحمه الله رغم وفرة أصدقائه وكثرة عارفيه فى شتى البقاع كان له صديق حميم عرفه منذ نعومة أظفاره ولازمه حتى صعد إلى بارئه ، ذلك هو الكتاب ، فقد ألف الكتاب وألفه الكتاب حتى لم يترك دنياه إلا وقد غارت بصماته فوق أكثر من خمسة وسبعين كتاباً هى ما ألفه وأخرجه ، وأينما كان له مكان مختار فهو وسط جدران من كتب متراصة وأسفار ، كتب بقدر ما أضافت إلى علمه الكثير فقد أثرت منه الكثير ، وحملت بين طياتها نبضات رنانة من روحه وومضات وضاءة من كيانه . . . وخطرات لماحة من وجدانه وإن كان مدحى إياه يلام فى حياته ، فلتغفروا لى أن أثنى عليه ثباته فى الحق وصرامته فى وجه الباطل ، واعتزازه بما أشرب من مبادىء الإسلام وتعاليمه وروحه ، اعتزازا يغبطه أولو النزاهة ويرفضه المتسلطون .

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع الخالدين :

إن الكلمات ولا شك تعجز عن الوفاء بما أحمل إليكم من تقدير وعرفان عسى الله أن يحسن جزاءكم ويمدكم بمزيد من توفيقه وعونه ، لتعضدوا لغة قرآنه ، وأن يمنحكم طول البقاء لتبقوا أبداً مناراً لنا وللأجيال القادمة .

والسلام عليكم ورحمة الله .